

میر علی شریف

استذکارات

عن تاریخ الكرد الحديث

منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

عمر علی شریف

استذکارات عن تاریخ الکرْد الحدیث

مدیر سلسلہ کتب مؤسسۃ الشفق
ملا شاخہ وان کرکوی

عمر علي شريف

استذکارات عن تاريخ الکرء الحديث

اسم الكتاب: استذكارات عن تاريخ الكُرد الحديث

المؤلف: عمر علي شريف

التنضيد: زينب جبرائيل - رزگار صالح

الاخراج الفني: شاخوان كركوكي

الغلاف: فهد شواني

مطبوعات مؤسسة الشفق الثقافية/ كركوك، التسلسل: ٦

المشرف على الطبع: عبدالرحمن الحاج محمود

رقم الايداع في مديرية الثقافة والفنون: ١٥٦ / ٢٠٠٥

الطبعة الأولى - ٢٠٠٥

مطبعة وزارة التربية/ اربيل

المحتويات

7	كلمة موجزة
9	موجز عن الطريقتين القادرية والنقشبندية
31	ريج، سون، آدم—وندى
53	الانتفاضة الاولى للشيخ محمود الحفيد
69	الكورد في ثورة العشرين
89	عودة الشيخ محمود الحفيد من المنفى
105	لمحات من تاريخ الجاف
127	الهموند... احداث ومواقف
147	السليمانية... احداث ومواقف وذكريات
169	نساء خالدا... في ذاكرة الكورد
185	جوامع وتكايا في ذاكرة كركوك
193	الطباعة والصحافة والنشر في كركوك
203	جمعية داركه ر وحزب هيوا
209	المصادر

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة موجزة

يضم هذا الكتاب مواضيع تاريخية مختارة ومنوعة انتقيتها من بين مجموعة كبيرة من المباحث والدراسات والمقالات ذات العلاقة بتاريخ وتراث الكورد والتي عكفت على إعدادها وانجازها تباعاً منذ عام ١٩٩٨م وما أزال.

وآمل مخلصاً أن أوفق من خلال هذا الجهد المتواضع في اسداء خدمة - ولو يسيرة - الى تاريخ أمتي المجيد الذي لاقى عبر الزمن الكثير من الغبن والحيف والاهمال، بل ومن التحريف والتشويه أيضاً. كما آمل في نفس الوقت ان تنال محتويات كتابي هذا رضا وقبول القراء والمهتمين الكرام، ولا سيما الاخوة العرب الناطقين بلغة الضاد والذين أبغي ان أقدم اليهم من خلال مباحث ومحاور هذا الكتاب، جوانب شقيقة ومثيرة من سفر الكورد الخالد وعطائهم النضالي والفكري والروحي والحضاري الشر في التاريخ الحديث والمعاصر.

ومع اني بذلت غاية جهدي في استخلاص وانتقاء معلومات هذا الكتاب من عدد كبير من المصادر والمراجع الموثوقة والمعتبرة لكتاب وباحثين ومؤرخين نابغين معروفين، وابديت ما أمكنني من حرص وعناية واهتمام كي يخرج هذا المطبوع وفق ما أطمح اليه من حيث الشكل والمضمون اللائقين، فأنتني اعتذر سلفاً للقارئ الكريم عن اية هفوة أو ثغرة او نقیصة حصلت في مواضع الكتاب المختلفة - وهي موجودة طبعاً على

أغلب الظن - وفاتنا أمر تفاديها أو معالجتها كما يجب. وبقينا أن
عملي هذا هو أبعد ما يكون عن الكمال، فالكمال هو لله وحده عز وجل
وهو من وراء القصد...

المؤلف

موجز عن الطريقتين القادرية والنقشبندية

ومرشديهما الكبار في كوردستان

يقصد اهل التصوف بمفهوم (الطريقة) الشائع استعماله عندهم كثيراً بأنه السلوك أو النهج الذي يتبعه المريد بقصد الوصول إلى أعلى مراتب العبادة الخاصة لله تعالى والإيمان الكامل به وبلوغ مرحلتي (عين اليقين) و(حق اليقين) في هذا المجال، وهم يعدون (الطريقة) علماً عملياً من حيث ارتباطه بالمجاهدة والرياضة والأحوال والمقامات وبأنه يعطي المفاهيم الفقهية من تحليل وتحريم روح جديدة ويتجه إلى فهم العبادات والأحكام اتجاهات باطنية على اعتبار أن الإسلام ظاهر وباطن وإن فقه الشريعة^(١) قائم على الأعضاء الظاهرة والأعمال الخارجة وعلم الطريقة قائم على الجارحة الباطنية (القلب). كما أكد مؤرخو التصوف على قيام هذين العلمين جنباً إلى جنب مستمداً ذلك من قوله تعالى «وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة» «صدق الله العظيم» فالنعمة الظاهرة هي فعل الطاعات والنعمة الباطنة هي ما أنعم الله بها على القلب من الأحوال والمقامات، ومن تبحر في علم الشريعة أدرك بذوقه السليم أن علم التصوف هو علم الطريقة ذاته ويتفرع من عين الشريعة الدافقة.

وإذا تتبعنا بامعان جذور التصوف عرفنا أنه بدأ مع فجر الإسلام وكبار الصحابة والتابعين والعلماء ثم صار (أي التصوف) مذهب أهل العلم

١- يقصد بالشريعة أو الشرع النظام القانوني والاجتماعي المستند إلى أحكام ونصوص القرآن الكريم والسنة والأحاديث النبوية الشريفة.

والورع والتقوى بعد أن نضجت العقلية الاسلامية وفاض علم البلاد المفتوحة من كلام وفلسفة وعقائد على عقول المسلمين ونهل منه المسلم الحقيقي ما يقربه الى ربه الكريم.

وعموماً شاعت وراجت في العالم الاسلامي على مر العقود طرائق ومذاهب صوفية مختلفة ارساها وروجها شيوخ وعلماء كبار واحتلت بمجملها فضاء رحباً من حياة المسلمين عامة كالطريقة الشاذلية، الرفاعية، القادرية، النقشبندية، الجشتية، التيجانية، المولوية والسهروردية وغيرها.

فالتصوف باختصار هو عقيدة وأخلاق وسيرة وسلوك وجهاد للنفس وهو اسلامي لفظاً ومعنى وحساً ومأخوذ على الأرجح من الصوف - لبس الصوف اشارة ترك الدنيا - وهو احسن اللباس لاتقاء الحر اللاهب والبرد القارس للتعبير عن التعفف والعزوف والزهد والتعويد على الخشونة^(٢) أو من أهل الصفة الفتية الذين تنسكوا في مسجد الرسول (ص) أو من الصفاء والصفوة. وعلى كل حال فان الكلمة (التصوف) تعبر عموماً عن معاني: النقاء والطهر والمعاناة والرياضة والتأهل للعبادة او المعرفة. يقول الامام الغزالي في تعريفه لنهج التصوف بانه: طريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها، والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومتى حصل ذلك كان الله المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم واذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة واشرق فيه النور وانشرح الصدر، وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة، وتلألأت فيه حقائق الامور الالهية.

ولكي نبسط الموضوع أكثر نضيف بأن التصوف هو طريق الذكر والفكر والتأمل في اسرار السماوات والارض التي تتجلى فيها عظمة الخالق

٢- دأب أبناء بلاد فارس على اطلاق تسمية (يشمينه پوش) أي لابس خرق الصوف على المتصوفة عندهم وقد ورد التعبير نفسه كثيراً في الاشعار الفارسية وبضمنها اشعار الحافظ الشيرازي.

المبدع استناداً الى قوله الكريم: «الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقتنا عذاب النار» صدق الله العظيم، وهو ايضاً طريق الوصول الى مقام الاحسان الذي يعده معظم العلماء المتصوفة أرفع مقامات الصوفية «الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك» صدق رسول الله (ص). فالطريقة اذن هي الرحلة المضنية والشيقة الى الحضرة الالهية والتي تتطلب من المريد مشواراً طويلاً من التوبة والمحاسبة والخوف والرجاء والصدق والاخلاص والصبر والورع والرضا والتوكل والشكر والزهد (الزهد معناه هنا خلو الايدي من الاملاك والقلوب من التبع)... والى آخره من متطلبات هذا السفر الطويل.

فالسالكون لهذا الدرب القويم عليهم بالمجاهدة كثيراً مع النفس الامارة بالسوء بغية ترويضها وتطهيرها من الآثام والرذائل وحب الشهوات «ونهى النفس عن الهوى»، وقد وصف الرسول الكريم (ص) بعد عودته من إحدى الغزوات، الجهاد مع النفس بأنه الجهاد الاكبر. والمعلوم أن جهاداً من هذا النمط يستوجب سعياً دائماً وتضحيات كبيرة بمغريات الدنيا الفانية ابتغاءاً لرضا الله ونيل ثوابه وبركاته الواسعة في الآخرة.

ومثلما أسلفنا بداية فان طرقاتاً ومذاهب صوفية متعددة شاعت في العالم الاسلامي خلال العقود المنصرمة الماضية وشهدت تألقها وأزدهارها على أيدي مؤسسيها ومرشديها وعلمائها الاكارم الذين ملأت أخبار مآثرهم وعطاءاتهم وبركاتهم آفاقاً واسعة جداً والذين نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الشيوخ المجتهدين؛ معروف الكرخي، بايزيد البسطامي، ذا النون المصري، عبدالقادر الجيلاني، احمد البدوي، أحمد الرفاعي، بهاء الدين النقشبندي، عمر السهروردي، حسن الحجشتي، جلال الدين الرومي وغيرهم. وفيما يخص كوردستان العراق (موضوعنا) التي ازدهرت فيها منذ فترة طويلة علوم الدين ومناهج التصوف ووجدت فيها منبثاً خصباً لنموها وانتشارها فان قلوب القسم الاعظم من سكانها

تعلقت تعلقاً روحياً ومعنوياً وماتزال بالطريقتين القادرية والنقشبندية المعروفتين.

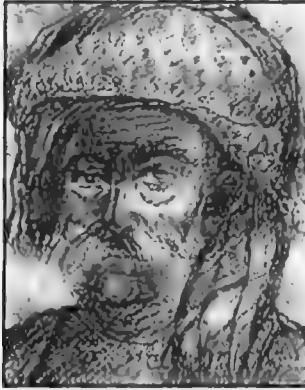
أوجد الطريقة القادرية الشيخ الشهير عبدالقادر الكيلاني (١٠٧٧- ١١٦٦م) المولود في قسبة (نيف) ضمن مقاطعة كيلان الإيرانية وهو جد نقباء اشراف مدينة بغداد التي قدم اليها طلباً للعلم والدراسة وعمره (١٨) عاماً، حيث اقام وتوفي فيها وضريحه يزار ويبجل في محلة باب الشيخ.

كان الكيلاني من كبار الزهاد والمتصوفين في عهده وأسس طريقتة الصوفية (القادرية) المعروفة بأسمه على نهج الشيخ جنيد البغدادي وسلكها اثناء سنوات حياته وبعدها جمع غفير جداً من الاتباع في العراق ومختلف بلدان العالم الاسلامي وهو المعروف (أي الكيلاني) عند مريديه بلقب (الباز الاشهب) الذي أطلقه عليه القاضي أبو سعيد المبارك.

أما مؤسس الطريقة النقشبندية^(٣) فهو الشيخ محمد بهاء الدين البخاري المعروف عندنا بـ(شاهي نهقشبهند) (١٣١٧-١٣٨٩م) المولود في قرية (قصر عارفان) القريبة من بخارى والتي يقع فيها مزاره الذي يتوافد عليه الزوار على مدار العام، والشيخ محمد بهاء الدين هذا هو خليفة العلامة المرشد محمد بابا السماسي الذي كان مرشداً للطريقة الصوفية المعروفة بطريقة الخواجة التي تحولت في عهد الشيخ بهاء الدين الى الطريقة النقشبندية التي لاقت على دأب شقيقتها القادرية نجاحاً وانتشاراً عظيمين في العديد من الأرجاء.

٣- تعني لفظة نقشبند الفارسية، الرسام أو النقاش (الحفار) وكانت اعمال نقش وحفر الصور والرسوم على الاخشاب والصخور شائعة قديماً، وبالنسبة للقب النقشبند الذي يحمله الشيخ محمد بهاء الدين/ مرشد الطريقة النقشبندية، فهو ذو دلالة معنوية على اعتبار المرشد المذكور (نقش) رسم ورسخ ذكر الله الحق في قلب مريديه، ومثلما اوضح احد شعراء الطريقة: اي برادر در طريق نقشبند ذكر حق را در دل خود نقش بند، وقيل أيضاً: (العلم في الصغر كالنقش على الحجر) وكلمة نقش هي عربية أساساً أضيفت اليها اللاحقة الفارسية (بند).

ورغم أن تفاصيل وظروف وتاريخ دخول هاتين الطريقتين الى كوردستان العراق غير معلومة تماماً لكن الثابت أن انتشارهما ورواجهما هناك قد تما اول مرة على ايدي الشيوخين معروف النودهي (١٧٥٣ - ١٨٣٧) بالنسبة للطريقة القادرية ومولانا خالد النقشبندي (١٧٧٣ - ١٨٢٦) بالنسبة للطريقة النقشبندية وذلك في مدينة السليمانية عاصمة البابانيين وابان العقود الاخيرة من حكمهم^(٤)



الشيخ معروف النودهي

يطلق على اتباع ومريدي الطريقة القادرية عندنا لقب (الدراويش)، اما سالكو النقشبندية فيسمون (الصوفية) ولكلتا الطريقتين آدابهما وسلوكهما وأذكارهما الخاصة بهما، وتتم حلقات ذكر الدراويش غالباً بكونها تأخذ طابعاً حماسياً ملفتاً على ايقاع الدفوف والدرايك (الطبله) ويعرض فيها نفر من الدراويش في أوج أحوالهم وأذكارهم

فعالياتهم الخارقة في غرز السيوف والحراب والاسياخ في اجسادهم ومقاومة النيران والجمرات المتقدة بأيديهم وأرجلهم العارية وافواههم والستتهم والتعرض لللافاعي والعقارب ولدغاتها وسمومها وغيرها من الفعاليات العجيبة (الخارقة) التي تمارس لحد يومنا هذا في بعض المناسبات.

وجلي، ان مرشدنا وشيوخنا وعلماءنا القادرين والنقشبنديين الكرام في كوردستان العراق قد أسدوا خدمات عظيمة واسهامات مشرفة الى

٤- ظهرت الامارة البابانية في النصف الثاني من القرن السابع عشر وانتهت نهاية النصف الاول من القرن التاسع عشر، وقد شاعت وازدهرت الطريقتان القادرية والنقشبندية في ربوع تلك الامارة وفي مقدمتها عاصمتها السليمانية، أواخر القرن الثامن عشر بالنسبة للقادرية، ومطلع القرن التاسع عشر بالنسبة للنقشبندية اي ان القادرية سبقت شقيقتها في ظهورها عندنا.

ابناء شعبهم المسلم في مجال الوعظ والارشاد والتعليم وتنوير عقول مريديهم وتهذيب آدابهم والذين لعبت تكاياهم وخانقاهم ومدارسهم الدينية^(٥) دوراً روحياً وتربوياً واجتماعياً مشهوداً للغاية في حياة أهلنا المؤمنين الطيبين.

وسنحاول من جانبنا في سياق جهدنا المتواضع هذا التطرق الى السيرة الجهادية والارشادية لعدد من هؤلاء المرشدين الفطاحل الذين اغنوا تراثنا الفكري والروحي بالكثير من عطاءاتهم ومآثرهم الخيرة والوقوف على دورهم الخلاق المبدع في سفر أمتنا المسلمة المؤمنة، وهم الشيوخ معروف النودهي ومولانا خالد النقشبندي باعتبارهما القطبين الاساسيين للطريقتين القادرية والنقشبندية ومرشديهما في كردستان والشيخ كاك احمد الشيخ احد ابرز المرشدين القادرين قاطبة والشيخ عثمان النقشبندي الثاني آخر الشيوخ النقشبنديين العظام، وسيكون تقديمنا لهم بحسب أسبقية أزمنتهم وعهودهم.

الشيخ معروف النودهي، المرشد والعلامة والاديب الجليل

شيخنا الشهير باسم معروف النودهي هو السيد محمد بن السيد مصطفى بن السيد أحمد بن السيد محمد النودهي وجده الثالث عشر هو السيد عيسى البرزنجي مؤسس أسرة سادات البرزنجية المعروفة في كردستان وخارجها.

ولد شيخنا معروف النودهي في قرية (نودی) ضمن قضاء شهربازار/ چوارتا عام ١١٦٦هـ (١٧٥٣م) حيث نشأ وترعرع في بيت علم ودين وفي كنف والده الجليل وأسرته الدينية المرموقة والمعروفة بنبوغها في الثقافات الكوردية والعربية والفارسية، فتعلم القرآن الكريم ودرس بعض الكتب الفارسية وشيئاً من النحو والصرف عند والده الكريم الذي حمّله

٥- التكية والخانقاه معناهما واحد فبالنسبة للتسمية الاولى شائعة عند القادرين والثانية عند النقشبنديين.

لاحقاً الى (قه لا چوالان) مركز الامارة البابانية حينذاك وادخله هناك المدرسة الغزائية الذائعة ليوصل فيها تعليمه وتحصيله الدراسي. وكانت امارات النبوغ بادية عليه منذ صغره فدلّت على ان شأناً عظيماً سينتظره مستقبلاً.

وبينما كان الفتى الصغير منهمكاً في دراسته عمت مظاهر الفتنة والاضطراب (قه لا چوالان) عقب اغتيال حاكم الامارة سليمان پاشا بيد احد طلاب العام عام ١١٧٨هـ (١٧٦٤-١٧٦٥م)، فكان الحادث المشؤوم حدمة قاسية للشيخ معروف التلميذ الناشيء ومبعث خوفه الشديد على حياته وهو لم يتجاوز ١٢ سنة، فأثر الانزواء بعيداً عن العاصمة البابانية المتوترة متوجهاً الى قرية (هزارميرد) الواقعة غربي السليمانية فالتحق هناك بمدرسة العلامة الملا محمد (المعروف بابن الحاج) لينهل من فيض علومه وأدابه، فقرأ عليه أستاذه شرح الاسيوطي لالفية أبن مالك الذائعة في النحو مع تعليقاته (أي تعليقات ابن الحاج)، ثم درس المنطق وكتاب (المختصر) للتفتازاني وبرع في دروس العقائد والمعاني والبيان والبديع وغيرها.

عاش النودهي مع اقرانه الطلاب في (هزارميرد) حياة مليئة بالتقشف والفاقة وكان اعتمادهم التام في حياتهم على الزاد الذي كان يوجد به اهل القرية عليهم، لكنهم كانوا قانعين مسرورين اثناء تلك الحقبة المميزة في حياتهم الدراسية. ثم التحق النودهي بالعلامة الشيخ عبدالله البيتوشي^(١) العائد من بلاد الاحساء الى وطنه الأم عام ١٧٦٦م ودرس عنده بعض المواضيع الادبية وظل مواظباً في نفس الوقت على زيارته لاستاذه السابق ابن الحاج في قرية هزارميرد.

وعموماً كانت فترة دراسة النودهي عند البيتوشي ثرية في حياته التواقة الى العلم والمعرفة، ولاسيما بعد ان صلب عوده وتفتحت مداركه وهو في العشرين من عمره، فتعلم من استاذه أصول الادب عامة

٦- نسبة الى مسقط رأسه قرية بيتوش الحدودية في كوردستان ايران.

وتفجرت عنده بفضله عاطفة الشعر الذي برع فيه كثيراً.

عاد النودهي الى ربوع (قهلا چوالان) مجدداً بعد عودة الامن والسلام اليها، فاستقر ثانية في مدرسة العلامة محمد الغزاني واكمل مشواره التعليمي بدراسة الفقه فيها ثم نال الاجازة العلمية التي كد من أجلها بأصرار، فغدا عالماً جليلاً وأديباً بارعاً تم تعيينه في احدى مدارس المنطقة واشتغل بالتدريس والتأليف وكتابة الشعر وظل كذلك حتى مجيئه الى العاصمة البابانية الجديدة السلمانية التي شيدها الامير ابراهيم پاشا خلال عام ١٧٨٤-١٧٨٥ فاضطلع بمهمة الاشراف على المدرسة الدينية والمكتبة البابائيتين اللتين نقلتا من العاصمة السابقة ليضمهما الجامع الكبير في السلمانية والذي شيده الامير المذكور.

بلغت المدرسة والمكتبة اوج ازدهارهما في عهد النودهي وتخرج على يديه جمع كبير من الطلاب النابغين الذين غدوا مصابيح الدجى ومنار الاجيال في عهدهم امثال: المفتي الزهاوي، الشيخ حسن القاضي، الشيخ محمود البرزنجي والشيخ بابا رسول... وآخرين.

تعتبر السنوات (١٧٨٥-١٨٢٢) عهداً ذهبياً في عمر الجامع الكبير حيث ضمت مدرسته وفي عناية النودهي العشرات من الطلبة المتقدمين والمبتدئين من السلمانية وخارجها فيما ضمت مكتبته كنوزاً ثمينة من المخطوطات والمؤلفات والكتب القيمة التي ارسل امراء آل بابان في سبيل اقتناء المزيد منها مبعوثيهم الى بغداد والموصل واسطنبول والحجاز واليمن، لكن تعاظم السيطرة الايرانية في المنطقة لاحقاً أحدث اضراراً فادحة بمناحي الحياة كافة وبضمنها المدرسة والمكتبة المذكورتان اللتان حافظتا بفضل الجهود المضنية للشيخ النودهي، ومن بعده نجله وخلفه كاك احمد الشيخ على وظيفتهما العلمية والفكرية، وظل الجامع الكبير في عنايتهما متألّقاً بدوره الديني والاجتماعي الكبير الذي عرف به دوماً.

ومثلما كان الشيخ النودهي عالماً نابغاً وأديباً وشاعراً مقتدرراً فانه كان مرشداً متصوفاً رفيع المقام يعود له الفضل الاول والاكبر في ارساء دعائم

الطريقه القادرية وحمل لوائها في السليمانية وخارجها والتي شاعت بفضله في كردستان كثيراً وتعلقت بها اعداد كبيرة جداً من السالكين والتابعين وماتزال تحتفظ لحد يومنا هذا بقدر عظيم من تأثيرها ومهابتها. وتفيد المصادر المعنية والمطلعة ان الشيخ النودهي قد تلقى اصول ومناهج طريقته اصلاً من عم ابيه الشيخ (علي دول يه موي) وهو بدوره من الشيخ اسماعيل القازانقايي (الولباني). ومهما يكن من أمر المصدر الذي تلقى منه النودهي طريقته أصلاً، فأن الثابت هو كونه المؤسس والمرشد الابرز لتلك الطريقة الصوفية المباركة عندنا وصاحب الفضل الاكبر في نشر تعاليمها وآدابها كما اسلفنا.

ظل الشيخ النودهي وطيلة سنوات عمره المديد، مواظباً على اداء رسالته العلمية والفكرية والارشادية غير آبه بالمعوقات التي اعترضت نهجه القويم في الحياة والناجمة عن مظاهر الفوضى وعدم الاستقرار التي سادت الامارة البابانية مراراً، فأسدى خدمات عظيمة لأبناء وطنه وسائر المسلمين وحتى رحيله النهائي عن الدنيا عام ١٢٥٤هـ / ١٨٣٧م ودفنه بناء على وصيته في مقبرة تلة سيوان الشهيرة والمزهوة باشجارها الاخاذة من الارجوان، تاركاً لاجيال امته كنزاً قيماً من مؤلفاته العلمية والادبية التي بلغت عشرات الكتب والمخطوطات والرسائل، وأثاره وذكرياته وسجاياه الخالدة في سفره العظيم.

وتتناول مؤلفاته عموماً موضوعات العقائد والفرائض والاصول والمنطق والبلاغة والمعاني والبيان والبديع والعروض، فضلاً عن كتاباته الصوفية ومدائحه النبوية وصلواته الالهية وقد صنف القسم الاعظم من تأليفه نظماً وكلها يدل على قوة ايمانه وغزارة علمه وأدبه ورفعة مقامه وامتلاء قلبه بالوجد الصوفي الطاهر.

المرشد مولانا خالد النقشبندي

ودوره الروحي والفكري في كوردستان وجوارها



يعتبر الشيخ ضياء الدين خالد بن احمد بن حسين من اولاد پير ميكائيل الدوراني، والمعروف بلقبه الذائع مولانا خالد النقشبندي، يعتبر الرائد والمرشد الاول للطريقة الصوفية النقشبندية المبجلة والشائعة في كوردستان الجنوبية وجوارها حتى الاناضول وايران.

ولد شيخنا مولانا خالد، الذي ينتسب الى عشيرة الميكائيلي من افخاذ قبيلة

الجاف سنة ١١٩٣هـ - ١٧٧٣م في ربوع قرداغ^(٧) حيث نال تحصيله الدراسي الاولى

على يدي والده التقي الامين ثم طاف بمختلف مناطق كوردستان لنيل العلوم والاستزادة منها، فدرس عند العلامة السيد عبدالكريم البرزنجي وشقيقه السيد عبدالرحيم والملا صالح التوماري، بعدئذ اكمل مولانا مشواره العلمي عند العلامة ابن ادم فالعلامة الشيخ محمد قسيم، رئيس العلماء في سنة (سنندج) والذي منحه الاجازة العلمية وأجاز له بالتدريس.

عاد مولانا بعد نيله الاجازة العلمية الى السليمانية فمارس فيها التدريس في مسجد عزيز آغا المصرف اولاً، ثم انتقل الى مسجد عبدالرحمن پاشا المعروف بمسجد بابا علي حيث درس فيه عقب وفاة استاذة السيد عبدالكريم البرزنجي (سنة ١٢١٣هـ) فافاد طلابه كثيراً في

٧- قرداغ، ناحية ومنطقة جبلية جميلة تابعة لمركز محافظة السليمانية وتقع في جنوبها الغربي.

تلقبهم العلوم والاداب السائدة.

قصد شيخنا الحج عام ١٢٢٢هـ، فمر في هذا السبيل بالموصل وبعدها ببلاد الشام التي التقى بعلمائها وادبائها وتبرك بأوليائها، ثم بلغ الحرمين الشريفين فأدى مناسك الزيارة فيهما. ويروى انه اخذ البشارة من بعض الصالحين في مكة المكرمة بأنه سيلبغ مراده في رعاية مرشد كبير وزكيه كثيراً، فتزود بالبشارة عائداً الى السلیمانية حيث انهمك بالتدريس والتعليم على دأبه السابق الى ان وصل السلیمانية ذات يوم احد منسوبي المرشد النقشبندي الكبير عبدالله الدلهي. فشوق هذا المنسوب (واسمه مرزا رحيم) شيخنا مولانا خان للسفر معه الى الهند وملاقة سيده هناك في مدينة دلهي التي كانت تكتظ عهدئذ بالعديد من العلماء والاولياء المرموقين.

وهكذا سافر مولانا مع الشخص المذكور عام ١٢٢٢ هـ بتأثير الاخبار التي سمعها منه عن بركات وافضال سيده (عبدالله الدلهي) في الهند، فتمسك هناك بطريقته ونهجه الصوفي السديد ونال عنده اجازة الطريقة فأصبح من مرشديها البارزين.

ثم عاد بعد مضي عام الى كوردستان فاقام اولاً في سنندج (سنه) منهمكاً بنشر آداب ومناهج طريقته النقشبندية التي أدخل أستاذه الشيخ محمد قسيم فيها. ولما عاد شيخنا الى السلیمانية هب الناس لاستقباله وتعظيمه كثيراً وحظيت طريقته التي دعا اليها ونشر تعاليمها وآدابها، باقبال كبير للغاية وبالشكل الذي اثار انتباه بل وقلق اتباع الطريقة القادرية التي سبقت شقيقها النقشبندية في بلوغ كوردستان والانتشار فيها

وبناء على توجيهات سيده (عبدالله الدلهي)، سافر مولانا الى بغداد بقصد زيارة مرقد الشيخ عبدالقادر الجيلاني حيث بقي في رحابه زهاء ستة اشهر، فعاد (عام ١٢٢٦هـ) الى السلیمانية مواصلاً ارشاده للسالكين وتعليمه للطالبيين، لكنه ما لبث ان عاد بعد فترة الى بغداد

متزهداً من الوضع المتوتر السائد في السلبيانية فاستقر في تكيته المعروفة بالخالية وواظب كدأه المعهود على الارشاد والتدريس فاستفاد منه عدد كبير من العلماء وطالبي العلم والمريدين الى ان زار بغداد الامير الباباني محمود پاشا بن عبدالرحمن پاشا فرجاء بالعودة الى السلبيانية. ولما عاد الى هناك بنى له الامير المذكور التكية المعروفة بـ(خانقاه مولانا خالد) ووقف على اهلها قرى واملاكاً عدة.

واصل شيخنا مولانا خالد، تحقيق أوج نجاحاته في مجال الارشاد والوعظ والتعليم وكانت اعداد تابعيه ومريديه وضمنهم العديد من العلماء النابغين تتعاظم باستمرار وهيبة تزداد القأ. فاصبحت العلاقة بين اهل الطريقتين (القادرية والنقشبندية) موضع شقاق بين اتباعهما من العلماء والامراء والاشراف وسائر المريدين وبالشكل الذي ساهم في زيادة توتر الجو المضطرب أصلاً في السلبيانية، فاستاء المرشد الحكيم مولانا الذي يحكى بانه تعرض للاغتيال في تلك الفترة، استاء من الوضع القائم كثيراً وعاد بسببه الى بغداد مجدداً ليستقر في تكيته السالفة الذكر (الخالدية) الى عام ١٢٣٨هـ حيث ارسل وكيله الشيخ (احمد هوليري) الى الشام في سبيل نشر طريقتة هناك، فبدأت ترد عليه طلبات والتماسات عدة تدعوه للتوجه الى تلك الديار، لذلك قرر شيخنا الرحيل الى هناك، فاستقر في مدينة دمشق مرشداً وعالمناً نابغاً.

بعدئذ زار مولانا بيت المقدس، وحج بيت الله الحرام وزار قبر الرسول محمد (ص) ثانياً عام ١٢٤١ هـ ثم عاد الى الشام مجدداً ليواصل نهجه المعهود وحتى وفاته بأجله الموعد عام ١٢٤٦ هـ - ١٨٢٦م جراء اصابته بالطاعون، فدفن بجبل قاسيون طيب الله ثراه، وبعد عدة سنوات من وفاته استلم مهمته ولده نجم الدين الذي رأى النور عقب وفاة والده الكريم فصار بدوره مرشداً معروفاً هناك وعلى خطى سلفه الراحل.

واجمالاً كان شيخنا الراحل مولانا خالد، مرشداً روحياً فذاً وعالمناً دينياً واديباً وشاعراً بليغاً له رسائل وقصائد كثيرة بالعربية والكوردية وقصائد

كثيرة بالعربية والكوردية والفارسية، الى جانب تأليفاته وشروحاته واثاره
الآخري المختلفة في مجالات اللغة والأدب والعقائد والتصوف والفقه
ومكتوباته الفارسية والعربية المتعددة، وقد طبع ديوان اشعاره في
اسطنبول بناء على امر سلطاني بهذا الخصوص.

جدير ذكره ايضاً، ان شيخنا الذي دأب على التدريس نهراً والارشاد
ليلاً، خرج على يديه العديد من المرشدين والخلفاء الذين واصلوا وأداموا
نهجه الصوفي النقشبندي في كردستان وخارجها ومنهم: الشيخ عثمان
الطولي، الملا عبدالله الجلي، الشيخ طاهر البامرني، الشيخ عبيدالله
النهري، الشيخ فتاح العقري، الشيخ عبيدالله الحيدري، الشيخ هداية
الازيلي، الشيخ موسى الجبوري والشيخ معروف التكريتي.

ويعد الشيخ عثمان الطولي (سراج الدين الاول) ١٧٧٥ - ١٨٦٧م
الذي ناب محل مرشده مولانا خالد في كردستان العراق عقب استقرار
الآخير في الشام، احد ابرز اقطاب الطريقة النقشبندية في عموم
كوردستان، وقد سبق له اللقاء والتعارف مع مرشده مولانا في ربوع
السليمانية ثم التقاه مجدداً في رحاب الحضرة الكيلانية ببغداد (عام
١٢٢٦هـ) ونال اجازة الطريقة منه عام ١٢٣١هـ، كما رافقه في سفره الى
دمشق (عام ١٢٣٨هـ) لكنه عاد بناء على أمر مرشده ومشورته الى
السليمانية ليكون خليفته هناك ومرشداً لطريقته فواصل نهجه الصوفي
القوم في تكيته (خانقاه مولانا خالد) بمدينة السليمانية ثم في ربوع
هورامان (طويلة وبيارة ضمن حدود حلبجة)، وادام اولاده وأحفاده مهمته
من بعده تباعاً

المرشد كاك احمد الشبيخ

شبيخ الفضائل والكرامات

هو الشيخ احمد بن الشيخ معروف النودهي والشهير عندنا باسم الحاج كاك احمد الشبيخ، وكان فريد عصره ودهره جامعاً في شخصيته المهيبة بين العلم والعمل والزهد والتقوى واصول الشريعة والطريقة وقد طار صيته فبلغ بلاد الهند وارحاء السلطنة العثمانية واشتهر بكونه خادماً أميناً ومعيناً دائماً للمسلمين والمحتاجين والضعفاء اجمعين.



كاك أحمد الشبيخ

ولد شيخنا عام ١٧٩٣م بالسليمانية وترى ونشأ في حضرة والده الجليل ورعاية اسرته المباركة ونال تحصيله ودراسته في رحاب مدرسة الجامع الكبير الذائعة التي كان يدرس فيها والده ويعاونه وقتذاك الملا محمود البير حسن؛ فبلغ مستوى فائقاً في تحصيله العلمي ونبغ كثيراً في علوم التفسير والحديث والفقه. وتدل تأليفاته وتعليقاته وآثاره الباقية على مستواه العلمي الرفيع الذي حظي به، كما انه تلقى عند والده الجليل الطريقة القادرية وترى عليها تماماً حتى استخلفه فيها ووصل الى درجة الارشاد الكامل. والمؤكد ان آثاره وأحواله وأحوال اتباعه في التقييد بالشريعة الغراء والزهد والادب لخير دليل على كرامة حضرة كاك احمد الشبيخ وفضائله الروحية والدينية والذي استطاع بسجاياه الطيبة ومآثره المشهودة أن يكون خير خلف لذلك السلف من سادات اسرة البرزنجية الكرام الذين قدموا خدمات عظيمة لاتنسى لدينا الحنيف وتراثه الفكري والروحي، ولاسيما فرع النودهي الذي ينتمي اليه شيخنا وحفدته العظام أمثال الشيخ سعيد وابنه المجاهد الشيخ محمود، ملك كوردستان.

واذا كان وفاة الشيخ معروف النودهى عام ١٨٣٧ قد ترك فراغاً كبيراً ووقعاً يماً في ربوع السليمانية ومحيطه، فان نجله كاك احمد الشيخ وفق تماماً في سد ذلك الفراغ ومواصلة نهج والده الراحل في مجال التدريس وخدمة العلم والدين والارشاد ونشر طريقته القادرية التي واصلت تألقها وتأثيرها المضطرد في عهده، وحافظ الجامع الكبير ومعه مدرسته ومكتبته، على دوره العلمي والحضاري الريادي الذي عرف به في عهد والده.

ورغم ان انتهاء الحكم الباباني في السليمانية نهاية النصف الاول من القرن التاسع عشر^(٨) ووقوع المنطقة تحت سيطرة الحكم العثماني المباشر كان ايذاناً بانتهاء بريق العهد السابق في حياة السليمانية وخارجها فان كاك احمد الشيخ استطاع بتأثيره ومهافته الروحية والاجتماعية وعلمه الغزير من اداء رسالته المعهودة في الحياة، وظل الجامع الكبير بفضلله مركز اشعاع علمي وديني نير رغم المصاعب والظروف القاهرة التي سادت هناك طويلاً.

اتصف شيخنا بجملة من الخصال والمؤهلات الفريدة التي جعلته مرشداً عظيم المقام وعالمأ طيب الذكر دوماً ونذكر من خصاله تلك؛ دوامه في خدمة المسلمين وعون المستضعفين واغناء واىواء المساكين وتدخلاته وتوسطاته المستمرة لدى الامراء والمسؤولين ودوائر الحكومة لصالح قضايا المواطنين وتسهيل معاملاتهم ورفع الحيف عنهم، وجهده الدائب في رعاية ودعم قراء ومجودي وحفظة القرآن الكريم وسعيه الحثيث في خدمة وتعظيم علماء الدين وطلاب العلم ورفع شأنهم في أعين الناس الذين اعتبروهم بمثابة ملائكة الارض كونهم حملة الشريعة الاسلامية السمحاء،

٨- سقطت الامارة البابانية فعلياً عام ١٨٤٧م عقب هزيمة جيش احمد پاشا أمام قوات نجيب پاشا والى بغداد العثماني عند منطقة (كوى - كويسنجق) وتم تعيين عبدالله پاشا (أخ احمد پاشا الباباني) بوظيفة قائممقام السليمانية عقب التاريخ المذكور وحتى عام ١٨٥١م حيث عزل واستبدل بشخص تركي.

وكذلك دأبه في نشر المواعظ الدينية والاجابة عن اسئلة واستفسارات المسلمين وفتاوي العلماء وبعث مكاتباته بواسطة تابعيه من اهل العلم الى الناس كافة على مختلف مستوياتهم وانتماءاتهم في اغراض العقائد والصلوات والصيام وسائر اركان الدين الاخرى. وأيضاً سعيه المشكور والحديث للإصلاح بين الناس وتحقيق الوئام بين المتخاصمين، وكثيراً ما كان يقضي شيخنا اوقاتاً طويلة بغية التراضي بين شخصين اثنين او بين الزوجة وزوجها، وهناك حكايات كثيرة مشوقة بهذا الخصوص لا مجال هنا لذكرها.

ومن جهة اخرى فان شيخنا جدد معالم الطريقة القادرية بدوام الذكر والفكر وزجر مريديه عن مخالفة السنة والكتاب وبذل جهوده الجبارة في مجال تربية وتهذيب مريديه وطلابه وارشادهم الروحي والمعنوي. والحق انه كان مرشداً جليلاً للمسلمين وخادماً نادر المثال للناس اجمعين.

ومن بين مواقفه المشهودة التي حفلت بها حياته الجهادية التواقة لخدمة المسلمين في اصقاع الارض المختلفة نذكر سفره لاداء فريضة الحج في الديار المقدسة ومكوته هناك ٤ سنوات كاملة باذلاً خلالها اقصى طاقاته في رعاية المسلمين عند المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة. كما أقام هناك في رحاب بيت الله بمكة المباركة مضيفاً لخدمة وايواء الحجاج الفقراء المعدمين الذين كانوا يلجأون اليه بدافع الحاجة. وعندما نشبت الحرب مع روسيا عام ١٨٧٧ جهز شيخنا قوة كبيرة من مريديه واتباع طريقته للجهاد والقتال بأمره حفيده الشيخ سعيد جنباً الى جنب الجيش العثماني.

يجدر ذكره أيضاً، ان هناك قصصاً وحكايات عجيبة عن كرامات وخوارق كاك أحمد الشيخ بلغت شهرتها آفاقاً واسعة، وقد اشار ادموندز الى هذا الموضوع باهتمام ومنوهاً ايضاً بحكاية الـ (گوله به ند) حجاب - حاجز الرصاص - الذي كان يمتلكه الشيخ. فعندما بلغت مسامع السلطان عبدالحميد الثاني وعن طريق واليه في بغداد نامق پاشا انباء معجزات

الشيخ وحكاية حجابيه الشهير، دعا (اي عبدالحميد) الشيخ الى زيارته في اسطنبول، لكن الشيخ اعتذر عن السفر بسبب كبر سنه فارسل نيابة عنه السيد محمد - مفتي السليمانية - ومعه الـ (گوله به ند - حجاب) ومكتوباً ضمنه نصحاً وارشاداً فاستقبله السلطان بغاية اللطف والاکرام.

توفي كاك احمد الشيخ عام ١٨٨٨م ودفن في مرقده المبارك الكائن في الجامع الكبير بالسليمانية والذي اصبح منذ ذلك التاريخ مزاراً مقدساً يتوافد عليه الزوار من مختلف الأرجاء، وغدا الجامع المذكور مبعثاً لإثارة ذكرياته العطرة وافعاله الطيبة التي يفوح شذاها مع عبق الورود والبساتين في مدينة السليمانية الساحرة، ونشير من بين آثاره المكتوبة الخالدة الى إرشاداته ومكتوباته الذائعة التي قدمها للقراء الكورد العلامة عبدالکريم المدرس باسم مكتوبات كاك احمد الشيخ والبالغ عددها مائة مكتوب.

الشيخ محمد عثمان النقشبندي

المرشد التقى الامين

يعد المرشد التقى الشيخ عثمان سراج الدين الثاني المولود عام ١٨٩٦م (١٣١٤هـ) أحد أقطاب الطريقة الصوفية النقشبندية العظماء وآخر شيوخها الراحلين الكبار والتي خدمها حضرته باخلاص طيلة سنوات عمره الطويل الحافل بالارشاد والورع والجد والجهاد.

نشأ شيخنا في بيت باركه الله تعالى بالايمان والعلم والادب وتعلق منذ صغره بجده الكريم وقطب زمانه الشيخ عمر ضياء الدين (١٢٥٥-١٣١٨هـ) الذي أحب حفيده الصغير حباً لا يوصف وغمره بعنايته وعطفه وكأنه أدرك بحدسه السليم وبصيرته المنورة بأن شأناً عظيماً ينتظر حفيده العزيز.

وعندما رحل الجد الكبير الى مثواه الأخير فان الحادث المفجع ترك أثراً ليماً عميقاً في نفس حفيده الذي كان في الرابعة من عمره وظلت مظاهر الاسى التي عمت افراد اسرته وسائر الاتباع والمريدين من المشاهد الاليمة التي ظلت في مخيلته ردحاً طويلاً من الزمن.

وكان والده المرشد التقى الشيخ علاء الدين (١٢٨٠-١٣٧٣هـ) حريصاً على رعاية ابنه النابغ واعداده ليكون المرشد الامين الحافظ على النهج الذي سلكه سلفهم العظيم وعليه الحق والده مع شقيقه ورفيق دربه الشيخ مولانا، وهما في سن صغيرة، بالمدرسة الدينية في بياره ونالا هناك ثم في ربوع (دوروه) الواقعة في الجانب الايراني قسماً وافراً من العلوم الاسلامية المتنوعة وقواعد وأداب اللغة العربية وسائر المناهج والدروس المتداولة.

ومثلما كان والدهما التقى حريصاً على تعليمهما مع سائر الطلاب واسوة بهم فإنه اوعز أيضاً باقامتهما ومبيتتهما في خانقاه (تكية) بياره ضمناً لسلامة اعدادهما وتكيفهما على حياة البر والتسكك وسط



الشيخ عثمان و الملك الحسين بن طلال

المريدين، ولم يسمح لهما في تلك السن المبكرة من حياتهما بمبارحة ذلك المكان المهيّب.

وهكذا نشأ وترعرع شيخنا عثمان في ظل ارشادات والده الشيخ علاء الدين محققاً النجاح والترقي في مراتب التدريس وآداب الطريقة والسلوك والتعبّد، وحظي بكامل ثقته وثنائه وهو في ريعان الصبا، ثم اوصي من قبله بالاشراف على بيتهم وخانقاهم في (دوروه) ورعاية شؤون مريديهم هناك. واجمّالاً كانت فترة شبابه حافلة بالجد والكد والجهاد ونذكر من مواقفه المشهودة في تلك الفترة مشاركته مع سائر الاتباع والمريدين في الجهاد ضد الروس وهو لم يتجاوز ١٨ عاماً.

وعقب وفاة والده الجليل ناب محله شيخنا عثمان ونهض بجدارة بمهام الارشاد خادماً للعلم والدين والفقراء والمساكين باذلاً ماله ووقته وراحته في خدمة الضيوف والمنسولين، ثم سافر بعد سنوات معطاء، من بياره الى دوروه مجدداً نهاية الخمسينات ليواصل رسالته المباركة في الارشاد والتعليم فبني في قرية (محمود آوا) القرية، تكية جديدة والتف حوله عدد كبير من العلماء والفقهاء النابغين. كما شغف شيخنا على دأب

والده الراحل بالحياة العملية فشق الجداول واقام القناطر والبساتين جاعلاً من (دوروه) و (محمود آوا) منطقتين عامرتين بالخير على مدار الفصول. عاد الشيخ عثمان الى بياره عام ١٩٧٩ وأقام فيها على نهجه المعهود وعظائه الخير لصالح المسلمين، لكن الحرب العراقية - الايرانية التي اندلعت عام ١٩٨٠ وعمت حدود البلدين وضمنها منطقته، جعلته يتوجه الى بغداد حيث التفت حوله حشود مريديه الذين وفدوا من كل حذب وصوب. كما كانت فاجعة حلبجة الاليمة عام ١٩٨٨ وخراب ديارها وضمنها بياره وطويلة وتشرد اهلها، صدمة مؤلمة للشيخ الذي سارع الى اعلان نصرته لابناء حلبجة المشردين ودعم قضايهم بكل السبل المتاحة. ويبدو ايضاً ان ذلك الحادث الاليم كان من الاسباب الرئيسية التي دفعته الى مغادرة الوطن والاقامة في الغربية لاحقاً. يذكر انه وقبل الشروع بذلك حرص على زيارة مراقدا الاصحاب الاطهار قرب سلمان پاك ومعه حشود اتباعه من مختلف الجنسيات والبلدان بتاريخ ١٩٨٩/٣/٢١ فتضرع هناك الى الباري تعالى داعياً منه نصرة اهله المشردين (اهل حلبجة وتوابعها) وتسهيل عودتهم الى وطنهم العزيز. بعدئذ غادر شيخنا الى الاردن ثم تركيا التي اختار فيها اسطنبول محلاً لاقامته الاخيرة فشيء هناك تكية (خانقاه) ومدرسة دينية وكما فعل ايضاً في لبنان والاردن وغيرهما.

كرس شيخنا سنواته الاخيرة في اسطنبول للارشاد والتقوى وخدمة الزائرين، واصبحت داره وخانقاه ملاذاً رحباً للكثيرين وبالاخص من المعوزين الذين كانت تنقطع بهم السبل في ديار الغربية.

زار شيخنا الاردن للمرة الاخيرة عام ١٩٩٦ وحظي بحفاوة بالغة من لدن العاهل الاردني الراحل (الملك حسين) الذي كان يكن للشيخ مودة عظيمة، فاعلن الملك حسين للشيخ عن استعدادة لاعمار الاماكن المقدسة في بياره وطويلة وعلى حسابه الخاص، لكن شيخنا شكره على هذا العرض النبيل مؤكداً بانه سيتكلف بذلك شخصياً وهذا ما تحقق فعلاً.

دنا كان جلالتة دائم الاتصال بأسرة الشيخ اثناء مرضه الاخير وحريصاً على معرفة وضعه الصحي، واستعداده لتقديم مايلزم بهذا الصدد، سادت قدرة الرحمن ان يرسل الشيخ عثمان عن الدنيا في اسطنبول عبيداً عن الاهل والوطن بتاريخ ١٩٩٧/١/٣ (١٤١٧هـ) وعن عمر طويل وثري تجاوز قرناً من الزمن وكان شقيقه الشيخ مولانا قد سبقه في الوفاة بيوم واحد (في ايران).

وبرحيله فقد شعبنا الكوردي والعالم الاسلامي شخصية فذة ومرشداً وعالماً واديباً مبدعاً حقاً، وكانت مجالس العزاء التي اقيمت له في العديد من الارزاء والحداد الرسمي الذي اعلن هنا بالمناسبة في كردستان العراق خير تقدير وتعظيم للمرشد الراحل الذي غدا ضريحه فس اسطنبول مزاراً مباركاً يتوافد عليه الزائرون من اصقاع الأرض المختلفة.

وأضافة الى ما ذكر كان شيخنا الراحل عالماً حكيماً في مجال الطب البدني والنفسي والمداواة بالاعشاب الطبية ونبع في أساليب الطب الشعبي وعلى دأب والده الشيخ علاء الدين. ولم تنحصر اثره الشاخصة الباقية في التكايا والمدارس الدينية والمساجد التي بناها وعمرها بل ان مؤلفاته المطبوعة ومنها كتابه سراج القلوب ومؤلفاته الشعرية الصوفية في جزئين ورسائله المتنوعة تعد هي الاخرى ارثاً قيماً يحظى بالشناء والتقدير دوماً.

وختاماً نقول ان ما اخترناه وقدمناه في سياق موضوعنا هذا عن الطريقتين القادرية والنقشبندية وشيوخهما في كردستان العراق يعد نزراً من سفر شيوخنا وعلمائنا الاكارم الذين نكن لهم جميعاً وعلى اختلاف توجهاتهم ومناهجهم الصوفية السديدة كل الاجلال والود والتبجيل.

ريج، سون، آدموندز

واستذكارات عن جولاتهم ومشاهداتهم في كوردستان
شغلت أرجاء كوردستان المختلفة، عبر القرون والاحقاب الماضية،
اهتماماً متواصلاً وملفتاً للنظر من لدن الرحالة والباحثين والسياح
والمبشرين الاجانب لاسيما الاوربيين منهم، والذين زاروا وتفقدوا بلادنا
خلال فترات زمنية متعاقبة خلت ودونوا عنها حصيلة مذكراتهم
ومشاهداتهم المختلفة التي ضمتها نتاجاتهم المتعددة من كتب رحلاتهم
وبحوثهم ومذكراتهم التي تعد مراجع علمية وتاريخية واركيبولوجية قيمة
عن وطننا، وهي ماتزال تحتفظ لحد يومنا هذا بقدر متعظيم من اهميتها
ورواجها رغم تقادم الزمن عليها وتحظى باهتمامات الدارسين والمتبعين
على اختلاف مستوياتهم، وامزجتهم. وبغض النظر عن انسياق عدد كبير
من هؤلاء وراء الاطماع والمخططات الاستعمارية لبلدانهم في بلادنا،
وعلى دأبهم في سائر اوطان الامم المغلوبة على امرها، وسعيهم الدؤوب
الى إخفاء الدوافع الحقيقية لمهامهم ورحلاتهم والتغطية عليها بستار
اهدافهم ومقاصدهم العلمية والسياحية والدينية المعلنة، فإن هؤلاء انجزوا
مؤلفات هامة للغاية عن تاريخ بلادنا وتضاريسها المتنوعة وطباع اهلها
ولغتهم وتراثهم القومي والحضاري والديني العريق. وهذه المؤلفات
تكتسب غالباً أهميتها القصوى بسبب تعدد وتنوع مواضيعها التي
غطت اكثر مجالات الحياة عندنا وخلال فترات من تاريخنا تكاد تكون
وقائعها وتفاصيلها في طي المجاهيل الحالكة.

وتعد رحلة الصائغ البافاري يوهان شلتبيرغر (١٤٧٣م) أول رحلة ورد فيها اسم الكورد. وتبعه لاحقاً الجوالون السياح الذين نذكر منهم: اوليا چلبى (١٦٦٣م) «الى جزيرة بوتان»، نيبور (١٧٦٦م) والقسيس فيدليس (١٧٨٤م).

وشهد القرن التاسع عشر نشاطاً ملحوظاً في هذا السباق حيث استقطبت بلادنا عدداً كبيراً من الرحالين والباحثين المعروفين أمثال وليم هود (١٨١٧م)، روبرت كريپوتر (١٨١٨م)، ج. ب. فريزر (١٨٣٤م) فيليكس جونز (١٨٤٢م)، المبشر الراهب أن غروفز (١٨٢٩م)، مانسل (٨٨٨م)، بورهارد (١٨٩٦م) وكذلك المستر ريج (١٨٨٢م) (الذي سنتطرق اليه لاحقاً).

وفي السنوات التي سبقت الحرب الكونية الاولى (١٩١٤-١٩١٨) زار كوردستان جمع من العلماء الالمان الافاذ كالبروفيسور اوسكارمان والپروفيسور فون لكوك والپروفيسور اوگست پيترمان والپروفيسور مارتين هارتمان الذين جمعوا معلومات قيمة عن لغة وآداب وتراث الكورد ونقلوا معهم الى بلادهم مخطوطات نادرة بهذا الصدد. كما جاب كوردستان والمنطقة خلال الربع الاول من القرن الماضي عدد آخر من الخبراء والباحثين قدموا نتائج قيمة عن رحلاتهم ودراساتهم المعمقة في الاماكن التي زاروها ومكثوا فيها لفترات احياناً، ونشير من بينهم ايضا الى: سون (١٩٠٩م) هابرد (١٩١٤م)، رايدر (١٩١٣-١٩١٤م)، ف منورسكي (١٩١٤م)، ادموندز (١٩١٩- ١٩٢٥م).

ومن جانبنا ارتأينا وفي سياق جهدنا المتواضع هذا الوقوف عند سير موجزة لثلاثة من الباحثين البريطانيين البارزين الذين مكثوا وعاشوا في العراق طويلاً بحكم وظائفهم ومصالح بلادهم الاستعمارية وتفقدوا كوردستان في ظروف مختلفة واقاموا فيها ردهاً من الزمن. وكانت حصيلة تواجدهم في كوردستان والعراق مؤلفاتهم الذائعة الثلاثة التي نغني موضوعنا هذا بالعديد من اللمحات والاقتباسات المختارة منها

وهؤلاء هم المستر ريج C.J Rich والميجرسون B.Soane وادموندز C.J. Edmonds أصحاب كتب (قصة اقامة في كوردستان وفي موقع نينوى القديمة) «في جزئين» ورحلة متنكر الى بلاد ما بين النهرين وكوردستان «في جزئين» و (كرد وترك وعرب)، وقد نقل الكتاب الاول الى العربية اللواء بهاء الدين نوري بعنوان رحلة ريج في العراق (١٨٢٠م) ونقله الى الكوردية منه الاديب محمد حمه باقي وترجم الكتاب الثاني الى العربية الاستاذ فؤاد جميل فيما ترجم الثالث الى العربية المحامي جرجيس فتح الله^(١)

١- كلوديبوس جيمس ريج (١٧٨٧- ١٨٢١م)



كلوديبوس جيمس ريج

نشأ ريج الفرنسي المولد وترعرع في ربوع مدينة بريستول الانكليزية التي انتقل اليها صغيرا مع اسرته، وكانت علامات النبوغ والذكاء بادية عليه منذ نعومة اطفاره وهو يطلع على المبادئ الاساسية للغتين اليونانية واللاتينية. وعندما بلغ عمره الثامنة وقع نظره يوما على مخطوطة عربية عند احد اشراف بريستول أثارت فيه شغفه التام باللغة العربية ودفعته للامام بأسرار الشرق عامة. ثم وفق بجهوده الشخصية وباعتماده على بعض المصادر المتيسرة لديه ان يتعلم القراءة والتحدث بهذه اللغة (العربية) وكذلك الالمام بعدد من اللغات الشرقية الاخرى والتعمق فيها^(٢)

١- تعرف هذه الكتب غالبا باسماء مؤلفيها التي طغت على عناوينها الاصلية، فيقال كتاب ريج وكتاب سون وكتاب ادموندز

٢- ومن هذه اللغات، اللغة الكوردية التي كان يتحدث بها ريج اثناء رحلته في كوردستان.

سحت الفرصة لريچ عام (١٨٠٣م) بتحقيق حلم طفولته بالوصول الى الشرق، عندما افلح وبمساعدة احد زملائه في التعيين لدى شركة الهند الشرقية بصفة تلميذ حربي، لكن مقدرته الفذة في اللغات الشرقية دفعت المعنيين بأمر الشركة في لندن الى تبديل وظيفته من السلك العسكري الى المدني واسندوا اليه وظيفة كاتب تحريرات في بومباي. ولكي يتقن ريج العربية والتركية اكثر، الحق اولاً بسكرتارية المستر (لوك) الذي كان يتوجه حينذاك الى القاهرة بصفته سفيراً للحكومة البريطانية هناك. وبينما كان ريج مسافراً عام (١٨٠٤م) وعلى متن سفينة شحن اسمها (هندستان) ليلتحق بالمستر (لوك) شبت النيران في السفينة المذكورة قرب السواحل الايطالية، لكن ريج وبحارة السفينة المنكوبة تمكنوا من النجاة والوصول الى البر بسلام، ثم وفق (اي ريج) في الاقامة بايطاليا ردحاً من الزمن فتعلم لغتها ودرس الموسيقى فيها.

وقبل التحاق ريج بمقر عمله المرتقب توفي المستر (لوك) فخيره مسؤولو الشركة في اختيار الوجهة التي تناسبه، فوجد ريج الفرصة سانحة لزيارة اليونان واسطنبول ثم ازمير التي استزاد فيها من اللغة التركية والمعارف الاسلامية. وجاب آسيا الصغرى قبل انتقاله عبر قبرص الى الاسكندرية، فعين مساعداً للسفير البريطاني في مصر الكولونيل (ميسيث)، ثم اتاحت له الفرصة لاحقاً لزيارة الشام فالحجاز، بعدئذ عاد الى دمشق وحلب، فسلك طريق ماردين - بغداد قاصداً البصرة ومنها الى بومباي حيث اقام.

وعندما اقتضت مصالح بريطانيا تعيين مقيم لها في بغداد باعتباره ممثلاً لشركة الهند الشرقية، وقع الاختيار على ريج لهذه المهمة باعتباره الشخص الانسب لها. وهكذا انتقل (بعد زواجه بفترة وجيزة) الى بغداد عام (١٨٠٨م)، وكانت حدود وظيفته تمتد الى البصرة ايضاً، فاستطاع بحنكته ودهائه ومقدرته الفذة ان يخدم مصالح بلاده السياسية والاقتصادية في العراق ويوطد علاقاته الشخصية مع الولاة الترك،

• سائر الاشراف والمسؤولين. وللتدليل على مركزه الاجتماعي الكبير في بغداد نذكر بأن داره غدت ملاذاً آمناً للولاة والحكام المدحورين الذين ثاب تطيح بهم الانقلابات والمؤامرات المتكررة.

استغل ريج اقامته في العراق لاجراء البحوث والدراسات والتنقيبات ، تمقد المواقع الاثرية في المنطقة، كما دأب كثيراً على جمع المخطوطات المتعلقة بالشرق والكثير من المنحوتات والعملات والقلائد القديمة وغيرها دفع من اجلها بسخاء.

سافر ريج مع زوجته عام (١٨١٣م) الى اوربا عبر اسطنبول، واثناء عودته من هناك الى بغداد أجرى في طريقه العديد من البحوث والتنقيبات وبالاخص في كنائس السريان والكلدان. وجمع معلومات عدة عن مناطق الازديين.

وبعد ان قضى سنوات في بغداد استغلها في مهامه الوظيفية وزيادة مقتنياته من المسكوكات الاسلامية والساسانية والرومانية، قرر ريج التواق الى السفر دوماً زيارة كردستان العراق عام (١٨٢٠م) بدعوى الترفيه ومقتضيات وضعه الصحي وقضاء الصيف الحار هناك. واثناء عودته من كردستان مر بالموصل وتفقد الاثار القديمة التي لم يتسن له سابقاً رؤيتها ومشاهدتها.

وبينما كان ريج يهياً نفسه لمنصب جديد في بومباي كان قد عين له من قبل حاكمها العام، هوجم مقر وظيفته بدسيسة الوالي العثماني، لكنه تمكن من التصدي للجهوم بقوة السلاح. ثم سافر الى البصرة منتظراً الاوامر الصادرة اليه بشأن مهمته التالية، فأستغل فترة بقاءه هناك لزيارة (شيراز) والاطلاع على خرائب كورش وپرس پولص فصادفت زيارته - لسوء حظه - انتشار وباء الكوليرا الذي أهلك الكثيرين وأجبر حاكم شيراز وأهلها الى مغادرة مدينتهم المنكوبة. وفي ٤ تشرين الاول (١٨٢١م) بانت اعراض الوباء المميت على ريج الذي توفي في اليوم التالي ودفن جثمانه في احدى الحدائق الملكية هناك واقيم له نصب

تذكاري تخليداً له، تاركاً من بعده بحوثه ومذكراته الشيقة ومجموعة كبيرة من المخطوطات الشرقية وعمالته وقلانده النادرة... التي اشتراها فيما بعد البرلمان البريطاني لمصلحة المتحف البريطاني وهي ما تزال محفوظة هناك. وقد اضطلعت ارملة بطبع كتاب مذكراته القيم المذكور في عام (١٨٣٦م).

ريج في ضيافة الاسرة البابانية بالسليمانية (١٨٤٠م)

غادر المستر ريج تصحبه زوجته وبطانة ضخمة من مستخدمي وحراس وموظفي المقيمة البريطانية، غادروا بغداد في شهر نيسان ١٨٢ قاصدين السليمانية بناء على دعوة الامير الباباني محمود پاشا وكان الغرض المعلن من سفرهم هو للترفيه والسياحة، لكن المرجح ان الرحلة كانت تخفي دوافع ومقاصد خفية خاصة بالمستر ريج نفسه^(٢)

سلك ريج واصحابه طريق دلي عباس - كفري - طوزخورماتو - طاقو - ليلان - چچمال حتى بلغوا مشارف السليمانية عند سرجنار واقاموا فيها للراحة والاستجمام قبل دخولهم عاصمة البابانيين وقبولوا هناك في ذلك الموقع الجميل العامر بالينابيع والحدائق العذبة الاخاذة، باستقبال حافل من قبل أركان الامارة البابانية الذين وفدوا لاستقبال ضيوفهم تباعاً وبضمنهم الامير الباباني نفسه. وفي ١٠ أيار صحب عثمان بك شقيب الامير ضيوفه الى قلب المدينة في موكب رسمي بهيج كانت تعلوه الاعلام وتصحبه أصوات الطبول والموسيقى الصادرة.

واجمالاً لقي ريج وأصحابه أبهى اشكال الضيافة الكوردية الاصيلة من لدن الامير وأسرته الحاكمة ورئيس وزرائه (محمود مصرف) وسائر وجهاء السليمانية، طيلة اقامتهم في السليمانية لأكثر من ٣ أشهر وعلى مرحلتين. دامت الاولى الى منتصف تموز ثم سافروا صوب كوردستان

٢- يحكى بأن تردّي العلاقات بين داود پاشا (والي بغداد) وريج وسعي الاول الى التدخل في شؤون الثاني كان السبب المباشر للرحلة، وقد أقرت زوجة ريج (ولها مذكراتها عن الرحلة) بأن داود پاشا كان يرتاب في أمر هذه الرحلة أصلاً.

السرقيّة فبلغوا مريوان وسنه - سنندج - ويانه باحثين عن طقس ابرد ثم عادوا اواسط ايلول الى السليمانية واقاموا فيها ثمانية لغاية ٢١ تشرين الاول.

بعدئذ استأذن الضيوف من مضيفيهم بالرحيل وساروا عبر دربندي بازبان، شوان ثم التون كويري باتجاه اربيل ومنها الى أسكي كلك فاحدين الموصل التي قضوا فيها اشهر الشتاء قبل ان يعودوا عن طريق دجلة (بالكلك) الى بغداد، مقر اقامتهم، في شهر آذار (١٨٢١م)^(٤)

كانت اقامة ريج في السليمانية اخصب فترات رحلته وأمتعها بالنسبة اليه وقد تسنت له خلالها فرصة الاطلاع التام على السليمانية وارجائها المجاورة ودراسة بيئتها وتاريخها ومعالمها الحضارية والعمرانية ونشاطاتها الاقتصادية والتجارية والظروف السياسية السائدة فيها.

قدر ريج عدد سكان السليمانية في تلك الفترة بعشرة الاف نسمة وعدد بيوتها بـ ٢١٤٤ بيتاً بضمنها ١٣ بيتاً لليهود و٩ للمسيحيين الكلدان الذين كانوا يمتلكون كنيسة صغيرة خاصة بهم و ٥ للارمن هذا اضافة الى ٥ خانات و ٥ حمامات فضلاً عن المساجد والمباني الخاصة بدار الامارة وامرائها^(٥)

والواضح أن الطابع شبه المستقل الذي حظيت به الامارة كان مترعزماً ومتأرجحاً بفعل تدخلات الترك والفرس في شؤون الاسرة الحاكمة ومكائدهم ودسائسهم المغرضة التي خلقت التنافر والتباغض بين آل بابان وبالشكل الذي فرض جواً قائماً على السليمانية، لكن ذلك الواقع السلبي لم يمنع ريج من ابراد وصف دقيق وآخاذ للبلاط الباباني ورجاله ومظاهر

٤- بدأت الرحلة في نيسان ١٨٢٠ وانتهت في آذار ١٨٢١ وبضمنها ٧ أشهر تقريباً في كوردستان بقسميها (الجنوبي والشرقي).

٥- اورد المنشيء البغدادي وهو الكاتب الفارسي لريج واحد اصحابه في الرحلة ارقاماً اكبر من تقديرات ريج بهذا الشأن، وقد ورد ذلك في كتاب (رحلة المنشيء البغدادي) الذي ترجمه عن الفارسية عباس العزاوي.

الحياة الاجتماعية السائدة هناك بحفلات اعراسها ومراسم مآتمها وفعالياتها الرياضية التي كادت تكون يومية كاللعب بالسيف وأصابة الهدف بالرصاص وقتال طيور القبج والمصارعة والفروسية والدبكات الشعبية الراقصة وغيرها.

والواقع ان اعجاب ريج بمضيفيه الكورد بلغ حداً ملفتاً وهو يشيد بسجايهم الطيبة وأمانتهم وكرمهم المفرط وشهامتهم وشجاعتهم وبساطتهم ووفاء مرؤسيهم لرؤسائهم وقت الشدائد والمصائب. كما اشاد ايضا بالمنزلة الرفيعة للمرأة الكوردية والحرية الكبيرة التي كانت تتمتع بها بالقياس الى المرأة العربية والتركية والفارسية، ولم يفت ريج ايضا الشناء على خلقها وعفتها وطهرها^(١) واشاد ريج بالقدر نفسه بالحرية التي كان يحظى بها الشباب الكورد في حضرة آبائهم وطابع الانفتاح والبشر الذي كان يسود مجالس القوم ويضمنها مجلس الامير الباباني نفسه.

وكان ريج بارعاً دقيقاً في وصف تفاصيل الحياة اليومية لسكان العاصمة البابانية وبعض مظاهر عمرانها المميزة ولاسيما الحمام الرئيسي في المدينة الذي عده نموذجاً فريداً في نظافته وبنائه ومتفوقاً على جميع حمامات الشام والقاهرة واسطنبول وسائر ارجاء الامبراطورية العثمانية.

وعلى العموم عاش ريج واصحابه اياماً سعيدة في ربوع السليمانية رغم المضايقات التي كانت تخلقها لهم الرياح الشديدة الحارة «رده شه با - الرياح السوداء»^(٧) والالام الناجمة عن استفحال مرض

٦- أشار ريج في مذكراته أيضاً الى موضوع سفر والده الامير محمود پاشا الى بغداد والاحتفاء بها من قبل والى بغداد وتكريمها بمنحها منطقة (قره حسن) والموافقة على اعادة حسن بك الشقيق الاصغر للامير الى السليمانية والذي كان قد فر الى بغداد قبل عام.

٧- رده شهبا: بمعنى الرياح السوداء وهي حارة صيفاً وزمهرير شتاء: وتهب من الشرق وتشبه رياح (الشرجي) في الجنوب و(الخماسين) في مصر.

المجدي الذي اودى بحياة العديد من الصغار ومن بينهم احد ابناء الامير نفسه وابن شقيقه عثمان بگ، وذلك رغم الاحتياطات والاجراءات التي اوصى باتخاذها ريج وزوجته في هذا المجال.

ولعل مضيفه الامير محمود پاشا كان واحداً من اعظم الرجال الذين قابلهم طيلة حياته، وهو الذي أشاد ريج كثيراً بكرمه المفرط وسماحته الكبيرة وعقله الراجح وورعه البالغ وعطفه اللامحدود واصفاً اياه بأنه رجل نادر المثال في الشرق بل وحتى في المجتمعات الراقية المتقدمة، وقد علل ريج سبب تعلق الامير بالحكام الترك، ورغم كل فظاظتهم وسلبياتهم تجاه حكم اسرته، باحساسه الديني العميق.

وكان الامير مستاءً من الوضع الداخلي المتأزم لاسرته الحاكمة وهو الذي اكد لضيفه العزيز على قلبه (ريج) بأن نهوض الحكومة البابانية أمر مستحيل الا ان يسلط الله طاعوناً على امرائها يفتك بهم ولا يترك منهم سوى شخص واحد!



كيخسرو بگ الجفاف كما

رسمه ريج

كما حظي ريج واصحابه بحفاوة بالغة ايضا من لدن أمير الجفاف كيخسرو بگ الذي سبق لريج ان تعرف عليه في السلمانية فقد هب هذا الامير القبلي الكريم واولاده وحاشيته لاستقبال هؤلاء (ريج وجماعته) وهم يمرون بمضارب عشيرته الصيفية عند سهوب مريوان قرب بحيرة (زربار) الجميلة قاصدين سنه وبانه، ويروى بأن سعادة الضيف كانت عظيمة هناك لحصوله على نسخة من كتاب (شرفنامه) للبدليسي.

والواضح ان افضال الكورد وطيبتهم تركت اعظم الاثر في ذهن ريج الذي كتب عنهم بضمير حي وامانة وصدق واعدأ بتخليد ذكراهم طيلة

عمره، لكن الاجل لم يمهله لينعم باستذكار تلك الايام الحلوة المشوقة التي عاشها في ضيافة الكورد، حيث توفي بعد عام تقريباً من تلك الرحلة الشهيرة الخالدة.

٢- الميجر سون (١٨٨١-١٩٢٣م)



الميجر سون

بعد الميجر ايلي بانستر سون احد ابرز الرحالة الذين جاؤوا بلادنا على مر العصور وهو صاحب الرحلة التنكرية الشهيرة التي انتحل فيها شخصية المرزا غلام حسين الشيرازي ليخفي شخصيته الانكليزية والمهمة الاستطلاعية (التجسسية) التي نفذها وتكيف من أجلها لكل الظروف والاحوال، وهو القائل «ان الكوردي مقدم شجاع ودائماً».

ولد (سون) بلندن وتعلم ونشأ هناك في كنف اسرته الانكليزية العريقة، ثم ارسل الى ايران عام ١٩٠٢ ليعين محاسباً في البنك الشاهنشاهي الايراني، ثم زار (يزد) التي اقام وتعلم الفارسية فيها وشرع بترجم رباعيات الخيام الى الانكليزية، وانتقل بعد ذلك الى بوشهر ثم شيراز التي اعتنق الاسلام فيها على المذهب الجعفري وقيل انه تزوج هناك أيضاً، وعمل في عام ١٩٠٦ مديراً لفرع البنك المذكور في كرمنشاه وشرع هناك يتعلم الكوردية والاطلاع على شؤون الشعب الكوردي، ثم استقال من الوظيفة عام ١٩٠٧م عائداً الى بلاده التي رجع منها مجدداً بعد امد قصير لينفذ رحلته الشهيرة (١٩٠٩م) التي جاء في اعقابها الى المحمرة فالتحق بخدمة شركة النفط الانكلو - فارسية.

وبعد اشهر عين (سون) مشرفاً على ابار النفط في چياسرخ قرب خانقين، فثائب قنصل فخري في قصر شيرين ١٩١٣م، وعندما اندلعت

الحرب الكونية الاولى اسره الترك ونقلوه الى مرسين، وعاد بعد اطلاق سراحه الى محل عمله السابق، وجيء به عام ١٩١٦م ليخدم في الحملة البريطانية على العراق فعمل في دائرة استخباراتها رئيساً لتحرير سحيفتها (بصرة تايمس)^(٨) واوفد بعدها الى مناطق البختيارية الايرانية فوفق بمعاونة عدد قليل من الرجال الكورد هناك بالقضاء على النشاطات الموالية للترك والالمان. تقلد (سون) بعد ذلك وظائف متنوعة وهامة في ديزفول، بغداد، مندلي وخانقين وارسل بعدها الى استراليا للعلاج من اغراض السل التي بانت عليه وقضى هناك ٦ أشهر فعاد منها ليعين عام ١٩١٩م حاكماً سياسياً^(٩) على السليمانية الساخطة على الانكليز فاحكم سيطرته عليها بسياسته الجامعة بين الحزم واللين والترغيب والترهيب معاً، وساعدته في مهمته مقدرته المتميزة في اللغة الكوردية وثقافتها وآدابها والمامة الواسع بشؤون شعبنا، هذا اضافة الى اساليبه الاستعمارية الطموحة والمتشكلة بفتح الطرق والمدارس وتشجيع الثقافة الكوردية.

أعيد سون الى بلاده عام ١٩٢١م فواصل العمل في تنظيم قاموس كوردي حفظت مخطوطته في معهد الدراسات الشرقية بلندن، ثم توجه بناء على نصح الاطباء الى بنزرت التونسية بقصد الاستشفاء فتوفي اثناء عودته الى بلاده وهو على متن احدى السفن (٢٤ شباط ١٩٢٣م).

بدأ (سون) رحلته الشهيرة في بلادنا عام ١٩٠٩م وقد حظي منذ مستهلها بحفاوة بالغة من لدن اهلنا في قرية صغيرة ومنعزلة بكوردستان الشمالية عندما ذبحوا له افضل دجاجة لديهم وزودوه بالكثير من الزاد وبالشكل الذي رسخ عنده انطباعه الايجابي عنهم، واصفاً اياهم بأنهم ٨- كانت صحيفة انكليزية، عربية اضاف اليها (سون) قسماً فارسياً.

٩- اورد الاستاذ جرجيس فتح الله في مقدمة ترجمته لكتاب ادموندز «كرد، ترك، عرب» ان الكتاب عندنا دأبوا على ترجمة تعبير Politlual Officer بالحاكم السياسي، لكنه «أي الاستاذ جرجيس» فضل ترجمته بالضابط السياسي كونه ادق واوفى بالغرض

(اي الكورد) طلائع شعب عظيم يشغل رقعة من الارض مساحتها ٢٥
الف كم من الاميال المربعة.

وصل (سون) الموصل قادماً بالكلك من (دياربكر) عن طريق نهر دجلة
وبدا رحلته في كوردستان بالاطلاع على مناطق الازديين التي قدم عنها
معلومات هامة وانتقل عبر اربيل وكركوك الى مناطق الشوان ثم الهموند
الذين نوه بشجاعتهم وبسالتهم وبأسهم وتمرداتهم الدائمة على العثمانيين
الذين دأبوا من جانبهم على قمع المتصدين الهموند ونفيهم ومعاقتهم.

تعرف (سون) في السليمانية على عثمان پاشا الجاف، امير الجاف
المعروف وقائم مقام حلبجة وقدم نفسه اليه باعتباره تاجراً فارسياً راعياً
في زيارة حلبجة، فدعاه الپاشا الى ذلك، وبالفعل قصد (سون) حلبجة
صاراً بشهرزور، وحظي بالترحاب والحفاوة من لدن اسرة عثمان پاشا
الارستقراطية النبيلة ولاسيما زوجته النابغة عادلة خانم وابنتها الشاعر
المعروف طاهر بك الجاف^(١٠) وهو يقدم نفسه اليهما باعتباره كاتباً
وتاجراً فارسياً يدعى (غلام حسين
الشيرازي).



عادلة خانم

دامت اقامة (سون) في حلبجة اكثر من
سنة أشهر وهي من اسعد ذكريات حياته
حيث عمل خلالها سكرتيراً للسيدة ومعيناً
لابنتها الشاعر (طاهر بك)، فيقول
ادموندز بهذا الصدد أن الذ صحائف
كتاب سون الشهير (كتاب رحلته) ربما هي
التي أتت الى وصف اقامته في حلبجة
عند اسرة الپاشا المعروفة والتي شغلت حيزاً

١٠- أخطأ سون بذكره ان طاهر بك هو ابن زوج عادلة خان، والصحيح هو ان
طاهر بك ابن السيدة عادلة من زوجها عثمان پاشا وهو شقيق الشاعر احمد
مختار الجاف وعزت بك.

كبيراً من ذلك الكتاب.

والملفت أن هناك تضارباً واضحاً بين ما أورده (سون) وبين ما ذكر في بعض المصادر^(١١) بشأن مغادرته حلبجه، فيذكر هو بأنه غادر المنطقة لطواعية بعد انتهاء مهمته وجاهدت عاذلة خان (وكذلك طاهر بك) لابقائه دون جدوى، فيما يذكر غيره بأنه غادر حلبجه بعد أن اطلع (طاهر بك) على حقيقة شخصيته الانكليزية ومهمته التي قدم من أجلها وتقول الرواية: ان الرجلين دأبا على التحدث في الامور الخاصة بينهما بالفرنسية التي كانا يعلمان شيئاً منها، وفي احد الايام زل لسان سون بلفظة (NO - كلا) الانكليزية فخلص طاهر - المرتاب اصلاً في شخصية محدثة (غلام حسين) - أن الرجل الانكليزي، وبعد الحاحه عليه، أخبره (سون) بالحقيقة فطلب منه طاهر المغادرة عاجلاً خوفاً على حياته من الحكومة. علماً أن عاذلة خانم اوضحت لادموندز يوماً، أن ابنها طاهر بك كان يشك دائماً في شخصية (سون) ويظنه اوروبياً لكنها اكدت وأوضحت لابنها إن (سون) ضيفهم وعليهم الا يتدخلوا فيما لايعنيهم!

سون وايام لاتنسى في ربوع حلبجه (١٩٠٩م)

يذكر (سون) ان باشوات الجاف كانوا حريصين على الوفاق والمصاهرة مع اسرة اردلان الكوردية العريقة في كوردستان ايران وقامت بين الطرفين احواف ومصاهرات اغاظت الترك الذين كانوا يودون رؤية الجاف على غير وفاق مع جيرانهم الفرس، وبالضد من ذلك مضى عثمان باشا الى (سنه) يوماً وعاد منها بعروس من سلالة اسرة وزراء اردلان كان ابوها يشغل منصباً رفيعاً في طهران، وما ان حلت تلك السيدة وأسماها عاذلة خانم في حلبجه حتى شرعت في تدعيم مركزها وسطوتها مستفيدة من

١١- ومن هذه المصادر ديوان طاهر بك المطبوع في السليمانية ١٩٣٦ وقد أشار الى ذلك آخرون امثال الاستاذ السجادي وادموندز، فيما ذكر (سون) بأن الشخص الوحيد الذي اهتدى الى حقيقته هونصراني موصلي أخاه في السليمانية وقد صارحه سون بحقيقته في كركوك وهما يهمان بالسفر الى بغداد.

قابلياتها الشخصية الفذة وهيبة اسرتها الاصيلة والحرية التي وفرها لها زوجها، فشيدت بيتين فاخرين لانظير لهما في السليمانية وعلى طراز سنه (مهد اسرة ارلادن الحاكمة) وقام بينائهما بناؤون فرس كبار فصارا مأوى الكرام ومنزل الاضياف، ودأبت على ابقاء المواصلات مفتوحة مع سنه وشرعت تأخذ بزمام السلطة في حلبجه وشهرزور في ظل غياب زوجها الطويل بفعل مشاغله الحكومية في الموصل وكركوك والسليمانية وغدت الحاكم الفعلي هناك، فبنت سجنًا جديدًا واقامت محكمة قضائية كانت هي رئيستها كما بنت سوقاً مزدهرة مؤلفة من أربعة صفوف من الدكاكين المسقفة والمقبة، وعلى ذلك انصبت التجارة على حلبجه والتي كان اليهود يؤلفون الشطر الرئيسي من اربابها، وبهذا تحول الموقع الذي كان مجرد قرية صغيرة مهملة سابقاً الى بلدة مزدهرة حقاً وبالشكل الذي جعل عقارب الحسد تدب في قلوب المسؤولين العثمانيين الذين ارادوا فرض سلطتهم على حلبجه وعن طريق مد اسلاك البرق اليها، لكن ابناءها قطعوا الخط المذكور تعبيراً عن رفضهم لاجراء الحكومة الهادف الى بسط سلطتها على بلدتهم، فنصحت السيدة عادلة المسؤولين بالا يعمدوا الى اصلاح الخط المذكور وانذرتهم بأن قومها سيعمدون الى قطعه مجدداً وينفس السرعة التي يتخذونها هم في اصلاحه! كما حرصت (عادلة خانم) باصطناع الطراز الايراني في غرس الحدائق والبساتين في حلبجه وضواحيها، وهذه لا سبيل الى رؤيتها الا في بلاد فارس فقط! وهي باختصار بساتين من الشجر العارش الضخم. ومثلما يذكر (سون)؛ ففي هذه الزاوية القصية من الامبراطورية التركية المتردية بقعة صغيرة فذة تسامت تحت ظل حكم امرأة كوردية ونمت من قرية الى بلدة في سفح جبل كان اجرد وغدا اليوم مونقاً تزينه البساتين.

واذا كانت اقامة (سون) في حلبجه تشغل ربما اروع صحائف كتابه، مثلما يرجح ادموندز، فاننا نرجح بدورنا ان تكون تفاصيل مقابلته الاولى للسيدة عادلة ووصفه لها والتي استطالت ساعة وزيادة هي قمة ما جاد

بها قلمه المقتدر واسلوبه القصصي المشوق الزاخر بالالوصاف والتساوير
الاخاذة، والتي نختار منها:

«وعلى ما هو متواضع في كوردستان تعتد هذه المقابلة خاصة،
لذلك لم اجد اكثر من ١٢ خادماً وتابعاً ومسلحاً يقفون عند
الباب انتصاباً وكانت ارضية الغرفة مفروشة بسجاد فاخر من
(سنه) وفي النهاية القصوى كان ثمة سرير ضخمة... وأمام هذه
السيدة وعند قدميها بساط طويل مغطى بالحرير جلست عليه
تدخن لفيفة (سيكارة)، أن اللحمة الاولى دلت على انها من
اصل كوردي خالص، أن وجهها ضيق بيضوي وذات عيني
صغيرتين سوداوين براقتين وأنف نسري قلبلاً وكلها امارات
دالة على ذلك الاصل، وتنسجم نحافتها تماماً مع العادة
المتبعة بالنسبة للقوام الكوردي وهو قوام لاتعتوره سمنة ابداً...
وكان غطاء رأسها من النوع الذي يصطنعه (الاكراد الفرس)،
طاقية (عرقچين) ذات حلقات من عملة الذهب تقوم الواحدة
منها فوق الاخرى وترتبط بكفية من حرير مما صنع في (يزد)
و(كاشان) وعلى جانبي الجبهة تتدلى حوافي الشعر المرسل
التمطي من الفودين حتى الخدين وتحت الاذنين... أن الشعر
الخلفي الاسود مظفور وهو يختفي تحت الكفية الحريري المتدلية
من غطاء الرأس. أن لبوسها كله حرير من الرداء الطويل
المفتوح الى السروال. وكانت قدمها عاريتين مصبوغتين
بالحناء، وتزين كاحلها ومعصمها حلقات من الذهب... وفي
يديها ١٧ خاتماً رصعت بجوهر كثير وحول رقبتها قلادة من
لؤلؤ.

كانت احدى النسوة تصطنع مروحة لتهديتها، وأخرى تحمل
الدخينات (الساكاي) على استعداد لتقديمها لها، كما ان
خادمة كانت تنتظر حاملة الشربت وماء الورد. وما ان دخلت

الا تبسّمت السيدة وأشارت بأن أقعد على السجادة قربها، ثم سلمت علي بالسّلام الكوردي القديم (وترجمته اهلاً وسهلاً بك... خدمتك على عيني صحتك جيدة بفضل الله ولطفه!!)

كانت تصطنع لسان (سنه) الفلاحي، موطنها الاصلي ولا تصطنع لهجة السليمانية الرخوة... وكانت نغماتها خاصة واضحة حاسمة ومقتضية وكانت تفهم الفارسية فهماً تاماً وذلك بالرغم من أنها كانت تتكلم بها على أستحياء قليل، وأمام شخص لم تعرفه الا باعتداده فارسياً...»

٣- سسيلم جون ادموندز (١٨٨٩-١٩٧٩م)



ولد آدموندز في اوساكا باليابان التي كان والده القس والثر آدموندز يعمل فيها، ثم نشأ ونبغ في بلاده (انكلترا) حيث تعلم العربية والتركية والفارسية بجامعة كمبردج والحق ترجماناً بالسلك القنصلي عام ١٩١٠، وخدم بعده في اسطنبول وبوشهر، وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى عين بصفة معاون ضابط سياسي في الحملة العسكرية البريطانية

على العراق عام ١٩١٥ وخدم بهذه الصفة في العراق وايران ايضاً، ثم الحق في عام ١٩١٩ بحملة فريزر الموجهة من كركوك الى السليمانية للقضاء على ثورة الشيخ محمود الاولى وعمل في الحملة باعتباره ضابطاً سياسياً فيها.

واصل ادموندز عمله كمعاون ضابط سياسي في حلبجه التي جاب في ارجائها وتفقّد معالمها الاثرية والحضرية ضمن حدودها الواسعة في مناطق الجاف وهه ورامان^(١٢) قبل أن ينتقل بحكم مصالح الحملة البريطانية

١٢- تشمل منطقة هورامان في كردستان العراق قصبات خورمال، بباره وطويلة ضمن قضاء حلبجه.

الاستعمارية الى رانيه فمكث في طريقه أياماً أخرى في السليمانية التي سبق له العمل فيها عقب احتلالها من قبل الجيش البريطاني في حزيران ١٩١٩ اثر انتكاسة الانتفاضة الاولى للشيخ محمود في واقعة (دربندي بازبان). وعكف خلال وجوده في السليمانية مجدداً وعلى دأبه السابق بدراسة المناطق التي لم يسمح له الوقت سابقاً لمشاهدتها والبحث فيها مثل سورداس، وتانجرو وسهرچنار (١٣)

وعقب وصوله الى رانيه مباشرة اضطلع آدموندز بمساهمته الفعالة في الشاطات العسكرية لجيش الاحتلال هناك وبالاخص الموجهة منها ضد النفوذ التركي في المنطقة ولاسيما عند راوندوز، ثم اعيد آدموندز الى بغداد ليتولى فيها بعض المهام الى ان صدر أمر تعيينه كمستشار قسم كركوك على ملاك وزارة الداخلية (عقب تأسيس الدولة العراقية الحديثة)، وبناء على ذلك غادر آدموندز بغداد قاصداً كركوك في ٢ ايلول ١٩٢٢م وكان معه في القطار المتوجه الى كفري الشيخ محمود العائد من النفي والميجر نوثيل^(١٤) فبلغوا في صبيحة اليوم التالي محطة القطار الموجودة غربي بلدة كفري والتي احتشدت فيها الجموع الغفيرة من السكان الكورد والتركمان والعرب الذين هبوا لاستقبال الزعيم الكوردي الكبير.

وبعد اقامة دامت ثلاثة ايام في ربوع كفري المبتهجة بعودة الشيخ، تفرق آدموندز عن الآخرين قاصداً محل عمله في كركوك، وظل آدموندز طيلة عامين ونصف في كركوك (وقد أبدل فيها عنوان وظيفته الى مستشار اداري) فبذل خلالها جهداً سياسياً وعسكرياً كبيراً خدمة لسياسة المحتلين الانكليز في المنطقة حيث ابدى نشاطاً محموداً خلال

١٣- سورداس: موقع وجبل مرتفع بين السليمانية ودوكان، تانجرو: نهر التاج يمر اسفل السليمانية عبر شهرزور، سهرچنار مصيف جميل قرب مدينة السليمانية.

١٤- الميجر نوثيل: المشاور السياسي وممثل المندوب السامي البريطاني في السليمانية في تلك الفترة.

العمليات العسكرية (البرية والجوية) الموجهة ضد مساعي الشيخ محمود الثورية المتكررة في السليمانية من جهة، والهادفة الى احكام قبضة الاحتلال على مناطق التوتر ونفوذ الترك ضمن اربيل من جهة أخرى، وقد تكلفت مساعي المحتلين بالنجاح في عام ١٩٢٤ حينما أعادوا سيطرتهم على السليمانية واحكموا قبضتهم على رواندوز بعد دحر قوات القائد التركي (أوزدمير) هناك، وقد تنقل ادموندز في هذا السبيل مراراً وتفقّد مواضع النزاع براً وجواً على الدوام.

ولما جاء وفد عصبة الامم لتقرير مسألة الموصل عام ١٩٢٥ الحق به بصفة ضابط ارتباط وكان واحداً من الافراد القلائل الذين وقفوا على اسرار تلك القضية الشائكة وعبأوا لها مجهوداتهم في سبيل كسبها لصالحهم، وقد اشار صراحة الى الدور الحاسم للكورد في انهاء تلك القضية مؤكداً، انه لولا صلاية وواقعية الكورد السياسية لكانت تلك الولاية قطعت برمتها من العراق.

ثم عمل في تحديد الحدود العراقية التركية والعراقية السورية (١٩٣٢م) فمستشاراً في وزارة الداخلية العراقية (١٩٣٥ - ١٩٤٥م)، عاد بعده الى لندن فعين مستشاراً في وزارة الخارجية البريطانية، واوفد الى جنيف مندوباً دائماً في المؤسسات الدولية للاجئين ثم رفع الى درجة وزير مفوض واعتزل الخدمة سنة ١٩٥٠، ليقوم بعد ذلك بالقاء المحاضرات باللغة الكوردية في معهد الدراسات الشرقية الافريقية التابع لجامعة لندن خلال ١٩٥١-١٩٥٧م.

ارتبط ادموندز بصلات وثيقة مع اعلام بلادنا ولاسيما توفيق وهبي الذي ظل على اتصال به دوماً وقد اشتركا معاً في تأليف معجم كوردي - انكليزي عام ١٩٦٦م، وظل دائم النشاط والحركة حتى وفاته في حزيران (١٩٧٩).

الف ادموندز كتباً اشهرها (كرد، ترك، عرب) ١٩٥٧م، زيارة الى لالش ١٩٧٦م وله مقال هام عن الخلفية الدستورية للقضية الكوردية في العراق

نشر عام ١٩٦٩م في مجلة كوردستان الصادرة بالانكليزية في لندن، لسان حال جمعية الطلاب الكورد في اوروپا.

يوصف ادموندز بانه في مقدمة الخبراء في شؤون الكورد ولغتهم في العصر الحديث. وهو موظف بريطاني كبير عاش في العراق اكثر من ٣٠ عاماً وكانت له الكلمة المسموعة في المناصب التي شغلها جميعاً، وكان يتقن الكوردية بكل لهجاتها الرئيسية اضافة الى معرفته بالعربية والتركية والفارسية أيضاً، ويعتبر كتابه الذائع الصيت (كرد، ترك، عرب) والجامع بين السياسة والرحلات والبحوث من اهم المؤلفات والمراجع عن الكورد وبلادهم، وهو ثمرة بحوثه ودراساته ومشاهداته الدائبة في المنطقة خلال (١٩١٩ - ١٩٢٥م) وقد تحف مؤلفه من خلاله قراءه بمعلومات قيمة عن تاريخ الكورد ومظاهر بينتهم الجغرافية في كوردستان العراق وحياتهم الاجتماعية والقبلية ومذاهبهم الصوفية وأصولها مع التنويه بنتائج بعض شعرانهم النابغين.

أن الاساس الذي بنى عليه كتابه الشهير ذلك، كما يؤكد ادموندز نفسه هو التاريخ السياسي للنزاع بين بريطانيا وتركيا على ولاية الموصل (محافظات نينوى، دهوك، اربيل، كركوك والسليمانية حالياً) مضيفاً اليه مجموعة تجارية الشخصية الخاصة من عمله في مواطن النزاع، وقد حاول في هذا الاطار العمومي رسم صورة لمجتمع كوردستان العراق (كوردستان الجنوبية) وتقديم وصف جغرافي له، وهو القائل «ان كوردستان بلاد جبال شم ذات طرق ومسالك وعرة، ظلت قروناً لم تتمتع بوحدة سياسية تمنحها تراثاً أدبياً عاماً مشتركاً ولهذا اختلفت لهجاتها المحلية من واد الى واد الا ان المزايا الجوهرية في اللغة الكوردية تبدو بارزة واضحة في تلك اللهجات».

ادموندز مشاهدات ومواقف في كركوك

(١٩٢٢-١٩٢٥م)

عاد ادموندز الى كركوك في ايلول ١٩٢٢ ليباشر بمهام وظيفته الجديدة كمستشار قسم ثم كمستشار إداري، كما أسفّلنا، وكان على اطلاع كبير بأوضاع المنطقة بالنظر لعمله السابق هناك عام ١٩١٩م باعتباره ضابطاً سياسياً في قوة فريزر يوم كان الرائد لونجريك حاكماً سياسياً في كركوك المعروفة بأهميتها المتعددة الأغراض من الناحية السياسية والعسكرية والادارية.

كان متصرف اللواء في تلك الفترة هو فتاح پاشا - الجنرال السابق في الجيش التركي ومن اهالي طوزخورماتو اصلاً- الذي اعتاد على توكيل معظم اعماله الرسمية على عاتق ادموندز الذي كانت تربطه به علاقات

قوية، فيما كان رئيس البلدية مجيد بگ

اليعقوبي زاده، ومدير الشرطة مراد بگ

المنتمي الى عشيرة الكيژ من جهة الام،

وكانت شخصية نائب رئيس المحاكم (عمر

نظمي بگ) تطفى على شخصية رئيسه

تماماً. ومن وجهاء كركوك حينذاك نذكر

عزت پاشا الذي أصبح وزيراً للاشغال

والاسكان في أول حكومة عراقية، وناظم

بگ عميد اسرة النفطجي زاده وسيد احمد

خانقاه الرئيس الروحي المعروف والشيخ

سيد أحمد خانقاه

محمد علي الطالباني وكذلك رئيس

الاساقفة الكلدان في كركوك. كما كان يتواجد في كركوك عدد من

الضباط والموظفين الانكليز وسرب من المقاتلات البريطانية وفوج المشاة

(٥٨) الهندي وسرية من خيالة الليفي، وكان هناك ايضاً في سوق المدينة

عدد من البقالين الهنود الذين تبعوا جيش الاحتلال الى المنطقة.



وبغض النظر عن الاعباء الوظيفية والمهام العسكرية والسياسية التي كفل بها ادموندز في كركوك، تبعاً لمصالح ومخططات المحتلين وطيلة امامته في كركوك التي دامت عامين ونصف واشرنا اليها سلفاً بايجاز شديد، فانه وجد هناك الفرصة كي يستمتع بهواية التنزه وصيد الطيور البرية، وبالأخص في الأطراف الجنوبية من كركوك وصولاً الى ضفاف نهر سيروان. هذا اضافة الى نزحاته وجولاته التفقدية (غربي مدينة كركوك) بين التلال الاثرية الزاخرة بالصوانيات وكسر الفخار والرقم الاجرية ذات الكتابات المسمارية القديمة جداً والتي كانت تثير اهتمام طبيب الصحة المدني (وليام كورنر) كثيراً، وهو المعروف ببحوثه واستطلاعاته الدائبة في هذا المضمار وبالاخص اثناء جولاته الصحية في المنطقة.

كما ونوه ادموندز باكتشاف اثري مهم حصل في عام ١٩٢٣م عندما عثرت جماعة من الليفي - الاثوريين - اثناء قيامهم بتسوية لساحة العرضات المقابلة لشكنتهم، عثرت على جرة مختومة مثلت الى حافظتها بالفي مسكوكة نقدية ساسانية تقريباً، وبعد توزيعها حظي (كورنر) بمجموعة منها وجد المتحف البريطاني فيها ما يمثل خمسة ملوك وهم (قباز الاول ٤٩٩-٥٣١م) و (خسرو الاول ٥٣١-٥٧٩م) و (خسرو الثاني ٥٩٠-٦٢٨) و (هرمزد الرابع ٥٧٩-٥٩٠) و (بهرام السادس ٥٩٠-٥٩١) واخر المسكوكات يعود تاريخها الى ٦٠١م وهناك مايميل الى الافتراض بأن ذلك الكنز كان قد دفن عندما أخذ الجيش الاسلامي بهدد كركوك بعد معركة القادسية الفاصلة عام ٦٣٦م.

ومن المواقف المحرجة التي تعرض لها المحتلون في كركوك في تلك الفترة، نشير الى ما أورده ادموندز بشأن حالة الهياج والهستيريا التي اصابت المدينة في شهر كانون الثاني ١٩٢٣ بينما كانت مباحثات لوزان ما تزال جارية^(١٥) فقد توضح بأن الترك يحشدون قواتهم في منطقة الجزيرة

١٥ افتتح مؤتمر الصلح في (لوزان) بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٢ وكان اللورد كورنر وعصمت اينونو الممثلين الرئيسيين لبريطانيا وتركيا، ولم يتفق الطرفان في =

القريبة من زاخو، وانبثقت في عشية وضحاها لجان سرية موالية للترك في كركوك يساهم فيها معظم الاسرة المتنفة، فيما كانت السليمانية الثائرة بقيادة الشيخ العائد من المنفى، تعيش حالة عارمة من الحماس الوطني، وفي وجه هذين التهديدين الداخلي من قبل الموالين للترك في كركوك، والتهديد الأخر من السليمانية، وجد المحتلون وازلامهم انفسهم في ورطة كبيرة كلفتهم العديد من المجهودات والاحتياطات والمناورات السياسية والعسكرية، قبل أنفراج الوضع بالنسبة اليهم، بعد جهد جهيد. وبالنظر لتحميل السيد أحمد خانقاه المسؤولية المباشرة عن اثاره التمرد داخل كركوك، فقد تقرر بناء على طلب ادموندز والمتصرف اعتقاله وابعاده الى بغداد، وكان هذا الاجراء دقيقاً وخطراً تبعاً لمنزلة السيد الدينية ونفوذه الروحي، وعندما واجهوه بالتهمة والاجراء المتخذ ضده رد على المتصرف وادموندز بمزيج من الجد والاستخفاف والاستنكار، ولما احتج على امر نقله من كركوك وبهذه السرعة وقبل التهيؤ لذلك، اقتضت الحاجة استدعاء النقيب (ريف) مفتش الشرطة الذي نقر على كتف السيد وأشار اليه بتنفيذ الامر، فجذب السيد طيات جيبته الى صدره وبحركة كبيراء وتعاطف دفع رأسه الى الوراء وهو يخرج من الغرفة حيث تبلغ بالاجراء، فنقل الى المطار حيث كانت بانتظاره طائرة ذات محركين اقلته الى بغداد وعندما التقى به ادموندز في ظروف تالية طيبة وجده لا يقر بالتهمة ولا ينفىها وإنما شكاً بأنه لم يعط اغطية كافية ليتقي برد الطائرة الشديد! (١١).

= المؤتمر على حسم مشكلة ولاية الموصل التي كانت تركيا تطالب باعادتها اليها، فتقرر ارجاء هذا الموضوع الى وقت آخر (بعد سنة) على ان يحال النزاع الى عصبة الامم حال فشل الطرفين في التوصل الى اتفاق.

١٦- وازضافة الى المطار البريطاني (العسكري) في كركوك فان الانكليز اوصلوا اليها الخط الحديدي الممتد من بغداد عبر حدود كفري وطوزخورماتو وذلك باشراف المهندس اليك هولت في عام ١٩٢٤.

الانتفاضة الاولى للشيخ محمود الحفيد

ظروفها، انتكاستها، معطياتها

في السادس من شهر تشرين الثاني عام ١٩١٤م، أي بعد يوم واحد فقط من إندلاع الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية، بلغت الحملة العسكرية البريطانية القادمة عن طريق البحر، ميناء الفاو فأحتلته سريعاً، فأصبحت بلادنا سريعاً ساحة رئيسية من ساحات الحرب الكونية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) في الشرق الاوسط والتي تمكن المحتلون الجدد خلالها من بسط سيطرتهم على الشطر الاعظم من بلادنا في الجنوب والوسط والشمال. ولما توقفت تلك الحرب في ظهراليوم التالي من توقيع هدنة مودروس (٣٠ تشرين الأول ١٩١٨) بين الطرفين المتحاربين، كانت القوات البريطانية الاستعمارية على بعد ٤٠ ميلاً فقط جنوبي الموصل وهي تطارد فلول الجيش العثماني المنهارة على طول نهر دجلة. وكانت تلك القوات قد احتلت في وقت سابق خط المدن والقصبات على الطريق العام بين خانقين والتون كوبري، وبضمنها كفري التي دخلتها في ٢٨ نيسان ١٩١٨م فكركوك التي احتلتها في شهر آيار ثم اختلتها بعد ٢٤ ساعة لتعيد احتلالها مجدداً قبل الهدنة المذكورة بخمسة ايام، واخيراً احتلت القوات البريطانية الموصل يوم ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٨ رغم احتجاج القائد التركي وذلك تطبيقاً لشروط المادة (١٦) من الهدنة، فطلب من الجيش التركي الجلاء عن كل ولاية الموصل. وفي غضون تلك الظروف وتبعاً لمقتضيات مصالحهم ومخططاتهم



الشيخ محمود الحفيد

الاستعمارية في المنطقة، شعر المحتلون الانكليز بضرورة التعاون مع الشيخ محمود الحفيد الزعيم الوطني والقومي البارز وعميد اسرة سادات البرزنجية المعروفة والذي سبق وان حارب ضدهم على رأس المجاهدين الكورد في معركة الشعيبة (عام ١٩١٥)، وذلك بغية استمالته الى جانبهم، فخططوا لاقامة نظام ادارة مؤقت في السليمانية يكون محل رضا سكانها الكورد التواقين الى نيل حقوقهم ومطالبهم القومية المشروعة في ظل معطيات ونتائج الحرب العظمى. وللترويج لهذه السياسة ارسلت سلطات الاحتلال الميجر نوبيل الى السليمانية فابلغ الشيخ ان اية قبيلة أو جماعة تسكن بين نهري سيروان (ديالى) والزاب الكبير، لها كامل الحرية بالانضمام تحت زعامته في حال رغبتها بذلك.

ثم عين الشيخ حكمداراً في السليمانية (تشرين الثاني ١٩١٨م) وعين له الميجر (نوبيل) مستشاراً بمنصب ضابط سياسي (والميجر دانليس) مستشاراً عسكرياً، كما تم تعيين معاوني ضباط سياسيين لاقضية

جمچمال وحلبجة ورائية، وتكفل ضباط آخرون بتدريب قوة عسكرية بأسم
لبفي السليمانية إضافة الى تنظيم جهاز شرطة على النمط الحديث.

لكن التعاون بين الطرفين لم يدم طويلاً إذ توترت العلاقات بينهما
سريعاً بسبب اختلاف الاهداف والنوايا الى حد بعيد، فالشيخ كان معروفاً
بتطلعاته وطموحاته الوطنية والقومية الواسعة، والانگليز كانت تهمهم
مصالحهم ومقاصدهم الاستعمارية الخاصة التي قدموا من اجلها اصلاً
وسعوا بكل السبل والامكانات المتاحة امامهم من اجل ضمانها وحمايتها
فكان أمراً محتملاً والحال كذلك، أن يسعى الانگليز من اجل احتواء
الشيخ الحفيد أولاً تمهيداً للاطاحة به نهائياً في أقرب فرصة متاحة.

ولما تعين الميجر سون ضابطاً سياسياً في السليمانية خلفاً لنوئيل، راح
يعمل بكل ما عرف به من أصرار ودهاء في سبيل تقويض سلطة الشيخ
وزعزعة مركزه بين انصاره وجماهيره. وكان سون على معرفة كاملة
باحوال المنطقة وعادات وتقاليد وثقافة ولغة اهلها لأنه زارها متكرراً عام
١٩٠٧م باسم التاجر المزعوم (المرزا غلام حسين شيرازي)، ولهذا راح
يمارس مهامه ونشاطاته المريبة في السليمانية دون تردد. وازاء الخطر
المهدق به وبحكومته الواعدة قرر الشيخ من جانبه الأخذ بزمام المبادرة
والتصدي للانگليز، فقاد مع انصاره انتفاضته الاولى عليهم في شهر
ايار عام ١٩١٩م وبمساعدة محمود خان دزلي واتباعه القادمين من منطقة
هورامان (هورامان) الكوردستانية الايرانية، فافلحوا في احكام قبضتهم
على السليمانية سريعاً والسيطرة على فصائل الليفي نصف المدربة فيها
والتي كان يقودها رسمياً الشيخ قادر (أخ الشيخ الحفيد) وبدرها
البريطانيون. كما اعتقلوا كل الرعايا البريطانيين دون ان يسيئوا
معاملتهم ورفعوا علمهم الوطني المؤلف من هلال احمر في ارضية
خضراء وانزلوا العلم البريطاني الموجود فوق دائرة الضابط السياسي
البريطاني... ولم يكن الميجرسون موجوداً في السليمانية وقت حدوث
الانتفاضة بسبب سفره الى كركوك وهو في طريقه لاستقبال زوجته التي



محمود خان دزلي

وصلت البصرة، وبذلك افلت من الاسر. ثم انتقلت الانتفاضة الى خارج السليمانية ايضاً، فسقطت حلبجة عقب قتال شديد وانسحب منها معاون ضابطها السياسي الملازم الطيار (ليز) متجها نحو خانقين قبل ان يحتل الشوار مقره، وتفاقمت اوضاع المحتلين سوءاً اثر الضربة الموجعة التي تلقوها في طاسلوجة اواخر شهر آيار والمتمثلة بهزيمة القوة

العسكرية التي قادها الميجر

(بومي) من كركوك بهدف السيطرة على الوضع في السليمانية وتكبدها خسائر فادحة في الارواح والمعدات (بضمنها ٤ مصفحات و ١٩ سيارة مسلحة) فتحررت في اعقابها جمجمال وارسل معاون الضباط السياسي فيها الكابتن (بوند)، اسيراً الى السليمانية. ثم وصلت الاعمال الثورية الى حدود كويسنجق وجوارها قبل ان يفلح الانكليز في اعادة سيطرتهم عليها مجدداً، وانضم الى الشيخ الكثير من المترددين الذين لم يكونوا حسمو امرهم بعد لصالح حكومته، حتى ان القبائل الكوردية الايرانية تمردت بدورها على حكومتها مطالبة الانضمام بالدولة الكوردية التي يكون الشيخ على رأسها!

وتبعاً لذلك عاشت السليمانية وجوارها حالة من الحماس الثوري العارم وارتفعت معنويات الشوار كثيراً فأخذوا يعدون العدة لمواصلة انتفاضتهم

، التقدم باتجاه كركوك، فيما بدأ الانجليز الذين أصيبوا بالصدمة ،
الذهول، باتخاذ التدابير العاجلة لتنظيم حملة عسكرية كبيرة والتوجه
بها صوب السليمانية لأخماد انتفاضتها ودرء خطرها المستفحل الذي
اب يهدد وجودهم ومصالحهم في المنطقة بشكل جدي وخطير جداً.

حملة فريزر ومعركة دريندي بازيان



هكذا بدأت الاستعدادات في كركوك
على قدم وساق لتجريد حملة عسكرية
بريطانية ضخمة بهدف إعادة الامور الى
عابها، بالنسبة للمحتلين، في
السليمانية وجوارها، وانيطت قيادة تلك
الحملة بأمر اللواء السير (ثيودور فريزر)
بائد الفرقة ١٨ الرابطة في الموصل
تألفت قوة الحملة المحتشدة في كركوك،
والتي سميت بقوة كوردستان الجنوبية من

اللواء ٥/١ المعروف بلواء سوري

الجنرال فريزر

الشرقي East Surre، وفوج المشاة

البورمي ٨٥ والفوج ٨٧/١ البنجابي والفوج ١١/١ المهراتي والسرية
الاولى من فوج المشاة البنغالي ٤٩ والسرية ٢٣٩ من فوج الرشاشات
الهندي والبطرية الجبلية الهندية ٢٥ وقطع من بطريتي (ب) و(د) من
كتيبة المدفعية الآلية الملكية ٣٣٦ وجناح (أ) من السرب ٦٣ من القوة
الجوية مع وحدات من صنف المخابرة والهندسة والالغام وغيرها من
التشكيلات الملحقة. ورسم ان يقوم الميجرسون بمرافقة الحملة بصلاحيات
ضابط سياسي لكن وجوده في الاجازة الممنوحة له جعل (ولسن) وكيل
الحاكم البريطاني العام في العراق، يعين (اموندز) بدلاً عنه في تلك
المهمة فوصل كركوك بدوره قادماً من بغداد ليجد المعنيين بالحملة
منهمكين باعدادها على عجل ومنهم الجنرال (فريزر) والرائد (لونكريك)

ضابط كركوك السياسي والرائد (كلود اوكنليك) ضابط ركن الحركات والملازم ليز الذي عاد للقوة الجوية طوال مدة العمليات... وغيرهم.

استكمل فريزر تحشيد قواته في منتصف شهر حزيران ومع تصاعد موجة الحر اللاهب يوم ١٥ منه بدأت الحملة بالتحرك نحو جيمجمال التي كان معاون الضابط السياسي فيها، الكابتن بوند اسيراً في السليمانية كما ذكرنا، فدخلتها وعسكرت فيها مؤقتاً. وفي اليوم التالي ١٦ حزيران قام الانكليز باستطلاع تعرضي من جهة مضيق دريندي بازبان إذ كانت المعلومات المتوفرة لديهم تفيد بأن الشيخ وأصحابه يتركزون فيه ويحكمون سيطرتهم عليه.

وفي السابع عشر من حزيران تقدمت الحملة كلها الى قرية تكية كاكه مند (المعروفة بتكية دريندي بازبان أيضاً) المجاورة لفتحة المضيق وعلى الطريق العام بين كركوك والسليمانية، ثم بدأ مشاة الحملة ويسكوت تام وتحت جنح ظلام ليلة ١٧-١٨/٦/١٩١٩ بتسلك المرتفعات المحيطة بالمضيق ومحاصرته وتطويقه من طرفيه الشمالي والجنوبي قبل انبلاج الفجر ودون أن يحس بهم الثوار الذين سرعان ما بدأت مدفعية الانكليز تقذف حممها على موقعهم مع اول خيوط فجر ١٨ حزيران الدامي، ثم بوغتوا بالهجوم السريع الذي شنه عليهم اعداؤهم من جانبي المضيق ومن جهة تكية كاك مند - أي على الطريق العام - فلم يكن أمامهم من خيار سوى القتال اليائس والدفاع عن انفسهم قدر المستطاع وبكل ما عرفوا به من عزيمة واصرار في تلك المعركة غير المتكافئة التي حسمها الانكليز لصالحهم تبعاً لرجحان كفتهم في العدد والعدة وفعالية التكتيك العسكري الذي أتبعوه في المعركة والمعتمد على اسلوب السرعة والمباغته والتطويق الذي واجهوا به الثوار الذين وجدوا أنفسهم فجأة محصورين في موقعهم الضيق المهلك.

بلغت تضحيات الثوار في معركة دريندي بازبان ٤٨ شهيداً وعدداً اكبر من الجرحى والاسرى وبضمنهم زعيمهم الشيخ الحفيد الذي لاذ بالصخرة

الكبيرة القابعة في المضيق (والمعروفة الآن بصخرة البطل - بهرده قاره مان) متأثراً بجرحه البالغ الذي أصيب به أثناء القتال. ولما اسره اعداؤه وتعرفوا على شخصيته اصابوا بالذهول والغبطة ازاء ما حدث، فقد كان حادث اسره بتلك الصورة التراجيدية ضخماً ومدوياً الى درجة لم يملك المرء معه الا ان يتردد في تصديقه، فانقسم الضباط الانكليز بدورهم بين مصدقين بالنبا ومكذبين له!

وبعدما حسم الانكليز الموقف لصالحهم في دريندي بازيان سارعوا الى التفكير بمصير اسراهم في السليمانية والعمل على اطلاق سراحهم قبل وصول اخبار الواقعة المشؤومة الى السليمانية وذلك تحاشياً لاي رد فعل انتقامي ضدهم، فأصدر فريزر امره الى رجيل الخيالة ٣٩ بأمره الملازم (دينيهاي) ليندفعوا الى السليمانية بسرعة، فوصلوها في الساعة ٦٣٠ عصرأ وتوجهوا فوراً الى بناية الدبو Depot، معتقل الضباط البريطانيون، ولما ادرك هؤلاء حقيقة الموقف أنضموا الى دينيهاي وجماعته بشأن اتخاذ التدابير اللازمة للسيطرة على المدينة إنتظاراً للقوة الكبرى في اليوم التالي.

وفي ١٩ حزيران تقدمت قوة الحملة الرئيسية نحو السليمانية فعسكر القسم الاعظم منها عند مجرى نهر سرجنار العذب البارد، فيما واصل بعض فرسانها سيرها باتجاه مركز المدينة ليجدوا المعتقلين سالمين وبضمنهم معاون الضابط السياسي الاقدم (جرينهاوس). وفي ٢٣ حزيران دخلت القوة البريطانية برمتها السليمانية في تشكيلة استعراضية.

وفي ٢٩ حزيران اعيد احتلال حلبجة بعد معركة ضارية اقتصر المحتلون في اعتقابها من عشائر المنطقة عن طريق نهب ممتلكاتها من الحبوب والمواشي، ويسقوطها (أي حلبجة) في ايدي الانكليز مجدداً، قدر للملازم ليز، معاون الضابط السياسي هناك، العودة الى مقر عمله السابق والمباشرة بمهامه فيه.

ثم واصلت ارتال العدو تمشيط مناطق واسعة ضمن سورداش وشهربازار

وبرزنجية وبنجوين وخورمال وقرداغ وسنگاو... وفشتت القرى الموجودة هناك واعتقلت بعض الشيوخ والاشخاص المساهمين في الثورة اضافة لمصادرتها كميات كبيرة من الاسلحة والاعتدة.

وبذا افلحت حملة فريزر في اخماد الانتفاضة الاولى للشيخ الحفيد الذي أسر جريحاً في واقعة دريندي بازبان فاصيبت حركة التحرر الكوردية عهدئذ بضربة مؤلمة، وسادت السليمانية وسائر ارجاء بلادنا اجواء مفعمة بالحسرة والالم والاسى، لكن ذلك الواقع المرير لم يقدر على اذعان شعبنا وكبت مشاعره القومية والوطنية الاصيلة ومنعه من مواصلة نهجه النضالي القويم الذي سلكه شيخهم وزعيم ثورتهم الشيخ الحفيد.

محاكمة الشيخ محمود في بغداد

نقل الشيخ الجريح الى بغداد، شأنه شأن رفاقه الآخرين الذين اسرتهم قوات الاحتلال البريطاني اثناء معركة دريندي بازبان المشؤومة، فعولج (أي الشيخ) من الجرح الذي أصيب به وهو ينتظر مع صهره الشيخ محمد غريب أمر محاكمتها، فيما اودع السجن رفاقهما من الضباط الكورد الاسرى واستخدموا في الاشغال الجسمانية الشاقة ونذكر منهم؛ قادر أفندي القرداغي، عزت طويجي، قادر عائشة خان، رشيد جودت، رشيد غفور و ادهم أفندي.

وفي المستشفى حيث كان يعالج الشيخ زاره ولسن، معاون الحاكم البريطاني العام، فوجده صلباً رابط الجاش وعلى قناعة راسخة بأنه ليس من حق الانكليز أن يحاكموه، كونه حارب وجاهد وضحي بمقتضى حق شرعي معترف به واقتره دول الحلفاء. كما لفت الشيخ انتباه ولسن الى المبادئ الـ ١٤ التي سبق وان اعلنها الرئيس الامريكى ولسن بشأن حقوق الامم المغلوبة والمقهورة.

ولما تماثل الشيخ للشفاء قدم مع صهره الى محكمة عسكرية (محكمة الديوان العرفي) كل اعضائها من الانكليز وتلخصت التهمة الموجهة ضده

بحل السلاح ومقاتلة بريطانيا العظمى والتسبب في سفك دماء كثيرة
انزال العلم البريطاني وتمزيقه.

ومن جانبه انتقد الشيخ المحكمة كونها مؤلفة من اعدائه الانكليز
حصراً، ومعرباً عن رفضه التام لتوكيل اي محام للدفاع عنه انطلاقاً من
نماسته الراسخة ببراءته من جهة، وعدم استعدادده للاعتراف بشرعية
المحكمة من جهة اخرى، ثم اضاف الشيخ بأنه قاتل وجاهد ضد الانكليز
بسبب مظالمهم وتجاوزهم على سيادة وطنه وتنكرهم لحقوق شعبه الكوردي
المظلوم.

وكانت سلطات الاحتلال قد استقدمت من السليمانية (بالترهيب
والترغيب) ویرفقه الکابتن (بوند) جمعاً من الاشخاص لاستخدامهم في
المحكمة كشهود لادانة الشيخ الذي بدأ مستهيناً بهم ومردداً أمامهم
وامام اعضاء المحكمة تأكيده القاطع على انه دافع عن حرية وحقوق شعبه
ومعرباً في نفس الوقت عن رفضه التام للقرار الذي تتخذه المحكمة بحقه
كونه يصدر من اعدائه الذين لاينتظر منهم انصافه. ثم بلغ الانفعال
بالشيخ حدا جعله يتناول عمامته ويرميها الى صدر گرینهاوس الذي كان
يسعد في المحكمة ضده، فافرح هذا الاخير كل ما في جعبته من ادعاءات
واباطيل بقصد ادانة الشيخ وبضمنها موضوع انزال العلم البريطاني
وتمزيقه من قبل عزت نجيب بأمر من الشيخ.

فأوضح عزت من جانبه انه كان مكلفاً من قبل الحكمदार (الشيخ)
بتنظيم شؤون الدوائر الرسمية وموظفيها ابان الانتفاضة، وكان ملزماً
بتنفيذ امره فيما يتعلق بانزال العلم البريطاني الذي طواه وقدمه بكل
احترام الى گرینهاوس الذي مزقه وركله بقدمه من فوق الشرفة الى
الاسفل (شرفة دائرة الضابط السياسي) وهو يسبه (اي يسب عزت)
ويسب بريطانيا معه! ولما سئل الشيخ عن هذا الموضوع اجاب بأنه فعلاً
أمر بانزال العلم، وذلك من جراء جور المسؤولين الانكليز وسياساتهم
التعسفية في البلاد.

وفي ١٩١٩/٧/٢٥ اصدرت المحكمة حكم الموت شنقاً بحق الشيخ محمود وصهره الشيخ محمد غريب فأستقبل (أي الشيخ) القرار بابتسامة قاسية ومعبرة واجه بها الشهود، لكن العقوبة خففت لاحقاً الى السجن لمدة عشر سنوات. فنفي مع صهره الى الهند.

في تلك الاثناء كان اقاربه وافراد أسرته الكبيرة الذين نزحوا من السليمانية في اعقاب معركة دربندي بازيان، يعيشون ظروفًا حياتية ونفسية صعبة في كردستان ايران (ضمن محافظة سنندج) التي لجأوا اليها، وذلك رغم جميع مظاهر الحفاوة والدعم التي لاقوها هناك.

جدير ذكره، أن الاجواء القائمة التي سادت السليمانية وجميع ارجاء كردستان عقب أخماد الانتفاضة الاولى للشيخ الحفيد لم تحل دون تواصل النشاطات الثورية المختلفة التي عمت ارجاء عدة من السليمانية وكركوك واربيل وبهدينان، ونذكر منها المساهمة الكوردية الفعالة في ثورة العشرين الوطنية التي ابلى خلالها ابناء منطقة گهرميان خصوصاً بلاء حسناً وكذلك الحال بالنسبة للعمليات الجريئة التي نفذها في اطراف دربندي بازيان، كريم بك الهموند الذي الحق مع اتباعه بالانجليز ضربات موجعة وطيلة غياب الشيخ عن الوطن والذي استمر ثلاث سنوات تقريباً.

ويقيناً أن المعطيات والنتائج الصعبة والقاسية التي افرزتها معركة دربندي بازيان في حزيران ١٩١٩م ومحاكمة الشيخ في اعقابها ثم نفيه الى الهند، لم تفلح رغم مرارتها في اسكات صوت شعبنا المناضل المطالب بحقوقه المشروعة واطلاق حرية الشيخ الحفيد واعادته الى الوطن، وقد أثبتت الوقائع والأحداث اللاحقة عكس ما توقعه المحتلون وخيبة مخططاتهم ونواياهم في بلادنا تماماً.

مشير الهموند وعلاقته بانتكاسة دربندي بازبان؟!

يظهر مما تقدم إن واقعة دربندي بازبان كانت حدثاً مفاجئاً كبيراً في تاريخ شعبنا الحديث، فلم يكن غريباً أذن أن تستأثر (اي الواقعة) بكل هذا الاهتمام الكبير الذي اولاه اياها الكتاب والمتتبعون الذين افردوا لها العديد من مواضيعهم وبحوثهم التي شرحوا فيها ظروف واحداث هذه الفاجعة التي اطاحت بانتفاضة الشيخ الاولى وافرزت جملة من المعطيات والنتائج المربرة التي احاطت بمسيرة نضال شعبنا في ذلك العهد.

وإذا كان وقع الفاجعة اليماً على أبناء شعبنا جميعاً، فإن وطأتها كانت اقسى على انصار الشيخ والمقربين منه بشكل خاص، والذين يبدو إن سوة انتصاراتهم السريعة والمتكررة التي حققوها على عدوهم اثر اندلاع انتفاضاتهم الاولى، جعلتهم يعيشون حالة عارمة من الحماس الثوري. يبالغون كثيراً في تقدير قوة جيشهم (جيش كوردستان) الذي ظنوه الجيش الذي لا يقهر، فجاءت الانتكاسة في دربندي بازبان لتخيب آمالهم وطموحاتهم وتؤكد لهم بالدليل القاطع والملموس صدق المثل المأثور القائل: إن حسابات الفلاح تختلف عن حسابات البيدر! لكنهم بدلاً من الاقرار بواقع تلك الانتكاسة، وبدلاً من البحث في ظروفها وعواملها ومسبباتها الحقيقية، راحوا يبحثون عن الاعذار والحجج الواهية لتفسير ما حصل، فوجدوا ضالتهم سريعاً في مشير محمد سليمان الهموند^(١) الذي حملوه المسؤولية المباشرة في ترجيح كفة العدو على الشوار والحاق الهزيمة بهم في دربندي بازبان.

فقد تردد أن مشير الذي قاتل مع الانكليز ضد الشيخ في تلك المعركة هو الذي تقدم صفوف الاعداء وارشدهم للالتفاف حول الشوار وتطويقهم عند المضيق وبانه هو الذي دلهم على الشيخ الجريج عند صخرة (بهرده

١ - مشير محمد سليمان، أحد أغوات الهموند البارزين في عهده، ومن اتباع الشيخ الحفيد اثناء تنصيبه حكمداراً في السليمانية، لكنه اختلف معه بسبب الجاه والنفوذ على مايبدو فانضم الى الانكليز وشارك معهم في موقعة دربندي بازبان.

قاردهمان) وعرفهم على شخصيته. وبسبب هذه الرواية التي راجت وشاعت عقب الواقعة طويلاً وأخذ بها القسم الأعظم من أبناء شعبنا وبضمنهم نخبة معروفة من كتابنا ومؤرخينا (ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الاستاذان رفيق حلمي وعلاء الدين السجادي) فان مشير تعرض الى سيل متواصل من النقد والشتهير والتجريح لم يسلم منه احياناً حتى افراد أسرته واقاربه، والامر من ذلك ان الرأي العام الكوردي الذي حسم امره بادانة مشير، لم يكن مستعداً لتقبل اي رأي مهما كان وجهياً يتضمن شيئاً من الدفاع والانصاف بحق هذا الرجل الذي لم يتورع البعض عن نعته بـ(ابو رغال) الكورد.

واستمرت تهمة الخيانة تلك تلاحق مشير اثناء حياته وبعد مماته طويلاً، فكان ذلك مبعث احراج كبير لاقاربه واصحابه الذين حاولوا عبثاً تبرئته من تلك التهمة الكبيرة، الى أن بادر د، كمال مظهر مؤخراً الى تصحيح ذلك الموقف من خلال مقاله الجريء المعنون (ويژدان وميژوو - الضمير والتاريخ) والمنشور في العدد ٢ ١ من مجلة ره نكين (سنة ١٩٩٧م) والذي الغى فيه كاتبه مع بالغ اعتذاره الجرم لمشير وأسرته وعشيرته، حكمه السابق بادانته وتحميله المسؤولية المباشرة في فاجعة دربندي-بازيان بل وحتى التصريح بأنه لولا خيانة مشير لما كان بإمكان الانكليز ان يقهروا الكورد ابداً!

وقد أحدث المقال المذكور دويلاً واسعاً واستقطب اهتماماً كبيراً من لدن العديد من المتابعين، فأثنى عليه الكثيرون فيما إنتقده البعض الآخر. ثم توالت على اثره تعقيبات ومواضيع اخرى شتى سعى اصحابها فيها اما الى تبرئة مشير استناداً الى معلوماتهم واستنتاجاتهم التاريخية والجغرافية والعسكرية أو تجديد إدانته السابقة دون ان يضيفوا اية معلومة جديدة بهذا الشأن.

وبدورنا ارتأينا عرض فحوى النقاط الثلاث التي اوردها د. كمال في مقاله المشير الذي كرسه لرد الاعتبار الى مشير وتبرئته عما نسب اليه

بشأن فاجعة دربندي بازيان وكمايلي:

١- أن جميع الوثائق البريطانية السرية القديمة ذات العلاقة بالشيخ الحفيد والمتيسرة حالياً والتي يملك د. كمال الكثير منها، لم تشر الى اي موقف مشين لمشير ولم يذكر اسمه بسوء في هذا السياق.

٢- ان فريزر، قائد الحملة البريطانية التي حققت النصر في معركة دربندي بازيان لم يكن محتاجاً لعون مشير او غيره من الزعماء القبليين الكورد كي يحقق التفوق في تلك المعركة، فهو كان يقود جيشاً جراراً ومجهزاً باحدث الاسلحة والاعتدة والدروع والآليات في مواجهة الشوار الكورد الذين لم يكن عددهم يتجاوز ٣٠ مقاتلاً من رجال العشائر الذين لم يكن بحوزتهم سوى بعض الاسلحة الخفيفة العتيقة وقليل من الاعتدة والمؤن التي تزودوا بها لخوض هذه المعركة الحاسمة والهامة.

٣- لم يكن الانكليز بحاجة الى مشير (او غيره) كي يكون دليلاً لهم في الموقع الذي خاضوا فيه معركتهم، لانهم كانوا على دراية تامة وشاملة بطبيعة المنطقة (الجغرافية) استناداً الى ما بحوزتهم من المعلومات المتنوعة والخرائط والصور المأخوذة من الجو والارض و التي وفرت لهم ادق التفاصيل عن تضاريس بلادنا شبراً شبراً. علماً ان الانكليز وتبعاً لاهتمامهم القديم ببلادنا قد عكفوا على جمع المعلومات المختلفة عنها منذ القرن السادس عشر فلم تكن هذه الارض مجهولة بالنسبة اليهم. كما ان الميجرسون الذي كان يشغل منصب الحاكم السياسي في السليمانية عهدذاك، سبق وان زار كوردستان العراق في مطلع القرن الماضي، متذكراً في مهمة سرية جاسوسية دون ان ينتبه اليها احد وهو يجوب خلالها جبالنا وودياننا وسهولنا ويضمنها مضيق دربندي بازيان الذي قطعه سيراً على الاقدام.

وفضلاً عما ذكره (د. كمال) فان هناك عاملاً هاماً آخر ساعد الانكليز كثيراً على حسم المعركة لصالحهم سريعاً تمثل بالتكتيك العسكري الناجح

الذي إتبعوه خلالها والمعتمد على تطويق الشوار أولاً من طرفي المضيق ومن قبل مشاة الغورگة المتمرسين في معارك الجبال، ثم مباغتتهم بقصف مدفعي كثيف تمهيداً للتقدم عليهم سريعاً من جانبي المضيق (المطوقين) ومن جهة تكية كاكه مند (على الطريق العام بين كركوك والسليمانية) التي كانت تتمركز فيها القوات الرئيسية للعدو. في حين اتبع الشيخ واصحابه خطة قتالية خاطئة عندما حشروا انفسهم في جيب ضيق مهلك وبالشكل الذي سهل على خصومهم الذين كانوا يفوقونهم في العدد والعدة بأضعاف مضاعفة، الالتفاف عليهم ومحاصرتهم ودرهمهم...

وإذا كانت النقاط التي اوجزناها تؤكد أن مشير لم يكن السبب في ما حل بالشيخ ورفاقه في معركة دربندي بازيان، فان هناك اضافة الى ذلك روايات عدة ومختلفة تناقض الرواية الشائعة والمتداولة بشأن الدور المنسوب الى مشير في اسر الشيخ ومفادها إنه اول من تعرف عليه - وهو مصاب عند صخرة يهرده قاره مان - فسارع الى اخبار الانكليز بذلك ثم تقدمهم اليه كي يأسروه ويأخذوه معهم.

ونلخص في هذا المجال اثنتين من تلك الروايات (التي تدعم موقف مشير) فتفيد الاولى التي نقلها كريم آغا الهموند^(٢) عن مشير نفسه، ان هذا الاخير توجه الى ساحة المعركة بناء على أمر فريزر فسمع هناك صوتاً يناديه بأسمه، في الوقت الذي كان مقاتلو الشيخ والغورگة يبحثون بأسنان حراهم عن الاحياء بين جثث الشوار الشهداء، وعندما إقترب من مصدر الصوت هاله ما رأى، اذ كان المناادي هو الشيخ الحفيد (الجريح) نفسه، ولما استفسر منه متحسراً عن سبب بقاءه في هذا المكان أجابه بأن أحدهم أخذ فرسه فاراً بجلده^(٣) فطلب الشيخ منه (أي من مشير) ملازمته كي لا يقتله الغورگة والشيخ الحاقدون فيدعون انه قتل أثناء المعركة، ثم كلفه باستدعاء ضابط انكليزي كان يعرفه (المرجع كونه

٢- كريم آغا الهموند رئيس الهموند الحالي ويسكن چمچمال.

٣- وهو من اتباع الشيخ الحفيد وقد ورد اسمه بـ(محمد نيرگهلهي).

ادموندز) كي لايفتك به من وصفهم بالقذرين (أي الشيخ والگورگه)، نلبى مشير طلبه ثم تعاون مع ذلك الضابط على نقل الشيخ من مكانه، «هو متألم في قرارة نفسه أن يرى زعيم الكورد بهذه الحال! والرواية الثانية منقولة عن الشيخ لطيف الحفيد (نجل الشيخ محمود) بينما كان في قرية سيتهك ضمن شهريازار عام ١٩٧٠، اذ حكى للحضور انه في العام ١٩٦٥م وبينما كان موجوداً في احدى قرى كوردستان الايرانية، حضر للاحتفاء به وجهاء القرية وبضمنهم شيخ طاعن في السن ذكر له انه كان مع الشيخ الحفيد في معركة دربندي بازيان، فاشار هذا الشيخ الى إن مشير الهموند ما أن علم بجرح الشيخ الحفيد في المعركة سارع الى استقدام الانگليز اليه بهدف حمايته والحيلولة دون قتله من قبل الهنود (الشيخ او الهندوس) الذين كان من دأب بعضهم الفتك بالجرحى!

وبغض النظر عن هذه الحكايات والاخبار المختلفة بصدد معركة دربندي بازيان وملابساتها وظروفها والدور الخياني المنسوب لمشير خلالها والمحاولات المنصفة لتبرئته أخيراً من وزر تلك الخيانة التي نسبت اليه، فان الثابت هو ان مشير محمد سليمان الهموند قد اختار في ذلك الظرف الصعب المحيط بشعبه خندق المستعمرين المحتلين لبلادنا والمتنكرين لحقوق وتطلعات واماني الكورد المشروعة، وهو موقف منحرف ومدان لايمكن تبريره بأي حال من الاحوال، لكن الثابت ايضاً، إن مشير لايتحمل مسؤولية انتكاسة دربندي بازيان وتبعاتها ونتائجها المؤلمة وبضمنها طبعاً حادث اسر الشيخ الحفيد الذي ترك جريحاً في ساحة المعركة التي طوقها وهيمن عليها العدو نظراً للعوامل والاسباب التي ذكرناها... فاذا كان مشير مدانا وملاماً بسبب وقوفه مع المستعمرين الانگليز وتعاونه معهم حاله حال البعض من وجهاء ورؤساء عشائر الكورد وغيرهم الذين سلكوا مثل هذا النهج المنحرف إبان عهد الاحتلال البريطاني في العراق (وبعده)، فأنة ليس عدلاً تحميله وزر انتكاسة كبيرة من نمط انتكاسة دربندي بازيان والتجني عليه بسبب ذلك.

صفحات من تاريخ الكورد النضالي

في ثورة العشرين

تحتل ثورة العشرين الوطنية^(١) مكانة بارزة في تاريخ العراق الحديث باعتبارها اول انتفاضة عامة معادية للاستعمار شارك فيها ابناء العراق على اختلاف قومياتهم، دياناتهم، مذاهبهم وفئاتهم الاجتماعية والثقافية المتعددة. وهي في الواقع اول حركة تحررية وطنية معاصرة استطاعت لم الشعب العراقي بعربه وكورده وسائر قومياته المتآخية الاخرى في خندق نضالي واحد للدفاع عن حقوقهم وحريتهم وكرامة واستقلال بلادهم، وقد قدموا في هذا السبيل تضحيات جسيمة وبطولات رائعة اكدت بمجملها على انتمايتهم الوطني الاصيل وتمسكهم بوحدة مصيرهم واهدافهم وهم يقارعون معاً الاستعمار ومخططاته واساليبه الخبيثة التي استهدفت وطننا ارضاً وشعباً.

وبالنظر لأهمية ثورة العشرين وسمو ونبل اهدافها الوطنية وسعة نطاقها وعمق نتائجها وجسامة تضحياتها، فإنها حظيت باهتمام بالغ من لدن الكتاب والمؤرخين العراقيين وغيرهم، ولم يحظ حتى اليوم حدث آخر في تاريخ العراق المعاصر مثلما حظيت به ثورة العشرين من متابعة

١- ان ما حدث في عام (١٩٢٠) هو نموذج لانتفاضة كبرى وتحرك جماهيري واسع، وقد اختارت جماهير العراق لهذا الحدث اسم (ثورة العشرين) وصار هذا المصطلح شائعاً ومتداولاً على اللسان في جميع المؤلفات العراقية تقريباً، رغم ان مفهوم الثورة قد لا ينطبق علمياً على ذلك الحدث رغم اهميته واتساعه.

واهتمام.

ومع كل ما كتب عن هذا الحدث الهام فإن صفحات وجوانب عدة منه ما تزال بحاجة الى البحث والدراسة والتقصي بشأنها وفي مقدمتها مايتعلق بموضوع مساهمة الكورد في هذا الحدث الوطني ودورهم المؤثر في خلق مقدماته وظروفه، الموضوع الذي لم ينل لحد الآن ما يستحق من اهتمام مطلوب ودراسة جادة، الا في حالات قليلة. فلم يتطرق الجيل السابق من المؤلفين الكورد الى هذا الجانب رغم تعلقه بهم، الا في اطار محدود جدا كما تخلو المذكرات المنشورة للوطنيين الكورد من معلومات تخص ثورة العشرين تقريبا^(٢)!

أما المؤرخون العراقيون فقد تحدثوا عن موضوع المشاركة الكوردية في هذه الثورة بشكل عرضي وعابر أو ضمن معالجتهم لمواضيع اخرى متعلقة بتلك الحقبة من تاريخ العراق، ودفع كل ذلك ببعض المتتبعين والمستشرقين الاجانب الى الاعتقاد بأن الكورد لم يسهموا اصلاً في ثورة العشرين، فيما تطرق بعضهم الى الموضوع في نطاق ضيق ودون ان يتجنبوا الوقوع في أخطاء وهفوات واضحة.

والواقع ان التغافل عن دور الكورد في هذه الثورة وتهيئة ظروفها يعد اجحافاً بالغاً بحق تاريخهم وتراثهم النضالي والوطني المعروف، وعليه فان الامانة التاريخية تستوجب السعي الجاد من اجل رفع هذا الحيف ومنع الكورد موقعهم الحقيقي الذي يستحقونه في ثورة العشرين^(٣)

٢- تعد مذكرات الاستاذ رفيق حلمي، الجزء الثالث، استثناء من تلك الحالة، فقد وردت فيها شذرات هامة بصدد الموضوع، وينقل الاستاذ حلمي صوراً واقعية عن احداث صيف ١٩٢٠ في بغداد وذلك لاشتراكه فيها شخصياً، حيث نظمت هناك المظاهرات والاجتماعات الجماهيرية عشية الثورة والتي اشتركت فيها الاوساط الكوردية في العاصمة، هذا اضافة للدور البارز الذي اضطلع به بعض الاشخاص الكورد هناك قبل الثورة واثنائها، والذين ورد ذكرهم في المذكرات المذكورة.

٣- ساهم الاستاذ المؤرخ د. كمال مظهر بجهود قيمة مشكورة في هذا المجال، وقدم غيره مساهمات متفرقة هامة بدورهم ايضاً.

ولاشك ان محاولة كهذه تعد تثميناً لتاريخ الكورد النضالي وامراً ضرورياً في نفس الوقت لتفنيد الآراء والمزاعم الخبيثة التي روج لها المستعمرون الذين دأبوا على تصوير ثورة العشرين الوطنية وكأنها مجرد تمرد عربي متخلف محدود في وسط وجنوب العراق وعلى رقعة ضيقة من الفرات الاوسط.

واذا كانت ثورة العشرين قد سبقها نضال جماهيري دؤوب في مختلف ارجاء العراق (وفي مقدمتها النجف) فان مناطق كوردستان المختلفة كانت متميزة بدورها في هذا المجال، فلم يمض وقت طويل على احتلال الانكليز لكوردستان العراق في اواخر الحرب العالمية الاولى، حتى انفجرت هناك سلسلة من الحركات الثورية والانتفاضات المسلحة المتواصلة كلفت المحتلين الكثير من طاقاتهم البشرية والمادية ومجهوداتهم العسكرية، وكان لذلك صدى مؤثراً في اجزاء العراق الاخرى التي كانت تعيش حالة عامة من السخط والتذمر على المحتلين.

والواقع كانت عوامل الاستياء من سياسات الانكليز الاستعمارية وأساليبهم القمعية واستهانتهم بمشاعر ومقدسات شعبنا تزداد حدة يوماً بعد يوم في كوردستان حالها حال الوسط والجنوب من الوطن وكان لذلك اثره المتميز في مجمل العوامل التي هيأت الظروف الموضوعية لاندلاع الثورة التي لم يكن بوسع كوردستان ان تبقى بعيدة عنها ورغم كل المساعي التي بذلها المحتلون بهذا الخصوص.

وقعت الانتفاضة الكوردية الاولى في منطقتي زاخو عندما ثارت عشيرة گويان^(٤) على المحتلين في ربيع عام ١٩١٩ وكان اول ما قاموا به هو تدميرهم خطة اغتيال معاون المحاكم السياسي في زاخو الكابتن (پيرسون) اثناء استطلاعه لاطراف عشائر المنطقة وفي مقدمتها عشيرة گويان، حيث استغل (حسو دينو) احد رؤساء العشيرة وجود المسؤول

٤- كانت عشيرة نصف متنقلة، بلغ تعدادها انذاك اكثر من الفى اسرة، وعدد مسلحيها اكثر من الفى شخص.

المذكور في منطقته فلم يشأ أن تفلت منه فرصة اغتياله وذلك بالنظر لما عرف به هذا المسؤول من سعيه المحموم الى بث بذور الفساد والفتنة والشقاق بين السكان. فارسل (حسو) أتباعه وأردوه قتيلاً بين قريتي بيجو وماركة في ٤ نيسان ١٩١٩ دون أن يصيبوا مرافقيه وحراسه بأذى، فأسرع (الچمن) حاكم الموصل السياسي بالحضور الى زاخو لاحتواء الازمة حيث وجه الطائرات لقصف مناطق گویان وأمر باستخدام كل اساليب القسوة والبطش لاختاد الانتفاضة التي اتسع نطاقها لتشمل العشائر المجاورة. وقبل ان يفلح المحتلون في قمع تلك الانتفاضة التي دامت حتى أواخر الصيف، اندلعت في السليمانية الانتفاضة الاولى للشيخ محمود بتاريخ ٢١ مایس ١٩١٩، ثم اعقبها الشيخ الحفيد بانتصاره التاريخي على قوات الانگلیز القادمة من كركوك، عند مضيق طاسلوجة في اواخر مایس. لكن المؤسف ان تلك الانتفاضة انتكست عقب واقعة دربندی بازيان المشؤومة في حزيران من العام المذكور، وكان من نتائجها جرح الشيخ واسره ثم محاكمته ونفيه الى الهند لاحقاً. وبذلك أصيبت الحركة الثورية الكوردية بضربة كبيرة لكنها لم تقض على عزيمة وهمة شعبنا رغم مرارتها فأستمرت مظاهر المقاومة والكفاح في العديد من أرجاء كوردستان وانتقل ثقل الانتفاضات من جديد الى منطقة بهدينان^(٥) التي كانت مدنها وقصباتها سوحاً للعديد من الوقائع والمعارك المشهودة، فشهدت المنطقة قبل حلول عام ١٩٢٢ مصرع العشرات من قوات الاحتلال بمن فيهم عدد كبير من ضباطهم ومسؤوليهم ومنهم الحاكم السياسي لمنطقة الموصل (بيل) ومعاون الحاكم السياسي في العمادية (دايلي) ومعاون الحاكم السياسي في عقرة الكابتن (سكوت) وآخرين غيرهم.

والواقع أن الانفجارات العديدة التي شهدتها كوردستان ساهمت

٥- تشغل منطقة بهدينان ضمن كوردستان العراق، محافظة دهوك وأرجاء شاسعة من الموصل حالياً.

كل أو بأخر في تهيئة جو أكثر ملائمة للانفجار الاكبر المتمثل بثورة العشرين، حيث أنها اسهمت جدياً في اضعاف موقع الانكليز في جزء مناس ومهم من البلاد وكما اقترت بذلك الوثائق الرسمية البريطانية .سراحة. ومن جانب آخر كانت اخبار الانتفاضات الكوردية تنتشر بين الناس في مناطق العراق الاخرى، فلم يكن بالامكان اخفاء مثل تلك الاحداث الكبيرة التي كانت تتكرر بين يوم وآخر، يضاف الى ذلك ان تلك الاحداث ساعدت على كشف القناع عن وجه المحتل الجديد وسياسته الماكرة، كما بينت انه (أي المحتل) ليس بالقوة التي لايمكن تحديدها .مواجهتها، وهي بهذا لعبت دوراً كبيراً في تهيئة الجماهير الكادحة من عربية وكوردية للمعارك المقبلة ضد المحتلين.

ومع كون دور الكورد مؤثراً في التمهيد لثورة العشرين فأن هناك جملة من العوامل ساهمت في تحديد المشاركة الكوردية في الثورة بعد ادلائها وتأتي في مقدمتها الضربات القوية التي وجهها المحتلون لابناء كوردستان خلال انتفاضاتهم المتكررة التي سبقت الثورة، ونجاح الانكليز في كسب العديد من رؤساء العشائر والمتنفذين الى جانبهم وتحريضهم لضرب الثورة وقمعها، كذلك سعي المحتلين الدؤوب الى تصوّر الثورة وكأنها تمرد عربي متخلف، مع تأكيدهم عن قصد، على ان الشيعة هم الذين يقودونها. وقد وقع الكثيرون فعلاً تحت تأثير الدعاية الانكليزية فيما يخص الطابع القومي والديني للثورة. كذلك لم تتخذ قيادة الثورة مع كل اخلاصها وجراتها، الاجراءات الكفيلة بدفع الاوساط الكوردية نحو المساهمة الفاعلة في الثورة وذلك رغم أهتمامها المبدئي بضم العشائر العربية والكوردية معاً الى الثورة والاعتماد عليها جميعاً في الكفاح المسلح. يضاف الى ذلك أن (مكتب الثورة) الذي لعب دوراً قيادياً هاماً خلال الثورة وقبلها، لم يوفق حتى في ارساء فرع واحد له في كوردستان ولم تكن لقادة الثورة دراية حقيقية بأوضاع كوردستان وطبيعة مسائلها القومية، كما لم تكن لهم سياسة واضحة تجاه هذا الجزء الهام

من البلاد والذي كانوا مخططين له ان يكون ضمن حكومتهم المستقلة المنشودة، ولم يكلف احدهم نفسه بنشر بيان او بلاغ واحد في احدى صحيفتي الثورة (الفرات والاستقلال) يشير فيه من قريب او بعيد الى هذا الموضوع. ولولا تفاعل تلك العوامل والظروف وغيرها، لكان بإمكان شعبنا الكوردي أن يلعب دوراً أكبر وابرز في احداث ثورة العشرين، ومع ذلك كان لدوره الذي قدر له ان يلعبه في تلك الحقبة الهامة من تاريخ العراق، مكانة متميزة في سجل شعبنا النضالي باعتباره بداية عهد هام ومشرق من النضال العربي - الكوردي المشترك الذي تحول الى عنصر محرك اساسي لمجمل حركة التحرر الوطني العراقي.

لهيب الثورة يمتد الى خانقين

انطلقت الشرارة الاولى من ثورة العشرين من الرميثة يوم ٣ حزيران ١٩٢٢ عقب اعتقال سلطات الاحتلال للشيخ (شعلان ابو الجون) ثم اطلاق سراحه عنوة من قبل اتباعه، فكان الحادث مناسبة لانفجار السخط الجماهيري العارم وعلان الثورة المرتقبة على المحتلين والتي عمت ارجاء الوطن المختلفة وبضمنها كردستان التي اتخذ اشتراك ابنائها فيها (في الثورة) طابعاً عفواً غالباً ولم يتم بشكل واحد او بنفس الزخم عموماً.

امتد لهيب الثورة الى منطقة ديالى في ٦ آب ثم انخرطت فيها العشائر الكوردية المجاورة، لاسيما عشائر خانقين^(١) حيث يؤكد العارفون وجود تنسيق مسبق بين ابراهيم خان الدلو في كفري و خورشيد بگ الدلو في خانقين بصدد اعلان الانتفاضة في حدود منطقتيهما المجاورتين وفي وقت واحد.

وجه ثوار خانقين ضربتهم الموجعة الاولى في ١٤ آب عندما حرروا قزلباط (السعدية) اولاً، ثم احرقوا مقر الحكومة داخل خانقين وهاجموا

٦- وهي عشيرة الدلو التي كان يقود مقاتليها الثائر كريم خسرو بگ وعشيرة السورميري وجمع من ابناء الكاكائي والباجلان وغيرهم.

مستات النفط الانكلو - ايرانية في نفطخانة وقطعوا خطوط السكك الحديدية بين بعقوبة و خانقين وعينوا خورشيد بك حاكماً على البلدة أطلقوا سراح الموقوفين ووزعوا موجودات المخازن الحكومية على السكان واشاعوا الامن والاستقرار في البلدة التي هرب منها معاون الحاكم السياسي الكايتن (ماترسون) وزوجته الى قصبة قورده تو المجاورة فيما وقع الطبيب الانكليزي هناك اسيراً بأيدي الشوار.



إبراهيم خان الدلو

ولمعالجة الوضع في خانقين، سارعت قوات الاحتلال الى اتخاذ اجراءات عاجلة للحيلولة دون اتساع نطاق الانتفاضة ودرء تهديدها لخطوط

مواصلاتهم مع ايران، وقد اشرف الكولونيل (لاكين) على العمليات العسكرية في هذه الجبهة فأرسل قوة للسيطرة على الوضع هناك. لكن الشوار وفقوا في التصدي لها، ثم شنوا في ١٦ آب هجوماً واسعاً على محطة قطار خانقين التي كانت تتمركز فيها قوات العدو فوقعت معركة طاحنة بين الطرفين بلغت تضحيات الشوار خلالها ١٥ شهيداً.

وجراء تدهور الموقف اضطر الانكليز الى جلب تعزيزات اضافية بالسيارات من قزوین وكرند الايرانيتين كما استعانوا برجال العشائر الموالية لهم هناك لضرب الشوار، فتمكنوا بذلك من احتلال بعض القرى المحيطة بخانقين في ١٩ آب ثم دخول البلدة نفسها في اليوم التالي وتبعاً لذلك فر الكثيرون من الاهالي الى داخل الحدود الايرانية ضمن (قصر شیرين) فيما استمرت أعمال القمع والانتقام بحق المتبقين داخل البلدة. ورغم الصعوبات الجمة التي واجهها الشوار المنسحبون من خانقين

فإنهم واصلوا تجميع صفوفهم وتحديثهم الشجاع للعدو الذي افادت التقارير الواردة اليه في ذلك الظرف بأن الثوار تمكنوا من تعزيز قواتهم وشراء كميات كبيرة من الاسلحة والاعتدة وبأن هناك احتمالاً بانضمام العشائر الكوردية الايرانية الى جانبهم وقد عزز توقعات الانكليز هذه قيام حوالي ٣٠ مسلح من رجال العشائر المسلحين بمهاجمة القوات البريطانية المنهكة في اصلاح الخط الحديدي بين السعدية وخانقين والتي انقذتها من الخطر التعزيزات العاجلة القادمة من خانقين فأجبر الثوار على الانسحاب بعد ان سقط منهم حوالي ٤٠ شهيداً.

ساعدت الظروف الانكليز في اعادة سيطرتهم تدريجياً على كل ارجاء خانقين وبالاخص عقب اعتمادهم المتزايد على مسلحي العشائر الايرانية الموالية لهم وتحديداً من الكلهور والسنجاويين الذين سمح لهم المحتلون بنهب كل ما يستطيعون الحصول عليه من الغنائم والمكاسب.

واخيراً لم يبق امام الثوار، وبفعل ضغوطات المحتلين ومرترقتهم، سوى اللجوء الى المناطق الجبلية الحدودية الوعرة والتحصن هناك ثم التخطيط لاجتياز الحدود، لكن المؤامرات توالى ضدهم، فأصابتهم احداها بضربة مؤلمة عندما تمكنت شرذمة من السنجاويين من اغتيال عدد من زعماء الثورة وبضمنهم الثائر الشجاع كريم خسرو بگ.

لم يهنأ الانكليز باعادة احتلال خانقين كثيراً، فسرعان ما امتد لهيب الثورة الى مناطق كوردستان الاخرى سريعاً، ففي مندلي تلك البلدة الكوردستانية الحدودية الاصيلية، انتفض سكانها من الكورد والعرب على المحتلين واستلموا زمام الامور فيها برئاسة (موسى افندي) قبل ان يحتلها الانكليز مجدداً، وفي طوزخورماتو وكفري فوجئ المحتلون بصدمات وخيبات مريرة اخرى عندما ثار اهلنا الطيب هناك وحرروا هاتين البلديتين العريقتين من براثن العدو عقب صولات شجاعة برهنوا خلالها على اصالة نهجهم النضالي الشجاع وصدق انتماؤهم الوطني الاصيل واخلاصهم الكبير لشعبهم ووطنهم.

كفري وطوزخورماتو، والثورة واحدة!

اندلعت الانتفاضة في طوزخورماتو بقيادة رفعت اسماعيل بگ الداودي، المعروف بعدائه الشديد للانگليز وولائه اللامحدود للشيخ حسود الحفيد الذي كان رفعت يستهدف اطلاق سراحه واعادته من المنفى عن طريق الضغط على الانگليز، وكان بينه وبين ابراهيم خان الدلو في كفري تخطيط مسبق بهذا الشأن.

تمكن رفعت بگ واتباعه وباسناد ودعم عشيرتي البيات والسائح (٧) المتحالفين معه من تحرير بلده طوزخورماتو واخضاعها لسيطرتهم التامة في ٢ آب ١٩٢ حيث انزلوا العلم البريطاني فيها والفوا مجلساً محلياً برئاسة رفعت بگ وعضوية قادة الثورة اضطلع بتسيير شؤون البلدة. اما كفري الناقمة على الانگليز بدورها فأنها كانت متأثرة بانباء نجاحات الشوار في الوسط والجنوب والتي كانت تصلها عبر (الخالص) غالباً ومع شيء كثير من المبالغة والتهويل. وكان لاحداث خانقين تأثيرها المباشر بلا شك على كفري، خاصة وان ابناء الدلو الموزعين على المنطقتين المتجاورتين كانوا يشكلون قوتين رئيسيتين في الثورة هناك. وبحسب بعض المصادر فقد جرى اتفاق مسبق بين فرعي العشيرة بصدد الثورة على الانگليز معاً، مثلما اسلفنا. كما كان لاحداث طوزخورماتو المجاورة صداها وتأثيرها على الوضع في كفري وخاصة في ظل العلاقات الوثيقة بين قادة الثورة في كلتا المنطقتين الجارتين. كما اشرنا.

وفي الواقع كانت كفري، عهدئذ متاهبة للثورة على المحتلين في اية لحظة، وذلك بسبب تدمير اهلها من الممارسات القمعية والمظالم التي دأب المحتلون على ارتكابها هناك لاسيما معاون الحاكم السياسي الكابتن سالمون (سليمينت أو شليمون) ومساعدته، وسعيه الدائم (نقصد سالمون) الى اطلاق ايادي الموالين للانگليز في شؤون المنطقة وتعيينهم في الوظائف والمراكز الحساسة والهامة.

٧- البيات عشيرة مؤلفة من التركمان والعرب، والسائح قبيلة عربية.

انطلقت الشرارة الاولى من الانتفاضة الموعودة في كفري بقيادة ابراهيم خان الدلو في ٢٢ آب ١٩٢٠ وقد سبقتها اعمال ثورية جريئة نفذها السكان الثائرون القاطنون في القرى الواقعة غربي كفري ضد المعسكر الموجود عند كنگريان والخط الحديدي المار هناك^(٨)

كان ابراهيم خان واتباعه الثوار متحصنين في مواقعهم على جبل باوه شاسوار المطل على كفري قبل ساعات من انتفاضتهم التي اندلعت مع انبلاج فجر اليوم المذكور، ولم يكن تشخيص الثوار صعباً في اعلى الجبل الكائن شرقي البلدة وهم يمدون فوهات بنادقهم نحو مركز الدرك الكائن اسفل الجبل. ومع دوي الاطلاقات الاولى المنطلقة من باوه شاسوار، ساد الحماس والعزم سكان كفري الكادحين من الكورد وأخوتهم التركمان المستبشرين بالثورة التي انتظروها، وأضافه الى ابراهيم خان واتباعه من الدلو، كان ابناء الروغزائي والترخاني من افخاذ الجاف يطوقون البلدة من الشرق، فيما كان الفلاحون الثائرون من سكان القرى الغربية والجنوبية المحيطة بكفري يتأهبون بدورهم للتوجه الى داخل البلدة.

وبغية تدارك ذلك الوضع الخطير سارع (سالمون) مع بعض وجهاء المنطقة الى جبل باوه شاسوار بقصد اقناع ابراهيم خان بالتوقف عن انتفاضته، لكن زعيم الانتفاضة لم يذعن لذلك بل أمر باحتجاز سالمون وارساله اسيراً الى قريته (ئاوايي ابراهيم خان) ثم بدأ الهجوم على كفري من ثلاث جهات.

وبعد ساعات من القتال حرر الثوار بلدة كفري بعد ان كبدوا المحتلين عدداً من الجرحى والقتلى الذين تناثرت جثثهم في ساحة السراي والطرقات، ثم شكل الثوار هناك حكومة مؤقتة برئاسة ابراهيم خان وعضوية شقيقه اكبر وويسى بگ الدلو وحמיד عبدالرحمن كاريزي والحاج

٨- يقع هذا الموقع غربي كفري وكانت توجد قربه حامية انكليزية مجاورة لمحطة السكك الحديد التي انشأها الانكليز حديثاً لمقتضيات مصلحتهم الاستعمارية في المنطقة.

ساحد الترخاني ومحمد جان الروغزائي وفتحت الدوائر ابوابها لتمشية اسور المواطنين ووزعت المؤن التي تم الاستيلاء عليها، على المواطنين سحانا

وعقب فشل المحاولات التي بذلها الانكليز بهدف اعادة سيطرتهم على دفرى، ولاسيما في اعقاب نجاح الكمين الذي نصبه فلاحو القرى الجنوبية الغربية على الخط الحديدي واستيلائهم على القطار القادم من جلولا، المحمل بالامدادات والذخائر لمعسكر كنغريان ثم اشعالهم النار فيه، اضطرت سلطات الاحتلال الى اجراء المفاوضات مع ابراهيم خان عن طريق مثلها مراد مبارك، فيما مثل الثوار محمد سعيد الوندادي.

عرض المحتلون على ابراهيم خان مبلغ ٥ الف روبية ومنصب قائمقام كفري لقاء اطلاق سراح سالمون والكف عن الثورة، لكن ابراهيم خان اشترط اطلاق حرية الشيخ محمود واعادته من النفي قبل الشروع بتنفيذ اية مطالب من قبله. وبهذا فشلت المفاوضات بين الطرفين، فلجأ الانكليز الى استخدام القوة انطلاقاً من كنغريان لحسم الموقف فجهزوا قوة كبيرة مدعومة من حلفائهم في المنطقة، لكن محاولتهم تلك كلفتهم غالياً عندما اندحر المهاجون وتكبدوا عشرات القتلى والجرحى الذين كان بينهم جمع من الهنود، فيما بلغت تضحيات الثوار ٧ شهداء بينهم الشائر المعروف حميد عبدالرحمن كاريزي، وترددت شائعات بشأن استشهاد ابراهيم خان نفسه، أدت الى مصرع الكابتن سالمون (المحتجز اصلاً) من قبل حارسه القليل الصبر رشيد محمد سنجان الذي تعرض بسبب ذلك الى تعنيف ومعاقبة زعيم الانتفاضة فوراً.

كانت الاحداث تلك بمثابة نذير شؤم للانكليز الذين نشط حاكمهم السياسي في كركوك (لونجريك) لتحشيد اكبر عدد ممكن من افراد العشائر المتحالفة معهم بصدد احتلال كفري وطوزخورماتو ثانية، فانطلقت من كركوك قوة كبيرة مجهزة بالمدافع والاسلحة الثقيلة بأمرة (الميجر مولوي) سلكت طريق ليلان - قرهحسن باتجاه طوزخورماتو،

فتصدى لها في الطريق الشيخ قادر سيامنصور واتباعه لكن الطائرات البريطانية تدخلت في المعركة فاحرقت قرى الشيخ المذكور وشتت قواته فأجبروا على الانسحاب باتجاه التلال المتفرقة هناك.

وفي اليوم التالي وصلت القوة المعادية مشارف طوزخورماتو بعد ان التحق بها في الطريق بين داقوق وطوز، المزيد من الاتباع المتحالفين مع الانكليز، ثم ارسلا تحذيراً شديداً الى الشوار بوجوب اخلاء البلدة، لكن الشوار آثروا المقاومة والتحدي بكل شجاعة، فدرت على الفور معركة شرسة استخدم فيها العدو طائراته ومدافعه لصف طوزخورماتو بعنف، فانتهد الواقعة بسقوط البلدة وانسحاب الشوار منها بعد أن قدموا ٤٤ شهيداً وعدداً كبيراً من الجرحى، وهم من ابناء الداودي والبيات والساح الذين امتزجت دماؤهم الزكية في دروب وأزقة طوزخورماتو التي شهدت في ذلك اليوم صورة رائعة من التلاحم النضالي بين الكورد والتركمان والعرب.

ولم يكن أمام رفعت بگ الداودي ورفاقه سوى اللجوء الى التلال الواقعة شرقاً فيما طالت اعمال الحرق والتدمير عشيرته بين طوز وداقوق، كما فرض المحتلون غرامات باهظة على العشائر الثائرة هناك.

واصل المعتدون سيرهم باتجاه كفري، عقب احداث طوزخورماتو وهم يحرقون وينهبون في طريقهم قرى المنطقة ويحيلون بمدافعهم اكواخ الفلاحين رماداً، ثم التم شملهم في معسكر كنكريان مع سائر حلفائهم من اغوات القرى القريبة من كفري^(٩). وأخيراً بدأت استعداداتهم لاقتحام كفري على غرار شقيقتها الجريحة طوزخورماتو، فبدأت الطائرات تحوم على ارتفاع منخفض لتحديد مواقع الشوار وتمركزهم تمهيداً لضربها بالمدافع الثقيلة المنصوبة جنوبي البلدة. ولم يمض وقت طويل حتى انهالت حمم

٩- وهم الشيخ حميد الطالباني من منطقة كل و مراد مبارك رئيس الشبانة (قدما مع القوة البريطانية القادمة من كركوك الى كفري)، والشيخ عبدالوهاب الطالباني نجل الشيخ حميد وعبدالكريم آغا الزنگنه، وجميل بابان من اغوات منطقة كفري.

القذائف على الثوار في باوه شاسوار، وبدأت الرشاشات تصلي البيوت والطرق داخل كفري، وتساعدت السنة اللهب والدخان الاسود من القرى المحيطة بكفري شرقاً وغرباً بينما كانت حشود الانكليز وحلفائهم تزداد بالتدريج وسيل المهاجرين النازحين من القرى المشتعلة يتقاطر على البلدة من كل حذب وصوب، فيما كان الثوار متحصنين استعداداً للمنازلة بكل شجاعة واصرار وبدا واضحاً أن العدو لا يتورع عن حرق البلدة وتدميرها كاملة وهو يزحف اليها من كل الجهات. فعقد ابراهيم خان ورفاقه ووجهاء كفري اجتماعاً قرر فيه الثوار الانسحاب من البلدة حماية لارواح وممتلكات أهلها، فسار ويسي بگ وجمع كبير من أبناء الدلو وعوائلهم جنوباً باتجاه جبل حمرين فيما توجه ابراهيم خان وبعض رفاقه نحو المناطق الوعرة شرقاً وبهذا أصبح الدرب سالكاً أمام العدو لدخول البلدة مجدداً في اوائل ايلول^(١٠) فبدأت الاعتقالات والمطاردات واعمال القمع والنهب وحجز الاموال والاملاك بحق السكان المشاركين في الانتفاضة. وعلى العموم كانت روح الانتقام والشر طاغية على المحتلين والاغوات المتعاونين معهم، فاستنجد أهل كفري بـ(عمر آغا) الشخصية المعروفة في المنطقة والذي التمس بدوره من الاغوات المتعاونين مع الانكليز راجياً حماية ارواح وممتلكات المواطنين المغلوبين على امرهم، فنجوا بذلك من فاجعة مريعة كانت بانتظارهم خلال الايام الاولى من عودة سلطات الاحتلال الى المنطقة.

نعود الى ابراهيم خان ونقول، بانه حاول اعادة الثورة من جديد إنطلاقاً من المناطق المتاخمة لكفري من الشرق، وتحديدأ من مضارب عشيرتي الروغزائي والترخاني الحليفين معه، لكنه سرعان ما أيقن أن محاولته

١٠- هناك تضارب بصدد هذا التأريخ فيحدده د. كمال مظهر بـ(٣٠ آب) ومصطفى نريمان بـ(١٠) ايلول ويبدو لي ان هذا الاخير ربما هو الارجح، والملاحظ أن هناك تقارباً بشكل عام بين تفاصيل وتواريخ أحداث انتفاضتي خانقين وكفري كما اوردها الباحثان المذكوران، لكن د. مكرم الطالبياني حدد اواخر تشرين الاول كموعداً لبدء انتفاضة ابراهيم خان في كفري

تلك ستعرض المنطقة الى المزيد من الويلات، فقرر الرحيل شمالاً نحو ديار الداودي في طوزخورماتو حيث لم يفلح هناك ايضاً في مسعاه بصدد اشعال الثورة مجدداً، فقرر اجتياز التلال الموجودة والتوجه مع رفاقه جنوباً نحو مناطق البيات فيما كان الاعداء يتربصونه ويترصدهونه.

وصل ابراهيم خان قرية تل شرف في مطلع كانون الثاني ١٩٢١ حيث نزل في ضيافة محمد حسون البياتي رئيس فخذ (دلالو) من عشيرة البيات وهو بصدد مواصلة رحلته في اليوم التالي باتجاه جبل حمرين واللاحق بأهله الذين لجأوا الى هناك، وشاءت قدرة الباري أن تكون ليلته هناك آخر ليلة في حياته، حيث توفي متأثراً باعراض الحمى التي اشتدت عليه بين أحبته من اهل البيات، ثم سير جثمانه في موكب مهيب ضم المئات من الفرسان الكورد والعرب والتركمان ليُدفن في مقبرة قرية (عمر مندان) بكل مهابة وتعظيم، بعده واصل اصحابه رحلتهم باتجاه ملاذ الاهل في جبل حمرين.

وسرعان ما أصبح قبر (إبراهيم خان) مزاراً يتوافد عليه الشرفاء من أهل المنطقة فاغاظ ذلك الانكليز الذين كلفوا عملاءهم بنش قبر الشائر الراحل واخراج جثمانه والتخلص منه بهدف محو ذكرى صاحبه نهائياً! لكن رفاقه الاوفياء فوتوا على المحتلين ومأجورهم تحقيق مخططهم القذر هذا وسارعوا لنقل رفات زعيمهم العزيز على قلوبهم الى جبل حمرين لحمايته من كيد وعيث الخونة الحاقدين، فدفنوه هناك، في مقبرة (الصنيدج) حيث يشمخ الآن في مرقده حتى بعد موته، وماتزال اخبار بطولاته ومآثره ومفاخره الخالدة تحظى بالاعجاب والتقدير وتشير الحماس والعنفوان.

الوضع في اربيل والسليمانية اثناء الثورة

يظهر مما تقدم، أن اهلنا في كهرميان^(١١) لعبوا دوراً وطنياً مشهوداً، وأسهموا فاعلاً اثناء ثورة العشرين الوطنية التي استرخصوا خلالها الارواح والاموال وعانوا بسببها من المصاعب والاهوال، لكن عزاءهم هو أنهم سجلوا بنضالاتهم وتضحياتهم تاريخاً نضالياً مشرفاً تفتخر به امتهم دوماً

وفيما يخص ارجاء كوردستان الاخرى فيمكن القول بأن مجموعة العوامل والظروف القاهرة التي اشرفنا اليها، ساهمت مجتمعة في تحديد دورها وتحجيم مشاركتها في الثورة، لكن وبالرغم من ذلك، فإن مدناً وقصبات عدة ضمن تلك المناطق، أمكن لها ان تحقق مساهمة فعالة في الثورة وتفشل مخططات ومساعي الانكليز الهادفة الى عزلها عنها (اي عن الثورة).

وبالنسبة لاربيل وبعض توابعها، فإن محاولات الانكليز الهادفة الى احتوائها لم تحقق لهم اهدافهم المرجوة وأن مخططاتهم المبدولة منيت بالخيبة والاحباط، خصوصاً وأن الاجواء هناك كانت متأثرة الى حد كبير بمعطيات الانتفاضات المتكررة السابقة التي غمت كوردستان وانتفاضة تلعفر بداية حزيران ١٩٢٠ التي شكلت احدى مقدمات ثورة العشرين الهامة حيث تجسدت فيها اردة ونضال جميع القوميات في العراق بصدد مناهضة الاحتلال والتي تركت صداها الواسع في سائر المناطق الاخرى عموماً واربيل خصوصاً.

فمنذ اندلاع ثورة العشرين في العراق بدأ أبناء اربيل يعقدون اجتماعات عدة اعربوا فيها عن تأييدهم المطلق للثورة ونظموا حملات دعائية واسعة مناهضة لسلطات الاحتلال. وتزامناً مع توارد اخبار

١١- يطلق الكورد تسمية (كه رميان أو كه رمه سير) على المناطق الحارة ضمن وطنهم وهي تشمل في سياق بحثنا مناطق خانقين ومندلي (ضمن محافظة ديالى) وكفري وطوزخورماتوو وداقوق ولبلان وقره حسن... ضمن كركوك.

انتصارات الثورة في الوسط والجنوب تفاقمت الاوضاع اكثر بالنسبة للمحتلين، واتخذ الموقف ضدهم طابع النضال العلني. ففي بداية شهر آب جرت محاولة لاغتيال الكابتن (هي) حاكم المدينة السياسي ثم تبعتها محاولة لحرق داره التي اضطر لاحقاً لتركها والعيش في الشكبة العسكرية استعداداً للهروب في اي وقت. وفي ١٢ آب جرت محاولة ثانية لاغتياله عند مضيق راوندوز ومعه زوجته فنجيا من الموت باعجوبة، كما جرت محاولات عدة لاغتيال مساعده ايضاً.

وعموماً فقد (هي) سلطته الفعلية على المنطقة واضطرت سلطات الاحتلال الى نقل موجودات خزانة اربيل الى كركوك وقامت باجلاء العديد من موظفيها الى خارج المدينة. ولتدارك ذلك الوضع المتأزم اضطر (ولسن) وكيل الحاكم البريطاني العام في العراق الى زيارة اربيل جواً بتاريخ ٨ ايلول ترافقه ثلاث طائرات حربية!

اجتمع (ولسن) بالمسؤولين وجمع غفير من ابناء المدينة الذين تحدث اليهم في خطاب مطول عن انتصارات الانكليز في الفرات الاوسط ومشهداً على ان الوضع هادئ في السليمانية، كما استغل المناسبة لتوجيه الشكر الى المتعاونين مع السلطات من رؤساء العشائر والمتنفذين وغيرهم.

لم تمض ايام معدودات على عودة ولسن الى بغداد حتى تم الكشف عن خطة لطرد المحتلين من اربيل واقامة حكم محلي فيها مما اجبر السلطات لارسال قوتين عسكريتين من الموصل وكركوك تمكنتا بمساعدة العشائر الموالية لهم من السيطرة على المدينة التي ظلت الاجواء فيها تتسم بالحذر والتوتر رداً من الزمن.

ورغم أن الانكليز تمكنوا من فرض سلطتهم على اربيل منتصف ايلول فإن الاوضاع في أطرافها ظلت خطيرة لفترة أطول وخصوصاً في كويسنجق التي غادرها معاون الحاكم السياسي (كيرك) منذ ٨ ايلول. وكان الثوار قد قطعوا خطوط التلغراف بينها وبين أربيل ولم يفلح

المحتلون في بسط نفوذهم عليها مجدداً واعادة ادارتهم اليها حتى شهر تشرين الاول.

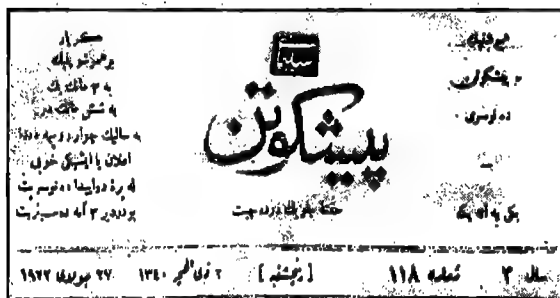
واستمرت خطورة الاوضاع في منطقة خوشناو طيلة شهر آب واوائل شهر ايلول، ومن جرائها فقد العدو العديد من جنده وكذلك الحال بالنسبة لـ(باتاس) التي حررها ابناءؤها السورجي مطلع ايلول، وراوندوز التي حوصرت حاميتها التي تمكنت لاحقاً من الانسحاب الى أربيل بصعوبة بعد تكبدها العديد من القتلى. يذكر أيضاً ان معركة كبيرة أخرى دارت رحاها بالقرب من الزاب الكبير في ١٥ ايلول أسفرت عن تضحيات كبيرة في صفوف السورجي الثائرين.

وعموماً فأن نشاطات الثوار من عشائر اربيل كانت فاعلة ومستمرة لفترة من الزمن ولاسيما من جانب ابناء عشيرتي السورجي وخوشناو الذين فرضوا خلال ايلول نوعاً من الحصار على مدينة اربيل وبشكل جعل الانكليز هناك قلقين ومستعدين للهرب دوماً.

أما بالنسبة للموضع في السليمانية اثناء ثورة العشرين فانه لم يكن خطيراً هناك قياساً الى معظم المناطق الاخرى ذلك لانه لم تكن قد انقضت بعد سوى أشهر قليلة على انتكاسة انتفاضة الشيخ محمود الاولى التي كان السكان مايزالون يعانون من وطأتها ومرارتها، كما كان الميجرسون حاكم السليمانية السياسي، فاعلاً في التأثير على اوساط متنفذة داخل السليمانية كالتجار الحريصين على مصالحهم ولفيف من المثقفين ومعظم الضباط السابقين في الجيش العثماني الذين عينهم (سون) في المناصب الحساسة، هذا اضافة الى نجاحه في كسب ولاء عدد من رؤساء العشائر الى جانب الانكليز. وخلاصة القول ان (سون) الذي وصفه (ولسن) يوماً بالخبير الفذ في شؤون الكورد وبلادهم، قد عمل جاهداً كي يسبق الأحداث استناداً الى دهائه وشخصيته الطاغية ومخططاته الاستعمارية الواسعة، فأشاع جواً ثقافياً نشيطاً في السليمانية ومارس اسلوب الاغراءات المادية ومنح الامتيازات من جهة،

وأسلوب التهريب والوعيد من جهة أخرى وذلك تبعاً لمقتضيات الموقف ومصالح الاحتلال البريطاني في المنطقة.

لأننسى أيضاً الدور السلبي الذي لعبته صحيفة (پیشکھوتن)^(١٢) بهذا الصدد، حيث دأبت على تصوير ثورة العشرين كحركة عربية صرفة لاتهم الكورد في شيء. كما ركزت على انباء الاندحارات المستمرة للعشائر العربية وخسائرها



الكبيرة في الارواح والاموال وقد جاء في العدد ١٦ من الصحيفة: (طارد الجيش العشائر

پیشکھوتن

عند الجوبوعية والحلة وأحرق القرى

الكائنة في شرق الحلة والتي كان يتحصن فيها العدو ثم سلم الاهالي انفسهم وبعدها تأكد وجود جماعة من العرب في المحمودية، تابعهم الجيش وبعده مواجهة دامت نصف ساعة فر العرب تاركين قتلاهم وجرحاهم).

كما ابرزت الصحيفة اوامر السلطة الصارمة وأخبار أحكام الموت الصادر بحق الثوار وفرض الغرامات عليهم وقطع المياه عنهم ونورد هنا بعض الامثلة والشواهد على ذلك فقد ورد في العدد ١٧: (ارسل الجيش الى الهندية فقطعوا المياه عن العشائر المساهمة في التمرد) وفي العدد ١٩: (تحركت أرتال الجيش يوم امس الى ارجاء داقوق ودخلت قرية رفعت بگ الداودي... فاضرمت النيران في القرية والبساتين الموجودة هناك ولم

١٢- هي اول صحيفة كوردية على صعيد كوردستان العراق وقد ظهرت في السليمانية واستمرت خلال الفترة من ٢٩ نيسان ١٩٢٠ ولغاية ٢٧ تموز ١٩٢٢.

سرك منها شيئاً)، وفي العدد ٢١: (بعد مساءلات مستفيضة ثبتت خيانة بعض سكان شهربان اثناء فوضى العرب لذا تم اعدام عدد من السكان لادانتهم وفرضت غرامات كبيرة على شهربان) وفي العدد ٢٣: (تم غريم عشيرة الداودي بمبلغ ٣٥ الف روبية و ١٣ بندقية، و طوز خورماتو بسبب اشتراكها في اعمال التخريب بـ ١٧٥٠ الف روبية، أعفي فارس بيگ البيات وغرم بـ ٣ الاف روبية و ٢ بندقية، ولن يعفى غيرهم من البيات في الوقت الراهن).

كما حرصت الصحيفة ايضا: على نشر اخبار وصول القوات الكبيرة والاسلحة الحديثة الى بغداد والبصرة تباعاً، والتنويه بموقف الكورد المواليين لسلطات الاحتلال وتعمدت عن قصد واضح نشر أخبار القسوة والقمع والتنكيل المتبعة بحق الشوار الكورد. وكان القصد من ذلك كله ابعاد شبح الثورة عن هذه المناطق وعزلها عن مجمل الاحداث الثورية التي شهدتها اجزاء الوطن الاخرى. ومع ذلك ورغم حالة الجزر التي أصابت الحركة الوطنية في المنطقة بفعل ظروفها واسبابها الخاصة التي اشرنا اليها، فإن أبناء السليمانية استقبلوا أنباء الثورة بارتياح كبير وبالاخص من قبل انصار الشيخ محمود. كما ان أرجاء عدة من المنطقة شهدت حركات عفوية معادية للاستعمار نشير من بينها الى قيام افراد عشيرة (دزلي) الموالية للشيخ الحفيد، ببعض النشاطات الثورية في اطراف حلبجه وما اعقبها من اعمال القصف والتدمير التي نفذتها الطائرات البريطانية بحق بعض قرى هورامان.

أما على صعيد بهدينان فإن الاوضاع توترت في بعض مناطقها اثناء الثورة ومنها عقرة التي اقر بشأنها البلاغ الرسمي الصادر يوم ١٨ ايلول ١٩٢٢ بأن الاحوال غير مستقرة فيها، كما كان لمقتل الكولونيل (ليچمن) على ايدي ثوار الزوبع صداه المؤثر بين سكان بهدينان الذين عانوا في حينه الكثير منه سابقاً.

ونقول في الختام أن المساهمة الكوردية في ثورة العشرين تعد صفحة

نضالية مشرقة حقاً في تاريخ النضال العربي الكوردي المشترك، وهي بحاجة الى المزيد من التقصي الجاد والبحث المعمق والى كثير من الجهد الدؤوب في هذا المجال، وبقيناً أن عملاً كهذا من شأنه أن ينصف تاريخنا وإرثنا النضالي كثيراً.

عودة الشيخ محمود الحفيد من المنفى

وسنواته النضالية الاخيرة

لم يهنأ المحتلون، كما ذكرنا، بالنتائج والمعطيات التي تحققت لهم إثر واقعة دربندي بازبان المشؤومة في شهر حزيران ١٩١٩م والتي تمخضت عن إخماد الانتفاضة الاولى للشيخ محمود الحفيد وجرحه واسره فحاكمته ونفيه الى الهند لاحقاً، إذ سرعان ما سادت أجواء التوتر وعدم الاستقرار معظم ارجاء كوردستان العراق واستمرت أعمال المقاومة والتحدي من قبل ابناء شعبنا في مناطق عدة، وغدا موضوع إعادة الشيخ من المنفى مطلباً جماهيرياً عاماً وملحاً لم تقدر سلطات الاحتلال على تجاهله والتغاضي عنه. كما أخذت النشاطات والتحركات المعادية للانجليز في منطقة راوندوز واطرافها وتهديدات الترك لهم هناك، أخذت تثير مخاوفهم وقلقهم فعلاً وتزيد من تفاقم خطورة الوضع المتوتر أصلاً.

وبهدف احتواء ذلك الموقف المتأزم وتهذئة الرأي العام قرر المحتلون أخيراً الموافقة على إعادة الشيخ الحفيد من الهند، بعد انقضاء ثلاثة اعوام على نفيه، وهم يمينون النفس ان تكون تلك الفترة (اي فترة اغتراه ووجوده خارج البلاد) قد أثرت فيه وجعلته يعدل عن مواقفه الثورية وطموحاته ونواياه الوطنية والقومية السابقة.

وفي صيف عام ١٩٢٢ وصل الشيخ الحفيد بغداد قادماً من المنفى عبر الكويت، ثم واصل رحلته بالقطار صوب كفري وهو في طريقه الى السليمانية، مهد نشأته ونبوغه وتألقه، فبلغها (أي كفري) يوم ٢١



الشيخ محمود الحفيد

أيلول ١٩٢٢ وحظي فيها بمظاهر
استقبال رائعة ومهيبة شارك فيها
الكورد والعرب والتركمان معاً.

وبعد ان أمضى الشيخ ثلاثة
أيام سعيدة ومشهودة في ضيافة
محسن آغا احد وجهاء كفري
البارزين، أستأذن بالرحيل من
مضيفه الشهم وسائر أهل كفري
الأصلاء الطيبين، الذين ودعوه
بمثل ما أستقبلوه به من حفاوة
وتقدير، فوصل مع الموكب المرافق
له السليمانية (نهاية ايلول) حيث
استقبلته المدينة وسط مظاهر

احتفالية منقطعة النظير ومشاهد عاطفية مؤثرة للغاية.

ولم يمض وقت طويل على عودته للسليمانية، حتى ثار الشيخ ثانية
على المحتلين الذين خابت آمالهم بعودته، فأرسل دعانم حكومته المستقلة
الواعدة في شهر تشرين الاول سنة ١٩٢٢ وصار يعرف بملك كوردستان.

وفي ربيع عام ١٩٢٣م افلح الانكليز في احتلال السليمانية مجدداً
قبل ان يطردهم الثوار منها في صيف نفس العام. وبعد مضي عام واحد
على ذلك الحدث، أي في صيف عام ١٩٢٤م أجبرت قوات الاحتلال
الشيخ وانصاره على مغادرة السليمانية نهائياً عقب حصار طويل وقصف
جوي مكثف، فلدجأوا (اي الثوار) الى المناطق الجبلية الحدودية المجاورة
التي أداموا فيها نهجهم النضالي الشجاع ومقاومتهم المستميتة ضد
المحتلين. كما انتقلت النشاطات الثورية بناء على توجيهات الشيخ الى
مناطق مختلفة ضمن كركوك وگهريمان. وظل الامر كذلك الى أن اجبرت
الظروف القاهرة الشيخ على التخلي عن نضاله العسكري والسياسي -

سنتا - والاقامة مع أسرته واقاربه في قرية پيران الحدودية الايرانية
مستغنى الاتفاقية المعقودة بينه وبين السلطات العراقية في حزيران عام
١٩٢٧م، فأستقر الشيخ الشائر في تلك القرية الكائنة على مسبعة ٨
أسال في الطرف الجنوبي الشرقي من پنجون وهو يمني النفس بحمل راية
الكفاح والجهد مجدداً، وفي أقرب ظرف متاح.

انتفاضة الشيخ محمود في خريف ١٩٣٠ (انتفاضته الاخيرة)

أسبابها، ظروفها، تبعاتها

يمكن القول إن منطقة السليمانية وجوارها عاشت فترة من الهدوء
الظاهري دامت ثلاث سنوات، وذلك عقب أستقرار الشيخ في قرية پيران
بموجب الاتفاقية المعقودة بينه وبين السلطات الحكومية في حزيران عام
١٩٢٧ كما اسلفنا، واستمر ذلك الوضع قائماً الى ان سادت مظاهر
السخط والهيّاج المنطقة مجدداً، وذلك بسبب ابرام المعاهدة البريطانية -
العراقية في ٣ حزيران ١٩٣٠م (معاهدة الاستقلال) التي اثارت استياء
شعبنا العراقي عموماً، وشعبنا الكوردي خصوصاً كونها اهملت حقوقه
ومطالبه القومية العادلة التي نصت عليها مقررات عصبة الامم السابقة
في عام ١٩٢٥ و برغم كل التعهدات والالتزامات المقدمة من الجانبين
العراقي والبريطاني بشأن تأمين وتلبية تلك الحقوق.

لقد صمم ابناء السليمانية عهدئذ على مقاطعة الانتخابات المرتقبة
بصدد انتخاب المجلس النيابي الجديد (البرلمان) المكلف بالمصادقة على
بنود تلك المعاهدة التي رأى فيها العراقيون إنها تنطوي على تنازلات
عدة لصالح بريطانيا على حساب سيادتهم ومصالحهم الوطنية، بينما
شعر ابناء كوردستان العراق حيالها بخيبة اكبر لأنها لم تلب أهدافهم
ومطالبهم القومية الملحة والمشروعة كما تقدم، وعليه كان عزم اهله في
السليمانية كبيراً على المطالبة بحقوقهم والدفاع عنها والتصدي لتلك
الانتخابات المزيفة والمشبوهة. وتبعاً لذلك شهدت السليمانية، مدينة
الفداء والتضحيات، احداث (عتبة السراي) المؤلة الدامية في ٦ أيلول

١٩٣٠ (يوم ٦ أيلول اسود) التي حصدت فيها اسلحة العدو الغادرة من بنادق ورشاشات، ارواح العشرات من سكان السليمانية المتفوضين وجرحت الكثيرين منهم، فأثارت المذبحة غضباً جماهيرياً عارماً على صعيد العراق كله وتأجج في نفوس اهله لهاب النار المقدس والرغبة في الانتقام من الجناة.

وفي غضون ذلك الوضع المرير قرر الشيخ الحفيد المقيم في إيران معاودة النضال المسلح دفاعاً عن حق تقرير مصير الكورد والاختذ بشأراً الدماء الزكية التي اريقت غدرأ في السليمانية يوم السادس من ايلول الاسود، فاستغل حالة الهيجان السائدة في المنطقة لينتفض مجدداً على السلطات الحكومية المدعومة من الانكليز في اواخر تشرين الاول ١٩٣٠م حين كانت الحركة التحررية الكوردية تعيش مرحلة جديدة وهامة بفعل الظروف والتطورات السائدة ودخول العديد من التنظيمات ساحة العمل السياسي وتواصل عشرات البرقيات المطالبة بحقوق الكورد على بغداد ولندن وعصبة الامم، فكان الوضع مبعث قلق حقيقي للحكومة العراقية وحلفائها الانكليز الذين شعروا بخطر حقيقي من جراء الانتفاضة الجديدة للشيخ الذي حرر مع انصاره مطلع عام ١٩٣١ مناطق هامة في أطراف السليمانية مثل شاندرلي وخورمال بعد ان بسطوا في وقت سابق، سيطرتهم على مرتفعات پينجوين^(١)، وبات الوضع أكثر خطورة بالنسبة للسلطات في ظل وجود الدلائل القوية على استعداد منطقة بهدينان للانضمام بدورها الى شقيقتها منطقة سوران في انتفاضتها المتنامية، فشرع المحتلون باتخاذ جملة من التدابير والمخططات من أجل تفادي ذلك الخطر المرتقب والحيلولة دون تحول الانتفاضة الى انفجار كبير يعم كوردستان بأسرها ويطيح بكل مخططاتهم ومصالحهم في المنطقة، وبغية

١- تقع بلدة پينجوين وهي مركز قضاء بنفس الاسم، في الطرف الشرقي من مدينة السليمانية، وتقع قسبة شاندرلي في جنوبها (جنوب پينجوين)، أما خورمال فهي ناحية ضمن قضاء حلبجة وتقع في الطرف الجنوبي الشرقي من السليمانية.

احساد الانتفاضة سريعاً، وهي المرحلة الاخيرة من انتفاضات الشيخ الحفيد، لجأ المحتلون الانكليز الى الاعتماد المتزايد على سلاحهم الجوي في العراق والذي ضم احدث طائراتهم القاصفة في ذلك العهد، وعقدوا بهذا الخصوص اجتماعاً خاصاً يوم ١٣ كانون الثاني عام ١٩٣١ وفي مقر المندوب السامي البريطاني ببغداد (السير فرنسيس همفريز) حضره اضافة اليه تسعة مسؤولين انكليز كبار بضمنهم قائد السلاح الجوي البريطاني في العراق واربعة آخرين من قادة السلاح، وبالفعل اخذت الطائرات البريطانية - ونتيجة لما تقرر في الاجتماع المذكور - تقصف بكثافة مناطق تواجد الثوار بلاهودة وبضمنها القرى والارياف الواقعة تحت نفوذهم وسكانها العزل وممتلكاتهم، لكن تلك الغارات الجوية الشرسة لم تضعف من هم الشيخ الحفيد ورفاقه ولم تحمل دون وصول مظاهر العصيان والتمرد الى مناطق اخرى داخل وخارج حدود السليمانية وبضمنها العديد من القصبات والقرى الواقعة في گهريمان. وعليه عقد المسؤولون الانكليز في العراق اجتماعاً ثانياً مشابهاً للأول وفي نفس المكان السابق، بتاريخ ٢٢ آذار ١٩٣١، تقرر فيه أن يطال القصف الجوي المركز جميع القصبات والقرى التي يتواجد فيها او يلوذ بها الثوار وعقب نصف ساعة فقط من تبليغها بالقصف الذي سيقع عليها، وذلك عن طريق القاء المنشورات عليها من الجو.

وبعد يوم واحد فقط من الاجتماع المذكور، أي (٢٣ آذار) باشر الطيران البريطاني بمهاجمة الاهداف والمواقع المقصودة فاحدث فيها القتل والحرق والدمار، وبضمنها المناطق الكائنة شمالي قضاء خانقين، والتي وصلها لهيب الانتفاضة سريعاً، كقرى؛ هورين، شيخان، بيلوله، كاني كرمانيج، شاهوازي، باخه هه ناره العائدة الى عثمان بك الشرفبياني، وايضاً قسبة قوره تو وقرية چياسرخ الحدودية وغيرها.

وللتدليل على اهمية الدور النضالي الذي اضطلع به حينذاك ابناء عشيرة الشرفبياني بأمرة رئيسهم الشجاع عثمان بك (١٨٩١-١٩٦٨)



عثمان بك الشرفبياني

الناصر للشيخ الحفيد، نشير الى المعلومات الواردة في الوثائق البريطانية بشأن خطورة الوضع القائم هناك في منطقتهم (أي منطقة الشرفبياني) لاسيما عقب هجومهم على مركز شرطة بيلولة^(٢) ومحاصرة العشرات من افراد الشرطة المتحصنين فيه وطيلة اسبوع كامل، والذين اوشكوا على الاستسلام للشوار لولا تدخل السلاح الجوي البريطاني لصالحهم بقيادة الجنرال الطيار لويدكورتن، الحائز على ميداليتين رفيعتين قبل قدومه

الى كوردستان. فقد انيطت بهذا الجنرال ادارة العمليات الجوية في منطقة خانقين فأوصى قائد السلاح الجوي البريطاني في العراق بمنحه ميدالية أخرى جراء طلعاته الجوية الفاعلة على المنطقة ودوره المؤثر في قمع حركتها المسلحة وتحديدأ خلال الفترة (٢٧-٣١ آذار) التي بلغ الوضع المتوتر فيها ذروته وتعرضت ديار الشرفبياني خلالها الى الخراب والدمار فانسحب اهلها الى مناطقهم الجبلية القريبة فتحصنوا فيها ردحاً من الزمن.

ولم يكن مصير عدد من القرى الكائنة جنوبي قرداغ افضل من مصير شقيقاتها في خانقين، اذ تعرضت هي الاخرى الى غارات جوية عنيفة وخصوصاً يوم ٣٠ آذار الذي القت فيه الطائرات المعادية، وحسب اعتراف البريطانيين انفسهم، ٩٩ قذيفة من زنة ٢ پاوند على تلك القرى وصلتها بـ (٥٢٠٠) اطلاقة رشاش.

٢- كان يوجد في بيلولة مركز ناحية (هورين - شيخان)، ثم أُنْتُقِلَ مركز الناحية وعقب الاحداث التي تكررناها بفترة، الى قصبة ميدان المجاورة، فاصبحت الناحية تسمى بـ(ميدان) وماتزال.

أدرك جميع تلك الهجمات الشرسة فشلت في إخماد انتفاضة الشيخ
، ومع وصول تأثيرها إلى المناطق المجاورة التي سادتها أعمال المقاومة
، التحدي ومظاهر الحماس البالغة ومنها إضافة إلى ما ذكر، مناطق؛
المات في شهرزور و گهرميان، والدلو في كفري، والجباري والداودي
، الركنة والظالباني في أطراف كركوك والهموند في جمل.

وبعدما أدرك الأعداء أنهم عاجزون لوحدهم في القضاء على الانتفاضة
الجديدة للشيخ الحفيد سارعوا إلى الاستعانة بالنظام الشاهنشاهي
الإيراني والطلب منه دعمهم في هذا المجال، لاسيما وأن الشيخ كان
حظي بالدعم والاسناد من لدن أبناء منطقتي دزلي وبانه وغيرهما من
أرجاء كوردستان الإيرانية.

ولضمان تحقيق ذلك الهدف اتصل الملك فيصل الأول بالقيادة الإيرانية
طالباً عقد اجتماع عاجل مشترك بين الجانبين يكرس لتنسيق جهودهما
المشتركة بشأن مهاجمة الشيخ الحفيد وحليفه محمود خان دزلي^(٣) كما
دعا (أي فيصل) الإنجليز إلى دعمه في هذا المسعى أيضاً فأختيرت بلدة
مريوان الحدودية الإيرانية (المتاخمة لـ پنجوين) مكاناً لذلك الاجتماع،
حيث أقلت طائرة الملك فيصل الخاصة الوفد الحكومي العراقي -
الإنكليزي المشترك إلى هناك فقبول بالحفاوة والترحاب من قبل الوفد
الإيراني المضيف، فتتبعه مناقشة الإجراءات والمخططات الهادفة إلى
تحقيق غرضهم المشترك الذي ذكرناه.

وبذلك أصبحت إيران عاملاً ضغط إضافي وفعال على الشيخ وانصاره
وحلفائه، في الوقت الذي بدأ فيه البرلمان العراقي بمناقشة التخصيصات
المالية الجديدة المكرسة لتمويل نفقات العمليات العسكرية الموجهة ضد
الانتفاضة. كما صعد السلاح الجوي البريطاني في تلك الأثناء أيضاً، من

٣- كان محمود خان من رؤساء عشائر الكورد البارزين في إيران، وقد لعب دوراً مع
أبناء عشيرته أبان الانتفاضة الأولى للشيخ الحفيد في السليمانية (كما تقدم)،
وظل حليفاً مخلصاً له أبان المراحل اللاحقة من نضالاته.

غاراته الجوية على مناطق تواجد الثوار ونشاطاتهم.

وفي خضم تلك التطورات والظروف الصعبة المحيطة بالشيخ وانتفاضته وبناء على الاتصالات والمراسلات التي اجراها معه رؤساء العشائر الموالية له في گهرميان (ضمن لواء كركوك) قرر (اي الشيخ) التوجه الى هناك واتخاذ تلك المنطقة الهامة قاعدة لانتفاضته والانطلاق منها اعتماداً على انصاره من أبناء الجاف والهموند والطالباني والزنگنه والجباري والداودي والدلو لضرب قوات وتجمعات العدو المحيطة بمدينة كركوك العزيزة وتفريق شملها ودحرها تمهيداً لتحرير تلك المدينة المعروفة بأهيمنتها الاستراتيجية المتعددة الاغراض.

وبعد رحلة طويلة ومضنية عبر خلالها الشيخ وصحبه مناطق شهرزور وقرداغ وسنگاو والزنگنه وصلوا الى مبتغاهم في منطقة گل الواقعة في الطرف الجنوبي من كركوك بعد ان أنضم اليهم في طريقهم الى هناك المزيد من الانصار المسلحين المتأهبين للقتال الى جانب زعيمهم ورمز نضالهم الوطني و القومي الشيخ الحفيد، فاستقبلوا بمنتهى الود والحفاوة وكرم الضيافة التي عرف بها اهلنا الطيب في گهرميان، مهد الاصلة والامجاد والتضحيات.

ثم بدأ الشيخ وقادته و انصاره بالاستعداد والتهيؤ لتنفيذ مخططهم الثوري الكبير الهادف الى تحرير مدينة كركوك العزيزة ذات الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية القصوى، بينما كانت مشاهد الربيع الخالية وأنفاسه العطرة تغمر تلال وسهوب گهرميان الفيحاء وتزيدها سحراً وجاذبية وألقاً.

معركة (ناوباريك) البطولية في گهرميان ١٩٣١

يظهر مما تقدم، ان تحرير كركوك صار هدفاً اساسياً للشيخ وأنصاره ابان تلك المرحلة من عمر انتفاضتهم، فشرعوا عقب وصولهم منطقة گل مباشرة بالتخطيط والعمل من اجل ذلك الهدف إعتماً على دعم عشائر

د.رميان وامكاناتها وقدراتها القتالية المتاحة في هذا السبيل، وقد انضمت الخطة بمهاجمة تجمعات قوات العدو الرئيسية القريبة من كركوك، انطلاقاً من ارجاء گل الوعرة والزحف عبر ليلان الى داخل المدينة (كركوك).

ولم يدر بخلد الشيخ ان المسؤولين العراقيين والانگليز المعروفين بأنتهاجهم لمختلف الدسائس والمؤامرات في مناهضتهم له قد تهيأوا من جانبهم لمواجهة له وافشل مخططه الذي قدم من اجله وذلك باستغلال الخلاقات والخصومات الموجودة بين بعض عشائر المنطقة التي كان يعول عليها الشيخ في تنفيذ ذلك المخطط، وتأجيج نار الفتنة والشقاق بينها وبالتالي عزلها عن خط الانتفاضة وكسب بعضها الى جانبهم في معركتهم ضد الشيخ الحفيد. وفعلاً أفلحت مساعيهم الخبيثة تلك في كسب ولاء العديد من المغرر بهم والذين آثروا توجيه فوهات بنادقهم الى صدور آخوتهم الذين استرخصوا دماءهم واموالهم على طريق الكفاح والنضال ضد المحتلين وأعوانهم.

كما اتخذ العدو الذي كان يتابع تحركات الشيخ عن طريق جواسيسه وعملائه. جملة من الاحتياطات والاجراءات العسكرية الاحترازية تحسباً لهجمات الثوار على مدن وقصبات كركوك، فجلبوا المزيد من التعزيزات الى المنطقة بواسطة السيارات والخط الحديدي المار بين كركوك وبغداد (الخط المتري القديم).

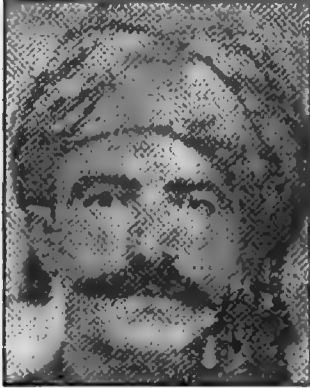
وفي ٤ نيسان ١٩٣١ وبينما كان الشيخ الحفيد وجمع من أنصاره وبضمنهم عدد من وجهاء گه رميان المعروفين نازلين في ضيافة الشيخ مجيد الطالباني صاحب قرية (ناواريك)^(٤) وصلت المعلومات الى أستخبارات القوة الجوية البريطانية (في العراق) بوجودهم هناك (اي الشيخ ورفاقه) فسارعت من جانبها فوراً الى تبليغ السلطات الحكومية

٤- ناواريك قرية من قرى عشيرة الطالباني في منطقة (گل) ضمن قضاء طوزخورماتو. وتبعد القرية عن مركز القضاء بمسافة ٢٠ ميلاً.

العراقية بذلك.

وفي اليوم التالي ٥ نيسان^(٥) توجهت الى الموقع قوة كبيرة مؤلفة من مئات الجنود والشرطة والمرتزة، بقيادة امير اللواء (الحاج رمضان باشا)، وهي معززة بالمدافع والرشاشات الثقيلة (المتورلوز) وسائر الاعتدة اللازمة لمعركتها المرتقة في (ناوباريك).

وقبل وصول تلك القوة الى القرية، كانت الطائرات البريطانية قد باغتت الشوار في موقعهم وبدأت تقصفهم بشدة بهدف حصرهم ومنع انسحابهم من القرية قبل وصول القوة الحكومية القادمة لملاقاتهم.



ثم وصلت القوة المهاجمة مشارف القرية بعد ظهر ذلك اليوم المشهود في تاريخ شعبنا المعاصر فهاجمتها من جبهتين رئيسيتين تمهيداً لاختراقها السريع، لكنها جويت بمواجهة ضارية من قبل الشوار وأهل (ناوباريك) البواسل، الذين تحصنوا بين الاشجار والسواقي الموجودة في الطرف الجنوبي من القرية، وعند الوادي الكائن شرقها، فدارت هناك رحي معركة

كريم بك الجاف

شرسة بين المهاجمين المعززين بمختلف

الاسلحة والاعتدة والمدعومين من السلاح الجوي البريطاني وبين المدافعين (الشوار) المؤلفين من بعض اتباع الشيخ ومقاتلي الجاف المرافقين لاميرهم الشهم كريم بك، وبعض شيوخ الطالباني (بضمنهم صاحب القرية) وآغوات الزنكنه، أما القوات الاخرى الموالية للشيخ والمتوزعة خارج قرية (ناوباريك) بسبب عدم قدرتها (أي القرية) على استيعابها، فبأنها لم

٥- حدد الاستاذ علاء الدين السجادي تاريخ معركة (ناوباريك) باواخر شباط ١٩٢١م، بينما حدده الاستاذ أحمد خواجه ود. كمال مظهر بـ(٥) نيسان من نفس العام وهو الاصح كما يبدو.

مكن قدرة على الاشتراك في الواقعة بفعل فاعلية الطيران المعادي ، الاسلوب المباغت الذي اتبعه العدو في هجومه السريع على الموقع غيرها من المعطيات والظروف الصعبة الاخرى التي لا يمكن حصرها في هذا المجال^(١)

نعود الى اجواء المعركة وطبيعتها فنذكر بأنها وصلت ذروتها عندما حاول المهاجمون أخيراً اختراق مواقع الثوار الرابضين فيها ، فوصل القتال أحياناً الى حد التشابك والتداخل بين المتقاتلين. لكن الثوار لم يفقدوا رباطة جأشهم، بل قاتلوا عدوهم قتال الابطال، واستمروا صامدين في أماكنهم، كما تصدوا من جانب آخر بأسلحتهم الخفيفة لطائرات العدو المغيرة التي كانت تتناوب في مهاجمتهم وقصفهم بلا هوادة طيلة ساعات المعركة، وافلحوا في أصابة احداها اصابة مؤثرة وإبعادها عن ساحة المعركة فتمكن قائدها المدعو (گاردنر) من الهبوط بها على بعد اميال من الطرف الجنوبي الشرقي لبلدة طوزخورماتو.

واجمالاً، ضرب ابطال معركة (ناوباريك) مثلاً رائعاً في الشجاعة والصمود خلال تلك الواقعة الحامية التي استغرقت عدة ساعات وتمكنوا مع حلول ظلام المساء من اختراق الطوق المحكم المفروض عليهم والافلات

٦- كتب د. مكرم الطالباني مقالاً في مجلة ره نكين (العدد ٦٨) كرسه للحديث عن معركة ناوباريك وظروفها وتفاصيلها، وقد أرجع فيه سبب إخفاقه الشيخ عهدئذ الى نجاح مساعي الحكومة في عزل بعض العشائر الموالية له عن انتفاضته، ووجود الخصومات وقضايا الثأر بين عدد آخر من تلك العشائر وبالشكل الذي منعها من القدوم الى منطقة (كل) والمساهمة في معركة (ناوباريك) عبر أراضي خصومها، مشيراً بهذا الخصوص الى الخصومات الموجودة بين الهموند من جهة والزكنة والطالباني من جهة أخرى. وذكر أيضاً ان علاقات الطالباني لم تكن على مايرام مع الداودي والجباري، وكذلك الحال بالنسبة لعلاقات شيوخ الطالباني مع الشيوخ البرزنجين، والتي أتسمت بالعداء الشديد في تلك الفترة.

واللفت ان د. مكرم وقع في خطأ بين عندما اشار في مقاله الى وجود الثائر كريم بك الهموند في ذلك التاريخ (عام ١٩٢١م) فالثائر المذكور كان قد أستشهد عام ١٩٢٦ أي قبل وقوع معركة (ناوباريك) بخمس سنوات كاملة!!

من المكيدة التي دبرت ضدهم باحكام بعد ان كبّدوا العدو العديد من القتلى والجرحى. ولابد من التنويه هنا بالدور القيادي الشجاع والمعهود



داود بك الجاف

الذي تميز به الشيخ الحفيد اثناء المعركة والشجاعة الفائقة التي ابداهها ورفاقه البواسل الذين فوتوا بأقدامهم وتجلدتهم على المهاجمين الذين كانوا يفوقونهم كثيراً في العدد العدة، فرصة أسرهم أو القضاء عليهم، ونخص بالذكر منهم الشيخ علي قديلهزه (الذي استشهد في المعركة مع ١٨ ثائراً من اتباعه) والامير كريم بك الجاف الذي ابلى مع شقيقه الاصغر داود بك ونجّله محمد امين بك

(مينه جاف الشاعر) ومقاتلي عشيرته،

بلاء حسناً في (ناوباريك). ولقد استأسد داود بك بشكل خاص اثناء صولات المعركة فحظي بأعجاب وثناء الشيخ الحفيد الذي مدحه بعبارته الحماسية الشهيرة: «ان داود اسد.. اسد، لم لاتذكرون».

والواقع أن الشيخ ورفاقه حققوا في ذلك اليوم المجيد ملحمة بطولية رائعة سطروها بدماء شهدائهم الخالدين، وهم الشيخ علي واصحابه وبعض مقاتلي الجاف و رفاق الشيخ من الذين قدموا معه من حدود السلمانية.

وبعد ما انسحب الشوار مساءً من الموقع مصطحبين معهم شهداءهم وجرحاهم، استمرت الطائرات البريطانية بملاحقتهم منذ اليوم التالي وقصفت القرى والمواقع التي كانوا يتواجدون فيها، فقرر الشيخ تبعاً للظروف والعوامل القاهرة المحيطة به عقب واقعة (ناوباريك)، مغادرة كهرميان والعودة عبر مرتفعات قرداغ وسهگرمه الى الحدود الايرانية التي بلغها مع اصحابه يوم ٢١ نيسان ثم وصلوا قرية پيران مجدداً ليلة ٢٢-٢٣ من نفس الشهر.

الوضع بعد (ثاوباريك) واستسلام الشيخ

بعدما استقر الشيخ الحفيد في قرية پيران أخذ يحلل المعطيات والنتائج الصعبة التي افترزتها معركة (ثاوباريك) البطولية ويدرس مليا احتمالات المستقبل تبعاً للموقف الراهن، وخصوصاً بعدما تبين له بالدليل القاطع كيف ان الاعداء افلحوا بدسائسهم وخبثهم في كسب ولاء البعض من ابناء عشائر الكورد الذين اختاروا الخندق المعادي للانتفاضة، ف شعر (اي الشيخ) بألم بالغ اصاب قلبه الكبير من الصميم بفعل ذلك الموقف المشين الذي سلكه هؤلاء تجاهه، وهو الذي نذر أحلى سنوات حياته وكل ممتلكاته وطاقاته الجسدية والمادية لخدمة شعبه وقضاياه المصيرية التي أخلص لها دوماً، فايقن واستناداً الى ذلك الوضع المؤلم، بأنه مجبر لا محالة على مقاتلة ابناء شعبه الذين غرر بهم الاعداء، الامر الذي كان يعني ببساطة سفك دماء الكورد بأيدي الكورد انفسهم. وعليه قرر الشيخ التروي ويحث الموضوع من كل جوانبه قبل اتخاذ قراره النهائي بشأن مستقبل انتفاضته ومصير رفاقه المخلصين. ثم ازداد موقف الشيخ صعوبة، عندما بدأت مرحلة أخرى من التعاون الوثيق بين النظامين الايراني والعراقي بخصوص مهاجمته وأنها مساعيه الثورية عاجلاً. وظهر ذلك جلياً عندما سافر قائد قوات المشاة العراقية في كوردستان الزعيم (خليل زكي) الى ايران في مايس ١٩٣١م يصحبه مستشاره، الضابط البريطاني (روبرتس)، فاجتمعا مع المسؤول الايراني العقيد (محمود خان ايم) بشأن وضع الخطط المتعلقة بالهجوم على الشيخ. ونتيجة لذلك اخذت القوات الايرانية بالاستعداد لمهاجمة پيران بينما احتشدت القوات العراقية في الجانب الاخر من الحدود تمهيداً للمهمة الموكلة اليها وملاحقة الشيخ حال دخوله الاراضي العراقية، في حين اخطر المسؤولون الانكليز من جانبهم الشيخ بأنه سيتعرض لامحالة الى الهجوم الايراني - العراقي القريب في حال اصراره على مواقفه ونواياه السابقة والمعروفة. وتبعاً لذلك التطور وغيره من الظروف والمعطيات الصعبة التي وجد

الشيخ فيها نفسه فجأة عقب معركة (ناوباريك)، كما أسلفنا، فقد أرتأى التوقف عن ادامة نهجه الكفاحي المسلح وتجنّب أنصاره وابناء شعبه الكادح المزيد من التضحيات والمصاعب، فتوصل يوم ١٣ مايس ١٩٣١م الى قراره النهائي بأنها انتفاضته الاخيرة مجبراً والعودة الى ارض الوطن فوراً، فسار صوب پنجوين حيث قضى ليلته خارجها. وفي اليوم التالي ١٤ مايس، بلغ الشيخ تلك البلدة الجبلية الجميلة التي شهدت العديد من صولاته وجولاته سابقاً، فأجرى فيها محادثات مستفيضة مع الكابتن (ثيفيان هولت) مبعوث المندوب السامي البريطاني في العراق، السيرف. همفريز وبحضور متصرف السليمانية (أحمد توفيق بگ)، وافق الشيخ بعدها على القاء السلاح وتسليم نفسه للسلطات الحكومية العراقية. ولاشك ان القرار المذكور كان مبعث اغتباط المسؤولين العراقيين والانكليز على حد سواء وفي مقدمتهم الملك فيصل الاول والمندوب السامي البريطاني الذي ابرق عاجلاً الى وزير المستعمرات البريطاني في لندن مبلغاً اياه بالنبا السعيد بالنسبة اليهم. وفي اليوم التالي لمحادثات پنجوين قدم الشيخ الى السليمانية بصحبة المبعوث الانكليزي ومنها ارسل الى بغداد، وقد كتب هذا الاخير (أي الكابتن ثيفيان) تقريراً سرياً وهاماً كرسه للحديث عن انتفاضة الشيخ الاخيرة وانعكاساتها وتفاصيل محادثاته معه (اي مع الشيخ) في پنجوين وظروف نقله من هناك الى السليمانية فبغداد ثم ابعاده الى جنوب العراق.

وبعد التقرير المذكور شهادة منصفة وهامة من لدن أحد المسؤولين الانكليز بحق خصمهم اللدود الشيخ الحفيد الذي قارعهم طويلاً، حيث اثنى كاتبه كثيراً على بسالة وشهامة الشيخ الثائر وطموحه وكبريائه مؤكداً بأنه قاتل وخسر بشرف ومنوهاً بالتوديع الحافل والمؤثر الذي خصه به اهل القرى المجاورة لپنجوين بعد استسلامه، وهم يقبلون يديه وعيونهم مغرورة بالدموع والحسرات تخنقهم، وأضاف معلقاً:

«ان اكبر خطأ اقترفه الشيخ هو انه جاء الى الدنيا متأخراً

بقرن عن العهد الذي كان يجب ان يولد فيه (٧) . »

كما اشار مراسل جريدة التايمس اللندنية الذائعة في تقريره الذي ارسله من بغداد الى صحيفته يوم ٣٠ مايس، أشار الى مظاهر الاحتفاء الصادقة التي حظي بها الشيخ اثناء مجيئه من پنجون الى السليمانية التي خرج سكانها لاستقباله وتقبيل يديه.

ثم نقل الشيخ الى بغداد ومنها أبعد الى جنوب العراق، فقضى ردهاً من الزمن في الناصرية والسماعة قبل ان ينقل الى عنة ومنها اعيد الى بغداد عام ١٩٣٣م، فأستمر مناصروه ومؤيدوه بزيارته وتفقد احواله على الدوام.

واخيراً شاور الشيخ بعض مقربيه بصدد الهرب والتخلص من ظروف اقامته الجبرية ومبارحة بغداد سراً في اقرب فرصة ممكنة فتحققت له تلك الفرصة اخيراً اثناء اندلاع حركة مايس ١٩٤١م (المعروفة بحركة رشيد عالي الكيلاني)، ثم وصل بمعاونة انصاره الى قريته (دارى كهلى) الكائنة غربي السليمانية بمحاذاة جبلي يرانان وسه گرمه، حيث استقر هناك وبدأ يخطط لمعاودة القتال واشعال لهيب الانتفاضة مجدداً. لكن الوقائع السائدة جعلته يتيقن بأن عملاً من هذا النوع سيجبره على مقاتلة بعض الكورد الذين استمالهم الاعداء الى جانبهم، وكما حصل سابقاً، فلم يشأ الشيخ مقاتلة ابناء شعبه. وعليه قرر العدول مكرهاً عن مخططه الهادف الى محاربة السلطات التي اختار الاتفاق معها بشأن الاقامة الدائمة والاستقرار في قريته (دارى كهلى) طيلة سنوات عمره الباقية التي ظل فيها الشيخ ناقماً ساخطاً على الحكومة العراقية وحلفائها الانكليز وحتى الرمق الاخير من حياته المعطاء المباركة في شهر تشرين

٧- المقصود من كلامه هو ان الانكليز كانوا يمتلكون قدرات عسكرية وتسليحية هائلة في القرن العشرين حيث ثار عليهم الشيخ الحفيد، ولو كان الشيخ موجوداً في القرن السابق (القرن ١٩) الذي لم تكن فيه مثل تلك الاسلحة والطائرات الفتاكة موجودة، لكان بإمكانه أن يحقق وقتذاك ما عجز عن تحقيقه فيما بعد!

الأول عام ١٩٥٦

وبعدما رحل الشيخ المجاهد الى مثواه الاخير ظلت مآثره ومفاخره ومواقفه وتقاليده النضالية الراسخة وسجاياه الوطنية والقومية والانسانية الرفيعة خالدة في سفر امتنا، وذكرى كلماته البليغة المؤثرة محفورة في الاذهان والخواطر، وهو الذي خاطبه يوماً، الملك فيصل الاول ببغداد، عقب انتفاضاته ونضالاته المتكررة ضده وضد اسياده الانكليز، بقوله: «محمود! ما كل هذا الظلم والتعسف ولم اشعلت نار التمرد والعصيان بوجهي؟».

فرد عليه الشيخ الثائر بشجاعته الفائقة وفصاحته المعهودة:

« فيصل!... بعض الناس يأخذون الكفار الى الكعبة ليسفكوا هناك الدماء ويستبيحوا بيت الله الحرام، فلا تعد ذلك ظلماً، لكنك تعد مطالبتي بحقوقنا المغتصبة داخل ارضي وشعبي ظلماً فبئس لهذه الدنيا!! ».

لمحات من تاريخ الجاف

ودورهم الوطني والقومي المشهود

يؤلف أبناء الجاف احدى أكبر وأعرق قبائل كردستان قاطبة وقد نالوا تبعاً لذلك اهتماماً ملفتاً للنظر من لدن المؤرخين والباحثين والرحالة الاجانب الذين أفردوا لهم في العصر الحديث حيزاً واسعاً من نتاجاتهم المتعلقة بالكورد، والتي تعد بمجملها مراجع تاريخية وعلمية قيمة عن امتنا التي تعرض تاريخها الحضاري وارثها القومي الى الكثير من الحيف والتشويه والاهمال والضياع على مر العهود المنصرمة.

وبرغم ذلك الاهتمام البين والمتأخر بالجاف، شأنهم شأن العديد من القبائل الكوردية الاصلية الأخرى، فإن المخفي من تاريخهم سيظل أعظم بكثير من جميع تلك المعلومات والأخبار المدونة عنهم والتي لاننكر رغم قلتها، أهميتها وفائدتها القصوى لجيلنا الحالي التواق دوماً الى معرفة ماضي أمته وأجداد سلفه العريق.

ومهما توسعنا في تقصي وتتبع تاريخ الكورد القبلي، وبضمنه تاريخ الجاف طبعاً، فأنا سنظل قاصرين عن الالمام الكافي بهذا التاريخ الذي تبقى جوانب عدة وهامة منه طي المجهول رغم الجهد الطيب الذي بذله في هذا المجال المهتمون والباحثون والجوالون الذين جابوا بلادنا لاغراض ومقاصد شتى وأسدوا خدمات وأسهامات لاتنسى لماضي الكورد وإرثهم الحضاري والقومي.

والتأمل لنتائج هؤلاء الباحثين جميعاً سيلفت انتباهه حتماً هذا

الاهتمام المشوب بالاعجاب الذي أبدوه بأخبار الجاف وطابع حياتهم القبلي المتنقل اصلاً وخلقهم الكوردي الرفيع، وهذا الاهتمام يعود اساساً الى سعة انتشار هذه القبيلة وبأسها وتأثيرها قديماً وحديثاً. فالجاف لم يكونوا مجرد قبيلة كبيرة ومهيبة فحسب، بل الاصح أنهم كانوا أمانة قبلية مؤلفة من عشائر وطوائف عدة حافظت طويلاً على وحدتها وقاسكها ضمن اتحادها الاكبر الذي تزعمه امراؤهم - بگزاداتهم - في مختلف المراحل والظروف، وبذا فان تاريخ الجاف القبلي يتألف من جميع الاحداث والوقائع التي رافقت مسيرة هؤلاء القوم ابتداءً من اسرتهم الحاكمة ومروراً بعشائرتهم الكبيرة وانتهاءً بفروعهم وأفخاذهم الصغيرة^(١).

فقد أعرب ربيع الذي زار كردستان عام ١٨٢٢ ونزل عندهم ضيفاً في ٢ آب عند مضربهم الصيفي بمریوان، عن اعجابه البالغ بطابع حياتهم الرحالة وهيبته وحسن منظريهم وحكمة وجاذبية مضيئه اميرهم كيخسرو بگ، كما اثنى على علو شأن نسائهم وحرتهن الظاهرة، موضحاً أن فرسانهم يشكلون أفضل مقاتلي الكورد حيث قدر قوتهم القتالية بألفي فارس وأربعة الاف مقاتل مشاة (تفنگچي) فيما قدر فريرز (سنة ١٨٣٤) نفوس القبيلة بـ ١-١٢ ألف أسرة رحالة منوها بمقدرتهم على تقديم ألف فارس للباشا الباباني (سليمان پاشا) وقت الطلب.

أما آدموندز فقد وصفهم بالكورد الخالص الاقحاح وبأنهم بدون شك،

١- يمكن تقسيم الجاف الى ثلاثة اقسام رئيسية:

أ- الجاف المرادي في كردستان العراق، ويشكلون الغالبية العظمى من الجاف ومن فروعهم الرئيسية: الميكالي، الروغزاني، الترخاني، الشاطري، الكلاي، الهاروني...

ب - جاف جوانرود في ايران ومنهم روستم بكي، قبادي، ولد بكي، باباجاني.

ج - الجاف الساكنون في مناطق كوران ضمن زهاب وقصر شيرين في كرمينشاه الايرانية ومنهم: (التايشه يى) وقادر ميرويسي، نيرزي ويمكن اضافة الجاف الساكنين عند الضفة الشرقية من نهر سيروان ضمن خانقين الى هذا القسم.

أعظم قبيلة في جنوب كردستان وبأنهم كثيراً ما يشار إليهم بكلمة كورد فحسب لتدل على معنى قاصر عليهم خاص بهم يميزهم عن غيرهم من القبائل والريفين. ونوه (باسيل نيكتين) بأقدامهم وصيتهم في كردستان الجنوبية، وقال عنهم الميجر سون بأنهم قبيلة كبيرة على حظ عظيم من الشهرة، وهم احتفظوا دوماً بتماسكهم وطابعهم شبه المستقل داخل ديرتهم الممتدة من قزلرباط جنوباً إلى بنجوين شمالاً. ومن جانبه أشاد محمد أمين زكي بـ بگ بوحدتهم ووشائجهم القوية فيما بينهم مقدراً عددهم في كردستان العراق (نهاية عقد الثلاثينات من القرن الماضي) بـ ٢٠ ألف أسيرة أو ١٢ ألف نسمة، كما شاطره علاء الدين السجادي الرأي بشأن قوة الجاف وعدد نفوسهم الكبير بشرطهم الرحل والمستقر. كما أعجب عباس العزاوي بأخلاقهم العالية وصفاء سريرتهم وحسن سلوكهم وعقيدتهم وأدائهم للفرائض الدينية مضيفاً بأنه لم ير انتشاراً وكثرة في قبائل العراق الكوردية مثلما رآه في هذه القبيلة وفروعها.

واليوم، فإن الجاف الذين يقدر عددهم بمئات الألوف من الساكنين في ديارهم الشاسعة الممتدة ضمن مناطق متعددة من مناطق السليمانية وكركوك واربيل وديالى في كردستان الجنوبية وأرجاء مختلفة من محافظة كرمينشاه وبضمنها مهدهم الأصلي في جوانرود وبعض المناطق الإيرانية الأخرى، يشكلون جزءاً هاماً وأصيلاً من كيان هذه الأمة بترائهم القبلي العتيق ودورهم الوطني والقومي المتميز في تاريخ شعبهم وأسهامهم الروحي والثقافي والفكري المبدع الذي تدل عليه عطاءات عالمهم الديني الجليل ابن الصلاح الشهرزوري و شيخهم المرشد مولانا خالد النقشبندی وشعرانهم العظام (نالي ومولوي وولي ديوانه و طاهر بگ وأحمد مختار بگ الجاف وگوران وصينه الجاف ونبرد الجاف...) وآثار عمرانهم المتمثلة بقلعة محمد پاشا (قلعة شيروانه) عند كلار ومسجد محمود پاشا في قزلرباط وقلعته الكائنة قرب قرية تازہ دی^(٢) وبقايا

٢- تازہ دی: قرية تقع شمالي كلار، عند ضفاف سيروان.

ابنيه: عثمان باشا الجاف وزوجته النابغة (عادلة خانم) في حلبجه وغيرها من الاطلال والشواخص التي ماتزال تتحدى جبروت الزمن وتعيق برائحة الاسلاف الذين تركوا من بعدهم تاريخاً حافلاً بالامجاد والوقائع، والذي سنختار منه في سياق موضوعنا هذا، صفحات تتعلق أساساً بالجاف القاطنين في كردستان العراق والذين عرفوا ومايزالون باسم الجاف المرادي، وعسى أن نكون موفقين في عرضها وتقديمها للقراء الكرام.

عراقه الجاف وأصل تسميتهم

لاشك أن الجاف قديمو العهد في التاريخ، لكن المعلومات المدونة عن تاريخهم القديم وأصولهم الأولى شحيحة للغاية، فبأستثناء بعض الاشارات البسيطة التي أوردها قلة من المؤرخين الذين يرجعون تاريخ الجاف الى أحقاب موغلة في القدم (العهد الساساني) دون أن يخوضوا في التفاصيل كثيراً فأننا نكاد لانعرف الا شيئاً قليلاً مهماً يستحق الذكر عن ذلك التاريخ العريق.

وينطبق ذلك الواقع نفسه على العهود المتأخرة التالية التي لايتجاوز نطاق معلوماتنا عن الجاف خلالها حدود الأخبار والحكايات المنقولة عنهم جيلاً بعد جيل كثيراً فلم يرد ذكر الجاف وفروعهم الا متأخراً في بعض المراجع والمخطوطات الاسلامية التي أشارت علائقة الى أسماء بعض فروع الجاف الرئيسية كالگلالي والهاروني إبان القرنين الرابع والخامس الهجريين، ونشير بهذا الصدد الى اسم القلقشبندي الذي تحدث عن فرع گلالي. كما ورد اسم الجاف أيضاً في المخطوطات العائدة للقرنين السابع والثامن الهجريين، ثم تعاظم ذكرهم خلال المراحل اللاحقة وخصوصاً في عهد الصفويين وحكم نادر شاه الأفشاري^(٣)، وقد طلب المرزا مهدي استرابادي منهم وغيرهم من الطوائف الكوردية التي بلغ

٣- ولد نادرشاه ١٦٨٨ وتوج شاهاً على بلاد فارس ١٧٣٦ واغتيل في مكيدة محكمة ١٧٤٧

مجموعها ٥ طائفة في كرمشاه وخارجها، بشأن دعمه ومساندته عقب اغتيال نادر شاه، فلم يلب طلبه سوى رئيسي الجاف والمنگور، كما عرف عن الجاف كونهم قبيلة كبيرة ومعروفة بهذا الاسم في عهد الزنديين الذي استمر خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

أما بخصوص أسم الجاف فأن التأويلات والتفسيرات متباينة بهذا الشأن كثيراً، اذ يفيد أحد الآراء بأن التسمية مشتقة من لفظة (جهفا كيش) المحلية المركبة والدالة على معنى الشقاء والعذاب على اعتبار أن الجاف كانوا غالباً طلائع جيوش الحكام والامراء فقاوسا بسبب ذلك الولايات والمصائب فأنطبقت التسمية عليهم تماماً، ثم أختصرت الى لفظة (جهفا) وحورت أخيراً الى (الجاف)، وقد أيد هذا الرأي واستحسنه الأمير كريم بگ بن فتاح بگ الذي كان واحداً من رؤساء الجاف البارزين، ومع ان الاستاذ علاء الدين السجادي مال الى استحسان هذا الرأي بصدد اشتقاق الاسم من كلمة (جهفا كيش) المركبة، الا أنه عاد ورجع عليه رأيه الشخصي بكون الاسم مأخوذاً من اسم جافر (جعفر بالعربية) الذي ربما كان احد اجداد الجاف القدماء على اعتبار أن الكورد دأبوا غالباً على مناداة جافر بـ(جافه).

اما الشاعر المعروف قانع رأى أن الجاف من أنسال فرسان الـ(جهفاي)، نخبة قوات الشاه سلطان حسين الصفوي (١٦٩٤-١٧٢٢)، الذين كلّفوا بمهمة حماية منطقة أصفهان من اللصوص وقطاع الطرق. غير أنهم أنفسهم تحولوا بمرور الأيام الى أعمال السلب والنهب، فأشاعوا الخوف والفرع بين أهالي المنطقة، فصار أسمهم الـ(جهفاي) خير معبر عن قساوتهم وشدتهم اللتين عرفوا بهما بين السكان. بينما يرجع العلامة عبدالكريم المدرس اشتقاق الاسم من (ژاف) بمعنى الرطب أو الطري في إشارة الى الاعشاب الطرية التي دأب الجاف الرحل على البحث عنها لمواشيهم.

وللملا جميل الروژبياني رأيه الوجيه في الموضوع والذي يزيد فيه

آخرون غيره من المهتمين ومفاده أن الاسم مأخوذ من أسم جاوان (جاغان) القبيلة الكوردية الايرانية العريقة. حيث تفيد مصادر ومعلومات مختلفة أن جماعات من الجاوان انحدرت في وقت غير معلوم من موطنها الاصلي عند الجبال الموجود حوالي دماوند الايرانية الشمالية، الى محافظة كرمنشاه الحالية غربي (ايران) وفرضت اسمها الاصلي على الموضع الذي قدمت اليه فصار يعرف بـ(جاوان رود - جاوان رو)، كذلك عرفت القبيلة التي نشأت وترعرعت هناك فيما بعد باسم الجاف المحور من (جاوان - جاغان)... كما ان بعض فرق (الجاوان) نزحت لأسباب شتى في منتصف القرن الرابع الهجري لأسباب غير واضحة تماماً (نتيجة لكوارث طبيعية أو بسبب المعارك والنزاعات التي حدثت في مناطقها)، نزحت باتجاه بعض المناطق الوسطى في العراق وقدر لها ان تلعب دوراً مؤثراً وبارزاً في سير الاحداث والوقائع التي أحاطت بالمنطقة عهذاك. وفي أواخر القرن الخامس الهجري نجد الجاوانيين قد انحدروا نحو الجنوب أكثر وساهموا مع قبيلة بني اسد في بناء مدينة الحلة وسكنوا هناك في الحي الموسوم باسمهم (حي الاكراد) المعروف الى يومنا هذا.

والمرجح ان هؤلاء الجاوانيين قد عادوا فيما بعد (بعد نحو ١٢ عاماً تقريباً) الى كردستان الشرقية ودخلوا بين غيرهم من الجاوانيين في (جاوان رود - جوان رو) يوم كانت قبيلتهم تعرف هناك باسم الجاف.

مجيء الجاف الى كردستان العراق

يشكل نزوح الجاف من مهدهم الاصلي جوانرود^(٤) الى كردستان العراق بداية حقبة جديدة وهامة في حياة هذه القبيلة الرحالة عندما هاجر زعيمها ظاهر بگ بن يار أحمد بگ بن سيف الله بگ ومعه حوالي أربعمئة من اسر قومه الرحالة باتجاه كردستان العراق حيث عبروا نهر سيروان واستوطنوا ضفته الغربية عند موقعي (دزياش) وباني خيلان ضمن حدود درنديخان الحالية. ويتفق عدد كبير من الباحثين ومنهم

٤- جوانرود: قضاء ضمن كرمنشاه في كردستان الشرقية.



ظاهر بك الجاف

المجرسون وأدموندز وعلاء الدين السجادي ومحمد أمين زكي بك بأن سجيء ظاهر بك والقسم الأكبر من قبيلته إلى الموقع الجديد الكائن في حدود الإمارة البابانية، كان في عهد السلطان العثماني مراد الرابع الذي أطلق على هؤلاء لقاديين لقب المرادي تعبيراً عن حظوتهم لديه بسبب مساعدتهم له في فتح بغداد وانتزاعها من أيدي الفرس ١٠٤٨ هـ (١٦٣٩-١٦٣٨ م).

وقد ورد ذكر الجاف في المعاهدة المعقودة بين السلطان مراد الرابع والشاه صفي الصفوي (١٠٤٩ هـ)، هكذا: "ومن عشائر الجاف تبقى عشيرتا ضياء الدين وهاروني إلى جانبنا (أي إلى جانب الدولة العثمانية) والعشيرتان المدعوتان بغيره وزردوئي إلى جانب الدولة الصفوية".

لكن الواقع التاريخي لا يؤيد ما ذهب إليه هؤلاء المؤرخون بشأن زمن سجيء ظاهر بك واتباعه إلى العراق، بل يؤيد على النقيض من ذلك، المعلومة التي يستند إليها كل من الشاعرة ماه شرفخان (مهستوري كوردستاني) وآية الله الشيخ محمد المردوخي ومفادها أن رئيس الجاف وأصحابه قدموا إلى موطنهم الجديد في عهد نادر شاه وتحديدًا خلال عام ١١٥٥ هـ (١٧٤٢-١٧٤٣ هـ)، ويؤيد ذلك بعض مؤرخي الجاف المعاصرين المعروفين بالكفاءة والدقة في بحوثهم أمثال د. حسن كريم الجاف وحسن فهمي الجاف وغيرهما. وإذا سلمنا بهذا الرأي الثاني الذي يبدو أكثر رجحاناً، بالقياس إلى التسلسل التاريخي للأحداث الماضية، فإنه يتحتم علينا القبول بأن لقب المرادي قد أطلق على فروع وطوائف من الجاف سبقت ظاهر بك وصحبه في القدوم إلى العراق وأن هؤلاء هم الذين ساندوا السلطان مراد الرابع في فتح بغداد. ويتفق ذلك مع ما

ذهب اليه باسيل نيكتين بشأن معاونة الهاروني والگلالي وهما من فروع الجاف للسلطان العثماني في فتح بغداد ونيلهما للقب المرادي لذلك السبب. ومهما يكن من أمر هذين الرأيين اللذين أشرنا اليهما، فإن المؤكد هو ان لقب الجاف المرادي أصبح لقباً عاماً لكل الجاف الموجودين في كوردستان العراق والذين امتهنوا غالباً على دأب اسلافهم حياة التنقل والبدواة مع قطعان مواشيهم بين ربوع كويستان الباردة و گهرميان الدافئة، صيفاً وشتاءً.

نعود الى ظاهر بگ فنذكر، بأن سبب نزوحه مع قبيلته من جوانرود وجونهم الى الجانب الغربي من نهر سيروان كان يعود أساساً الى عاملين اثنين، تمثل الاول بدعوة البابانيين للجاف وألحاحهم عليهم بالقدوم الى موطنهم الجديد بغية الاستفادة من قوتهم ومؤهلاتهم في اشاعة الأمن والاستقرار في المنطقة والقضاء على مجموعة اللصوص والمجرمين الذين كانوا يقدمون من الحدود الايرانية ثم يجتازون نهر سيروان ليشيعوا نهباً وسلباً عند سهل بيباز وأرجائه المتاخمة عند الضفة الغربية من النهر المذكور، وتمثل العامل الثاني بالخصومات والنزاعات الحادة التي نشبت بين الجاف وأمراء أردلان (عاصمتهم سنة - سنندج الكوردستانية الايرانية) والذين (أي آل أردلان) ضايقوا الجاف في منطقة جوانرود بهدف احتوائهم والحد من سلطتهم المتنامية والاستحواذ على أراضيهم ومراعيهم العامرة في موطنهم. وهكذا جاء ظاهر بگ صوب موقعه الجديد القريب من دربندخان والكانن ضمن حدود البابانيين والسلطة العثمانية في العراق فاستقر مع اصحابه هناك. ثم واصل الكثيرون من قومه في جوانرود باللاحاق به تبعاً والانضمام الى أخوتهم الذين سبقوهم في المجيء الى موطنهم الجديد، فيما غادر بعضهم الآخر جوانرود لاحقاً، جراء اعتداءات الاردلانيين المستمرة عليهم، غادروا صوب موطن قبيلة گوران الكوردية في قصر شيرين وزهاب - زهاو وغيرهما من أرجاء كرمشاه حيث استقروا هناك ومايزال حفدتهم يشكلون نسبة لا يستهان

بها من حجم وقوة قبيلة الجاف.

وفعلاً كان ظاهر بگ وقومه عند حسن ظن البابانيين اذ وفقوا في اشاعة الهدوء والاستقرار في منطقته ونجحوا في القضاء على اللصوص والعصاة العابثين بأمن وممتلكات المواطنين على ضفاف سيروان، فمنحهم البابانيون املاكاً واسعة ضمن موقعهم الجديد (قرب دربندخان) والذي أصبح بمرور الأيام يعج بالقادمين من الجاف الذين كان عددهم يتعاظم بالتدريج من جراء هجرة قومهم من جهة جوانرود والحقاق بهم عند دزيائش وباني خيلان وبيياز⁽⁵⁾



عبدالقادر بك الجاف

وفي تلك الظروف شن خان احمد خان الارملاني مع ألفين من مقاتليه حملتهم على الجاف بذريعة تواطئهم مع نادر شاه الأفشاري والأمانة البابانية، فأحدثوا على دأب الجيوش الغزاة الممانعة السلب والنهب والخراب في القرى التي مروا بها في طريقهم، وما أن وصلوا منطقة دربندخان الحالية، حتى تصدى لهم ظاهر بگ وقومه دفاعاً عن وجودهم وممتلكاتهم وصايباتهم... فدارت بين الطرفين معركة

دموية شرسة أنهت بغلبة القوات المهاجمة تبعاً لعددها وعدتها وتدريبها الجيد، وأسر ظاهر بگ الذي اعدمه الغزاة بتعليقه بفرع شجرة مازالت باقية حتى الآن وتسمى شجرة ظاهر بگ، وجاءت قسوة حكمهم الجائر هذا نتيجة للخسائر الفادحة التي لحقها بهم الجاف في تلك المعركة غير المتكافئة. وبمقتله، فقد الجاف زعيمهم البار الذي وحد صفوفهم وجعل

٥- دزيائش: منطقة كائنة غربي دربندخان، باني خيلان قرية جنوب دربندي خان، بيياز سهل واسع تقع في طرفه قصبية (باوه نور) ويخترق الطريق بين كلار ودريندي خان.

منهم قبيلة قوية متماسكة ومهابة من جانب الترك والفرس معاً.

وأمام هذه النكبة الموحجة التي لحقت بالجاف تمرقت صفوفهم وتشتت شملهم^(١) الامر الذي جعل وريثه، نجله الاكبر عبدالقادر بگ، يعيش وضعاً حرجاً للغاية، ومما زاد في حراجه موقفه وحزنه الاليم في نفسه، هو ان بعضاً من عشائر الكورد في شهرزور وسواها راحت تستثمر نكبة الجاف تبعاً لمصالحها ونفوذها. غير ان الزعيم الجديد تمكن بصره و تجلده وعزمته الحديدية من التصدي لذلك الوضع الخطير، فخاض في سبيل صون قبيلته ووجودها، صراعاً مريراً ومواجهات قوية مع العشائر والجماعات المناوئة له ودون ان يطلب اية مساعدة من ابناء عمومته (جاف جوانرود)، الى ان وفق بعد جهد جهيد من لم شمل قومه، وتوحيدهم مجدداً في ظرف عصب للغاية واعادتهم الى سابق هيبتهم ومكانتهم في عهد والده الراحل، فتنامت قوة الجاف وشرواتهم من المواشي والدواب في ظل اصدقائهم البابانيين وامتلكوا بمرور الايام المزيد من الاراضي والمراعي العامرة شمال وجنوب موقعهم (اي ضمن شهرزور وگه رميان) وبدأوا يمارسون غط حياتهم المتنقل (المعهود) بين سهوب گه رميان الدافئة جنوباً والمناطق الجبلية الباردة (كوستان) شمالاً خلال فصلي الشتاء والصيف.

وفي نفس الوقت استمرت علاقات الجاف الطيبة مع الامراء البابانيين الذين وجدوا الفرصة مؤاتية اكثر بعد مقتل ظاهر بگ، لتوطيد عرى الصداقة والتضامن بينهم وبين هذه القبيلة الرحالة الكبيرة، مقدرين تنامي قوتها وبأسها باضطراد مستقبلاً. لكن علاقات الجاف الطيبة مع الامراء البابانيين فترت فيما بعد في عهد كيخسرو بگ بن سليمان بگ بن ظاهر بگ وذلك بسبب تدخلات البابانيين المستمرة في شؤون الجاف الداخلية وفقاً لمصالحهم واهوائهم، فوقف منهم كيخسرو بگ موقفاً اتسم

٦- وبعد مصرع ظاهر بگ بفترة شرع شقيقة طاهر بگ ومعه بعض اقاربه بالرحيل من الموقع، فتوجهوا صوب بلاد الشام واستقروا هناك (يوجد بعض احفادهم حالياً في مدينة دمشق).

بقدر كبير من الحكمة والحزم، ووفق بحنكته وحسن ادارته في الحفاظ على هبة وقوة قبيلته التي احتفظت بارادتها واستقلالها في ظله.

توفي كيخسرو بگ عام ١٢٤٤ هـ، ويوفاته فقد قومه أميراً قليلاً نابغاً أتم بقدر كبير من الحكمة والورع، غير ان ابنه الاصغر محمد (محمد پاشا فيما بعد) الذي اختاره رؤساء عشائر الجاف رئيساً لقبيلتهم عقب وفاة اخوانه وهو ما يزال فتى يافعاً^(٧) تمكن بشجاعته وذكانه من التمسك بزمام الامور تماماً رغم صغر سنه، ثم غدا بمرور الزمن احد ابرز زعماء الجاف قاطبة، ان لم يكن ابرزهم على مر تاريخهم الطويل. فقد شهدت قبيلة الجاف في عهد زعيمها الجديد، اوج تألقها ومجدها وبالشكل الذي جعل الجانبين العثماني والقاجاري يعملان على كسب وده واستمالة قومه الى جانبهما تبعاً لمقتضيات مصالحهما وظروف الصراع الدائر بينهما على حدودهما المشتركة. بيد ان الزعيم القبلي الشاب الطموح، لم يشأ الخضوع للترك والفرس قط، كما انه سلك موقفاً صلباً من تدخلات البابانيين في شؤون قبيلته، فحدثت القطيعة بين الجانبين، وعلى اثرها

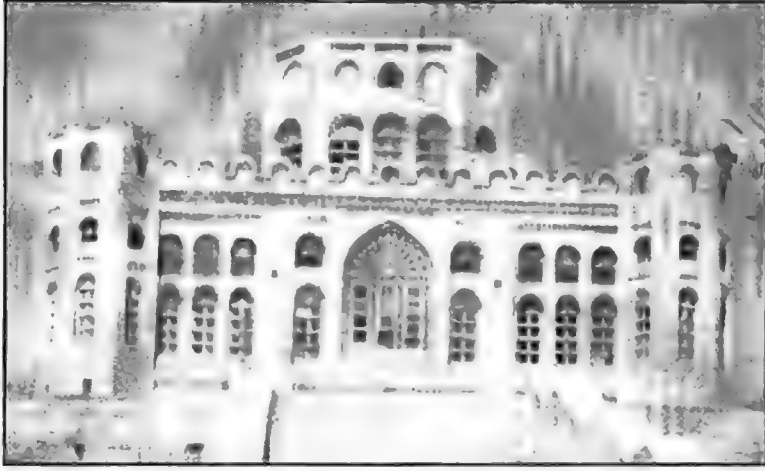


محمد پاشا الجاف

رحل الجاف وزعيمهم الى حدود امارة اردلان (كوردستان الشرقية) فمكثوا هناك ردحاً من الزمن قبل ان يعودوا ويستقروا عند قزلرباط (السعدية) في رعاية العثمانيين، الى ان تصالح معهم أحمد پاشا (آخر أمراء بابان المستقلين) انطلاقاً من قناعته الراسخة بضرورة ارضاء الجاف واستمالتهم وكسب ولائهم، فعادوا الى شهرزور مجدداً.

منح العثمانيون محمد بگ لقب پاشا

٧- قيل انه تسلم الرئاسة في سن الرابعة عشرة لكن محمد أمين زكي بگ، ذكر انه تسلم الرئاسة في الثامنة عشرة ويبدو كلامه هو الأرجح.



قلعة شيروانه

عام (١٨٥١م) واستمر نفوذه بالتنامي داخل وخارج نطاق قبيلته التي ظل على خطى والده الراحل مواظبا على مصاحبتها اثناء هجراتها الموسمية المتواصلة بين سهوب گهرميان (في كردستان الجنوبية) جنوباً واطراف سنه / سندر (في كردستان الشرقية) شمالاً

وفي عام ١٢٨٣هـ شرع محمد پاشا ببناء قلعة شيروانه « في كلار»^(٨) والتي غدت رمزاً لقوة وأبهة بانيها وقبيلته الكبيرة الرحالة. وبمرور الزمن ازدادت ريبة العثمانيين من محمد پاشا وسلطته وطموحاته وهيبة قبيلته المتنامية، فقرروا وضع حد لتنقلات الجاف وطابع حياتهم شبه المستقل الذي عرفوا به طويلاً، ولتحقيق ذلك طلبوا من محمد پاشا شراء وأستملك الاراضي الزراعية في شهرزور بهدف اسكان الجاف فيها بشكل دائم والكف عن حياة التنقل عبر الحدود (العراق وایران) لكن الپاشا الفطن أدرك بحدسه الصائب أن الهدف من ذلك الاجراء هو القضاء على حرية وسلطة قومه، فرفض مقترح العثمانيين بهذا الشأن

٨- دام العمل في القلعة بضع سنوات ونفذه بناء فارسي حاذق يقال انه ارسل من قبل الشاه ناصر الدين القاجاري.

رفضاً قاطعاً، ثم أضرط الباشا وأغلب أبناء قومه نتيجة لذلك الموقف الرحيل نحو الحدود الإيرانية، فقبولوا بمنتهى الحفاوة والتكريم من لدن القاجاريين وحافظوا هناك على طابع حلهم وترحالهم بين زهاب وجوانرود صيفاً وشتاءً. وفي عام ١٢٩١ هـ مُنح محمد باشا لقب (خان) الرفيع من قبل الشاه ناصر الدين القاجاري الذي تسنى لزعيم الجاف زيارته ومقابلته في طهران مرتين حيث حظي عنده خلالهما باللطف والرعاية، كما تم تعيينه حاكماً لمنطقة زهاب، وابنه عثمان (عثمان باشا فيما بعد) حاكماً لجوانرود. وبعد انقضاء ثلاث سنوات على اقامتهم هناك بدأت علاقاتهم تسوء مع القاجاريين الذين قرروا وضع حد لنشاطات الجاف وتجاوزاتهم المتصاعدة على حدودهم مع العثمانيين فخططوا لاختصاصهم واحتوائهم عن طريق اسكانهم ووضع نهاية لثقلاتهم وتحركاتهم المستمرة. لكن مخططهم ذلك قوبل بالرفض من قبل الجاف وزعيمهم الذين تحملوا بسبب ذلك أعباء نزاعات دامية مع قوات القاجاريين، فعادوا أدراجهم صوب وطنهم بعد وساطات واتصالات جرت مع العثمانيين الذين أحسنوا استقبالهم وفقاً لأغراضهم ومقاصدهم الخاصة، وعينوا محمد باشا قائممقاماً لحلبجه.

لم تمض فترة طويلة على عودة الجاف الى كوردستان العراق حتى عاد العثمانيون الى نهجهم السلبي السابق في تعاملهم معهم (أي مع الجاف) ورئيسهم، فحرضوا عزيز شاويس رئيس فرع الكرم ويس، وهو من افخاذ الجاف، على تحدي سلطات محمد باشا والتجاوز على صلاحياته وأوامره الادارية كقائم مقام لحلبجه^(٩) وعليه أمر زعيم الجاف بحبس عزيز، ففضى نحيبه بعد فترة من سجنه متأثراً بأعراض مرضه (ذات الرئة)، فاستغل خصوم الباشا ولاسيما بعض المسؤولين العثمانيين، الحادث وأشاعوا بأن

٩- لم يشأ الكرم ويس ورئيسهم عزيز، الرحيل مع قبيلتهم الجاف الى ايران بصحبة محمد باشا، فاستملكوا في غيابهم الكثير من الاراضي في شهرزور وزادت حظوتهم لدى العثمانيين.

عزيز مات مسموماً في السجن بايعاز من ساجنه محمد پاشا، فقرر أتباعه وأقاربه الانتقام لرئيسهم ووجدوا فرصتهم الى ذلك عام ١٢٩٩ هـ عندما أستغل بعضهم وجود محمد پاشا في رحلة صيد مع قلة من حراسه، في موقع قريب من كفري (عند ابراهيم سمين)، فغدروا به وصرعوه ثم لاذوا مع سائر الكرم ويس بديار الهموند عند چمچمال مستنجدين بزعيمهم (أي زعيم الهموند) جوامير آغا الذي آواهم على مضض. فاضطر جوامير الى مقاتلة الجاف الذين هبوا لملاحقة القتلة والثأر لدم زعيمهم المغدور. ومن جانبهم وقف المسؤولون العثمانيون في ذلك الظرف موقفاً يتسم بقدر كبير من الازدواجية والخبث، فهم ساهموا كثيراً في خلق تلك الازمة التي أودت بحياة زعيم الجاف على أيدي نفر من قبيلته، أي الكرم ويس، ثم انقلبوا على هؤلاء متظاهرين بدعم الجاف حفاظاً على سمعتهم ومصداقيتهم كون المغدور هو أحد باشواتهم



وموظفيهم الكبار، كما أستغلوا الحادث من جانب آخر للتخلص من جوامير الهموند الذي كانوا ناقلين عليه بسبب نفوذه وسلطته وموقف قبيلته منهم.

وعقب مصرع محمد پاشا تسلم نجله الاكبر محمود بگ (محمود پاشا فيما بعد) رئاسة قومه خلفاً لولده الراحل فوفق مع افراد قبيلته في الثأر له حيث طاردوا الهموند والكرم ويس عبر نهر سيروان بعد

معارك ضارية، ثم واصلوا حملتهم عليهم

حتى الحدود الايرانية، فأبید معظم الكرم ويس الذين لاذ الناجون منهم بمناطق كرمشاه وكرند، فيما لجأ جوامير وأتباعه صوب زهاب فقوبلوا بالدعم والترحاب من لدن القاجاريين الذين انقلبوا عليهم لاحقاً.

محمود باشا الجاف وعهد حافل بالاحداث

كان محمود باشا الجاف (١٨٤٦ - ١٩٢١) زعيماً قبلياً بارزاً وشخصية كوردية لامعة على قدر كبير من الشجاعة ورجاحة العقل والتقوى، وقد نال منذ صغره وفي كنف أسرته النبيلة قدراً معقولاً من التعليم عند استاذة الملا مؤمن الذي درسه المناهج التعليمية السائدة، فتعلم الفارسية وقدراً من العربية، ثم تمكن لاحقاً من اتقان اللغة التركية من خلال اختلاطه بالمسؤولين الترك، هذا اضافة الى شغفه الكبير بالاشعار الكوردية والفارسية ومقدرته في نظم الاشعار بهاتين اللغتين.

عمل محمود باشا دوراً هاماً في تعزيز هيبة ونفوذ قبيلته وتوسيع ديرتها في عهد والده محمد باشا، اذ استغل فرصة بقاءه في العراق اثناء وجود والده ومعظم افراد قبيلته في ايران (منذ عام ١٢٩٠هـ) مستفيداً من قانون (الطابو) الجديد كي يشتري مساحات شاسعة من الاراضي الزراعية الخصبة وتسجيلها باسمه اعتماداً على امكاناته الذاتية والمبالغ التي دأب والده على ارسالها اليه من ايران لذلك الغرض. وكانت السعدية - قزلباط التي عرضت للبيع بالمزاد، ضمن الاملاك التي اشتراها محمود باشا بعد ان باع من أجلها الكثير من خيوله ومواشيه ومصوغات عائلته فدفع مقابلها مبلغاً ضخماً قدره عشرة الاف وخمسمائة ليرة ذهبية^(١٠) وبذلك أمتدت ممتلكات الجاف من مشارف حمرين جنوباً الى المناطق الحدودية المتاخمة لبنجوين شمالاً.

وعندما أغتيل والده كما أسلفنا، حرص محمود باشا على ادامة نهجه القويم في الحياة فظل وريثاً مخلصاً لتطلعاته القومية وطموحاته الشخصية الواسعة وسجاياء القبلية الاصيلية. كما حرص العثمانيون الذين سلموه مسؤوليات والده الادارية والقبلية ومنحوه لقب پاشا ايضاً، على كسبه واستمالته اليهم (كما منحه الشاه القاجاري مظفرالدين، بعد عدة

١٠- ذكر لي الاخ كسرى بك بن محمد سعيد بك الجاف أن السندات العثمانية لتلك الاراضي محفوظة لدى اسرة بگزاده الجاف لحد الآن.

سنوات لقب الخان الرفيع وسيفاً مرصعاً ثميناً في ٢٢ شعبان ١٣٢٢هـ).
لكن محمود باشا المتذمر من سياسات الترك والفرس معاً تجاه شعبه وقومه لم يشأ الوثوق بهم بل شرع بتنظيم أمور قبيلته التي تجاوز تعدادها في عهده ١٥ ألف أسرة رحالة وتشكيل قوة مسلحة منظمة منها وبالشكل الذي أغاظ العثمانيين كثيراً ولاسيما عقب التقارير المرفوعة اليهم بشأن سلوكه المعادي منهم وقناعته الراسخة بان تبعيته للسلطان محصورة فقط بدفع مبلغ سنوي اليه فقط.

وبغية الحد من طموحاته القومية الواسعة ومسايعه الرامية الى تقوية وتعزيز قبيلته، ويقصد درء مخاطره المحدقة بمصالحهم في المنطقة أرتأى المسؤولون العثمانيون احتواءه وأيقافه عند حده، فقررت الاستانة أولاً إرسال موفدها اليه (الفريق نامق باشا) للتأكد من حقيقة موقفه عن قرب والتحقق من صحة التقارير المرفوعة بهذا الشأن، فقبل الموفد التركي في حلبجه ببرود ظاهر من قبل مضيفه محمود باشا الذي أدرك ببصيرته الحادة الغرض من تلك الزيارة. ثم ازداد الجفاء بينه المضيف والضيف أكثر حالما أعلن الأول للثاني عن تدمره من قيام السلطان عبد الحميد بشراء مساحات من أراضي شهرزور وتسجيلها باسمه، ومعتبراً ذلك عملاً لا يليق بالسلطان ومن شأنه الحاق أفدح الأضرار بمصالح الجاف. وجاء التقرير الذي رفعه نامق باشا عن محمود باشا حافلاً بالعداء والتحريض، فقرر السلطان ابعاده عن منطقة نفوذه عام ١٨٨٩م وبشكل لا يثير الشبهات، اذ عينه محافظاً لأورفه ومنحه لقب (بيگلر بيك) الرفيع، فخلفه شقيقه عثمان باشا في القائم مقامية والباشورية.

لم يرض محمود باشا، وكما كان متوقعاً، بمنصبه الجديد والابتعاد عن مضارب قومه الذين كان يصاحبهم في حلهم وترحالهم (على عادة اسلافه)، فقصده السلطان بهدف اقناعه بالعدول عن قراره، لكن الأخير فرض عليه الاقامة الجبرية في اسطنبول، فازداد محمود باشا سخطاً وتدمراً من السلطان وشرع يتصل بالتنظيمات السرية المعادية له والتي

سمت نخبة من المثقفين الترك والكورد.

أفلح محمود باشا في الهرب من اسطنبول بصحبة (تابعة) الملا حمدي سنه يى على متن احدى السفن عبر البحر الأسود عام ١٨٩٢، بعد أن ترك خلفه في البريد رسالة موجهة الى السلطان (عبد الحميد) ضمت أقسى وأقذع العبارات، ثم وصل مع صاحبه الى القفقاس فباكو في شهر تشرين الأول ١٨٩٢ حيث تنكر هناك في زي متسول وأخذ صورة شخصية بهذه الهيئة كتب في حاشيتها عبارات بالفارسية موجهة الى أهله في كردستان العراق. وهناك راسل محمود باشا قيصر روسيا طالباً مساعدته بشأن اشعال نار الثورة ضد الوجود التركي في كردستان، لكن مسعاه خاب في خضم الاوضاع الداخلية المتردية السائدة في روسيا القيصرية، فقرر العودة صوب الوطن فوراً. اجتاز الباشا وصاحبه بحر الخزر ثم جابا الاراضي الايرانية نحو پنجوين حيث قوبل بالترحاب والحفاوة من قبل أهله وقومه. وفي تلك الاثناء أوعز السلطان عبد الحميد بتجريدته من جميع القابه وامتيازاته وأمر ولاته بوجود ملاحقته وإرساله إليه حياً أو ميتاً؛

عقد محمود باشا، بعد وصوله أرض الوطن بفترة وجيزة، مؤتمراً موسعاً لرؤساء ووجهاء المنطقة عند نهر زهلم^(١١) كرسه لمناهضة الحكم العثماني واقرار نوع من الاستقلال للكورد، فأثار ذلك مخاوف السلطان كثيراً، وانطلقت في اعقابه وبأمر السلطان قوة قوامها الف فارس، فأضطر محمود باشا الى الاحتماء بجبال زمناكو وشميران (المتاخمة لبحيرة دربندخان) والتنقل عبر شهرزور لعدة أشهر، مفوتاً على مطارديه فرصة اللقاء القبض عليه مراراً، رغم الصعوبات التي لاقاها مع اتباعه القليلين الذين ظلوا معه. ولما بدأت الوساطات لدى السلطان بقصد الصفح عنه رد (اي السلطان) بالقول القاطع: «لقد اقسمت على شتى محمود وسط اسطنبول لأنه ارتكب بحقي خطيئة لا تغتفر». لكن الحاح المقربين عليه

١١- نهر زهلم ينبع من الحدود الجبلية الايرانية المتاخمة لشهرزور ويصب في بحيرة دربندخان.

بهذا الشأن جعله يعدل عن موقفه المتشدد ، فأعرب أخيراً عن استعدادده للصفح عن محمود باشا شريطة حضوره اليه في اسطنبول، وهذا ما تحقق فعلاً، فأمر عندئذ السلطان بإعادة القابه وأمتيازاته ورئاسة الجاف اليه مجدداً، بينما ظل شقيقه عثمان باشا محتفظاً بمنصب قائممقام حلبجه.

كما سلك محمود باشا موقفاً مناهضاً للاتحاديين الذين تسلموا الحكم في أعقاب عزل عبدالحميد عام ١٩٠٨م، دون أن يمنعه ذلك من مساعدتهم لاحقاً بدعوى الجهاد ضد المحتلين الانكليز الذين شرعوا باحتلال العراق عقب اندلاع الحرب العالمية الاولى مباشرة، فأرسل مع اخيه محمد علي وابن أخيه كريم بك، الف مقاتل من فرسان الجاف للمشاركة في معركة الشعب (١٩١٥م) التي سالت فيها دماء الكورد والعرب معاً وكلفت الجاف من جانبهم عدداً من الشهداء، كما حارب محمود باشا بجانب العثمانيين ضد القوات الروسية في معركة (قاتان قوري) التي دارت رحاها في منطقة (سقز) ضمن كوردستان الشرقية، وعندما واصلت تلك القوات زحفها الى منطقة رواندوز، تصدت لها القوات العثمانية بمساعدة القبائل الكوردية فواقفت زحفها.

وعلى دأبه المعهود في مقتته للمحتلين على أختلاف اشكالهم واجناسهم، لم يشأ محمود باشا الوثوق بالانكليز والتعاون معهم رغم جهودهم المتكررة المبذولة في هذا السبيل. وفي تلك الفترة قرر اعتقال رئاسة الجاف بفعل اعراض الشيخوخة والمرض التي ألمت به في اواخر حياته فتسلم مهمته ابنه علي بك الذي سرعان ماتركها لتؤول الى ابن عمه كريم بك الجاف (في عام ١٩١٩).

توفي محمود باشا عام ١٩٢١ ودفن عند مسجده في قزلباط تاركاً من بعده ذكرياته الطبية واثاره الخالدة التي نذكر منها مخطوطته الادبية القيمة (كشكول) التي تقع في جزئين وسبعمئة صفحة، ومسجده المذكور وقلعته المسماة (الپاشا) التي مايزال اطلالها تحكي ذكريات صاحبها على ضفاف سيروان وعند قرية (تازه دي).

لمحات نضالية من تاريخ الجاف الحديث

كان الاحتلال البريطاني للعراق اثر الحرب الكونية الاولى (١٩١٤-١٩١٨م) ايذاناً ببداية عهد جديد من الاحتلال الاستعماري البغيض لبلادنا عقب عقود طويلة وممريرة من الاحتلال العثماني. فقد سادت وطننا في ظل الانكليز ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية عسيرة للغاية تركت بمجملها آثارها القاتمة على حياة شعبنا كافة، فهب ابناء وطننا عرباً وكورداً واقليات متأخية لمقاتلة المحتلين الجدد مقدمين في هذا السبيل تضحيات جسيمة بالارواح والاموال تحمل الكورد من جانبهم قسطاً وافراً منها، حيث كانت كوردستان ساحة رئيسية للثورة والنضال ضد المحتلين الذين عاملوا اهلنا بالحديد والنار تارة وبالمكر والدسائس تارة اخرى. فكان طبيعياً أن يتحمل الجاف في تلك الظروف الصعبة وأستناداً الى حجمهم ودورهم وتأثيرهم في كوردستان نصيباً كبيراً من تبعات وتداعيات ذلك العهد المرير.

ففي خضم ذلك الواقع الصعب آلت رئاسة الجاف الى كريم بك بن فتاح بك (١٨٨٩ - ١٩٤٩م) في أواخر العقد الثاني من القرن الماضي. فكان جديراً حقاً بتحملها، إذ أفلح كثيراً في الحفاظ على وحدة قبيلته الكبيرة وتماسكها، مواصلاً مرافقتها في هجراتها الموسمية طويلاً الى أن قرر في منتصف عقد العشرينات من القرن الماضي، الاقامة النهائية في قسبة كلار الفتية التي غدت منذئذ المركز الرئيسي لرئاسة الجاف بعد أن اضطلعت حلبجه بذلك الدور سابقاً، وشهدت (أي كلار) لذلك السبب المزيد من التوسع والازدهار الحضري والعمراني.

وعلى دأب العديد من بگزاداتهم -امرائهم - ووجهائهم وآخرين غيرهم من أبناء القوم، واصل الجاف الرحل ويفعل الوقائع والظروف والمستجدات التي سادت بلادهم وأحاطت بحياتهم، واصلوا استيطانهم المضطرد في منطقتي گهرميان وشهرزور وغيرهما من أرجاء كركوك والسليمانية، حتى غلب أخيراً طابع الاستقرار على حياتهم المتنقلة السابقة وظلوا متمسكين

دوماً بانتمائهم القومي والوطني الراسخ وصدق تعلقهم بتراب وطنهم الغالي رغم الشدائد والمحن التي مروا بها مع أبناء وطنهم طويلاً.

وسنخصص الجزء المتبقي من موضوعنا هذا للاستشهاد ببعض المواقف والاحداث والدلائل التي توضح لنا بشكل جلي ذلك النهج النضالي القويم الذي سلكه الجاف في العصر الحديث وتحديدأ بعد الاحتلال البريطاني للبلد، من اجل قضايا شعبهم المصيرية وتطلعاته المشروعة في الحياة. فبالاضافة الى الموقف النضالي المشهود الذي أبداه الجاف مع غيرهم من ثوار الكورد بصحبة الشيخ محمود، في معركة الشعبية عام ١٩١٥م (كما أسلفنا)، فأنهم كانوا سباقين أيضاً في المساهمة الفاعلة في ثورة العشرين الوطنية عندما دعم أبناء الروغزائي والترخاني من الجاف انتفاضة الثائر ابراهيم خان الدلو في كفري وكانوا في طليعة الثوار الذين حرروا البلدة التي تشكلت فيها حكومة محلية برئاسة ابراهيم خان وضمت بين اعضائها الحاج محمد الترخاني ومحمد جان الروغزائي (من الجاف) ثم قاسوا (أي الجاف) شأنهم شأن غيرهم من ثوار كفري، من تبعات احتلال البلدة التي عاملها المحتلون بشتى صنوف القمع والتنكيل والترهيب.

كما وقفوا موقفاً مؤيداً ورائعاً تجاه الشيخ الحفيد وانتفاضاته المتكررة في السليمانية على الانكليز، وظهر ذلك واضحاً عقب عودة الشيخ من المنفى (١٩٢٢م) وأعلان حكومته المستقلة في السليمانية وما تبع ذلك من تصادم وتقاتل مع الانكليز، فقد برز أنذاك من بين قادة الجاف؛ خليفة يونس ومحمد علي وسمان روستم الروغزائي ومحمود خاطر اسماعيل عوزيري الذين كانوا من قادة الجبهات الرئيسية ضمن قوات الثورة، وننوه في هذا السياق بالمواقف الشجاعة والمتميزة التي ابداهها خليفة يونس الروغزائي أثناء صولات الثوار على الانكليز عقب سقوط السليمانية مجدداً عام ١٩٢٤م وانسحاب الثوار منها ولاسيما وقفته الجريئة مع صابر بك الهموندي في معركة كريزه^(١٢) عام ١٩٢٥م والتي الحقا فيها

١٢- كريزه، قرية كبيرة وغنية قرب الطريق العام بين السليمانية وحلبجه وتتبع =

مع اتباعهما هزيمة قاسية بقوات الليفي التي كان يقودها الكولونيل لوانس والتي فرت مذعورة في حماية أربع طائرات قصفت مضارب الجاف في المنطقة محدثة القتل والدمار بين سكانها العزل. يذكر أيضاً ان خليفة يونس كان واحداً من الثوار المطلوبين لدى السلطات التي خصصت مكافآت مالية بهدف القاء القبض عليهم أو تصفيتهم، فقد خصص لهذا الغرض مبلغ ٢ الف روبية بالنسبة للشيخ محمود و ١ آلاف روبية لكل واحد من كريم بگ الهموندي ونجليه صابر وعبدالله وكذلك خليفة يونس الروغزائي.

وفي ربيع عام ١٩٣١ عاد ابنا الجاف وعلى رأسهم أميرهم كريم بگ وشقيقه داود بگ وابنه (ابن كريم بگ) مينه جاف الشاعر ليسجلوا مع اخوتهم من ابنا الطالباني والزنگنه ملحمة رائعة في معركة (ناوباريك) التي قاتلوا فيها ببراعة الى جانب الشيخ الحفيد واتباعه ضد القوات الحكومية المدعومة جواً من الطائرات البريطانية.

وتعد المسيرة النضالية لنخبة من أمراء ووجهاء وشخصيات الجاف في صفوف حزب هيو منذ مطلع الاربعينات من القرن الماضي من المواقف النضالية المشرفة التي يعتز بها قومهم، وهي تدل على وعيهم السياسي والقومي الذي عرفوا به مع اشقائهم من أبناء گهرميان المنضمين الى (هيو)، وكان لهم دورهم الفعال في انجاح المؤتمر التصالحي الذي عقده (هيو) في كلار صيف ١٩٤٤م والذي وفق في إنهاء الخلافات الداخلية المستعصية التي عصفت بالحزب في تلك الفترة، كما احتضنت قرية (گيژهكان) القريبة من كلار مؤتمراً آخر للحزب صيف عام ١٩٤٥م، عرف بمؤتمر (قنديله)^(١٣) كرس لدعم ثورة بارزان عام ١٩٤٥م، وعلى اثره قام فرسان الجاف بقيادة مصطفى بگ وفرسان الجمور والباجلان والطالباني ببعض النشاطات والفعاليات الثورية المسلحة ضد مؤسسات ومواقع

= (سيد صادق) ادارياً.

١٣- قنديله، نسبة الى القنديل الذي انار مكان الاجتماع ليلاً.

الحكومة في المنطقة دون أن تحقق الاهداف الرئيسية المتوخاة منها.

ولايفوتنا التنويه بالمواقف والمبادرات والاسهامات المتميزة التي عرف بها نواب الجاف خلال حياتهم النيابية في العهد الملكي وتفانيهم من اجل مطالب وقضايا شعبهم أمثال؛ محمد بگ الجاف (من نواب كركوك) وصاحب الوقفة الشجاعة (في قشلة كركوك عام ١٩٣٠م) التي دعا خلالها نائب رئيس الوزراء العراقي جعفر العسكري ووکیل المندوب السامي البريطاني الميجر بالڤ الى ضرورة تلبية المطالب والحقوق القومية للشعب الكوردي التي اقترتها عصبة الامم في وقت سابق، وكذلك عزت بگ بن عثمان پاشا الجاف الذي انتخب نائباً عن السليمانية في المجلس التأسيسي ١٩٢٤م وفي مجلس النواب خلال اعوام ١٩٣٧م، ١٩٣٩م، ١٩٤٣م، ثم داود بگ الجاف (من نواب كركوك) الذي تمتع بعضوريته طيلة تسع دورات انتخابية كاملة خلال عقدي الاربعينيات والخمسينيات من القرن الفائت. أما فيما يتعلق بالاحداث والوقائع الاخرى التي ساهم فيها الجاف في المراحل اللاحقة، فهي كثيرة ومتعددة لايتسع المجال هنا لذكرها جميعاً لكننا نشير من بينها الى مشاركتهم المخلصة في ثورة ايلول التحررية وتضحياتهم خلالها وبضمنها؛ اسهامهم الفاعل مع غيرهم من عشائر المنطقة في التجمع المسلح الذي شهدته درينديخان في ٦ ايلول ١٩٦١م والذي كان بمثابة المقدمة لاندلاع ثورة ايلول المجيدة، وايضاً دورهم البارز في معركة زآله (في حدود گهرميان - عام ١٩٦٧)، وانتخاب مصطفى بگ الجاف ممثلاً عن الجاف في مجلس قيادة الثورة الكوردية الذي اختير اعضاؤه عام ١٩٦٤، من بين الشخصيات المعروفة والكفوءة. جدير ذكره ايضاً ان اول شهيد سقط إبان ثورة ايلول المجيدة هو الشهيد (كاكه حمه تهلان) من ابناء الجاف.

وأخيراً نقول أن ما أوردناه بشأن تاريخ الجاف يعد نزرأ يسيراً من تاريخ حافل بالاحداث والمآثر، وهو بحاجة الى أكثر من بحث ودراسة لتسليط الضوء على جوانبه، وعسى أن نكون قد وفقنا في شرح بعضها من جانبنا.

الهموند...

وسجلهم الحافل بالاحداث والمواقف

يزهو ابناء الهموند بسجلهم الحافل بالاحداث والوقائع الهامة التي جعلت منهم احدى أبرز العشائر الكوردية الفاعلة على صعيد تاريخنا الوطني والقومي منذ القرن الثامن عشر. وقد حظيت العشيرة هذه تبعاً لبأسها الشديد وصيتها المتنامي وتألقها على مسرح الاحداث، باهتمام ملفت وكبير من لدن العديد من الباحثين والرحالة والسياح الاجانب الوافدين الى بلادنا لاغراض ومقاصد شتى، لا سيما خلال القرنين الماضيين، والذين تنوعت آراؤهم وملاحظاتهم وانطباعاتهم عن الهموند غير انهم اتفقوا جميعاً على جرأة وأقدام وشهرة هذا القوم.

فقد أشاد فريزر وكليمان وبرزیزوفسكي ببسالة الهموند وبأسهم الشديدة فيما أشار ماونسل الى مظاهر الخوف والفرع التي كانت تثيرها عصابات الهموند في المنطقة، في حين وصفهم دكسن بالهموند مرهوبي الجانب. ومن جانبه أشار (سون) الى حالة الرعب التي سادت قافلته بسبب الهموند أثناء سيرها من كركوك الى السليمانية، فيما شبههم مارك سايس بالسنطور الخرافي وهم يركبون خيولهم ويستخدمون بنادقهم بكل سهولة وهم يطلقونها يمنة ويسرة ويستديرون فوق سروجهم إستدارة كاملة!

واذا كان البعض أخذوا على الهموند سابقاً بسبب ميلهم الدائم الى العصيان والتمرد وممارسة الكثيرين منهم لأعمال الشقاوة ومهاجمة قوافل

التجار والمسافرين عهدذاك وشيوع صيتهم كقطاع طرق ونهابين احياناً،
فأن ذلك وبحسب اعتقاد اغلب الباحثين والمتتبعين لم يكن بسبب سوء
طباعهم وأخلاقهم وإنما لظروف البؤس والقحط والفساد والظلم التي
سادت وطنهم طويلاً تحت وطأة المحتلين.

وبالنظر لأهمية تاريخ الهموند الزاخر بالاحداث الجسام والمواقف المتميزة
والذي يشكل بحق جانباً حيوياً وبارزاً من تاريخ شعبنا فقد أرتأينا
تخصيص هذا المجال من كتابنا لعرض لمحات وشواهد مختارة من هذا
التاريخ الغني الشيق.

لمحة تاريخية موجزة عن الهموند

يذكر المؤرخون ان اصول عشيرة الهموند التي تختلف الروايات بشأن
تسميتها^(١) تعود اساساً الى كردستان الشمالية التي نزحوا منها صوب
كوردستان الشرقية خلال الظروف الصعبة التي سادت منطقتهم في
اعقاب معركة جالديران (عام ١٥١٤م) بين الدولتين العثمانية والصفوية.
حيث استوطن القادمون الجدد في أرجاء كرمنشاه وسندج (كرمانشاه

١- تختلف التفسيرات والتأويلات والآراء بشأن تسمية الهموند كثيراً، فهناك من
يرجح اشتقاق التسمية من لفظة (وان)، ثم تحولت الى هه مه وه ن - هه ماوه ن
(في الكوردية) على أساس ان منطقة (وان) في كردستان الشمالية (وفيها بحيرة
معروفة بهذا الاسم) هي المهد الأصلي لهذه العشيرة قبل ان تنزح منها لاحقاً الى
كوردستان الشرقية... والتي انتقلت منها فيما بعد خوادي واقاربه من الهموند الى
كوردستان الجنوبية فأسسوا فيها نواة عشيرتهم. فيما يقول أدموندر أن مائر
الهموند لا تتعدى الجد الاعلى (حهه - همه) الذي أخذت عشيرته اسمه وأن
الاسماء القبلية المنتهية بـ(وند) هي شائعة عند (الك والزر) وهي مقتبسة من الفعل
(وندن) بمعنى (رمي او قذف). ويرى الاستاذ علاء الدين السجادي بأن أصل كلمة
الهموند هو هوماوند و (هوما) من الطيور أما (وه ند) بمعنى صاحب في اللغة
الپهلوية القديمة. ثم تغيرت لفظة هوماوند (أي صاحب هوما) الى هموند او ان
الكلمة جاءت من (هه مه - هه موو) بمعنى الكل والجميع و (وه ن) بمعنى شبيهه
في اللغة الپهلوية، وذلك لاحتمال تشابه الهموند الاوائل فيما بينهم. وتعني اللفظة:
جميعهم متشابهون.

وسنه - بالكوردية). ثم نزع من أطراف هذه الأخيرة في عام ١٧م خوادي (الجد الأكبر لهموند العراق) بصحبه بعض أقاربه باتجاه كردستان العراق، حيث عبروا حدود پنجوين قاصدين قرية (ههنگهژال) فأقاموا فيها في رعاية الشيخ رضا ههنگهژال المعروف بمهابته ونفوذه في منطقته. وبعد فترة، تزوج خوادي هناك في ههنگهژال وبمساعدة الشيخ المذكور فرزق بابائه الاربعة ؛ يادگار (يسمى جلبي ايضاً)، رمضان، رشيد و صفر، الذين تنتسب اليهم الفروع الرئيسية الاربعة للهموند؛ البگزاده (الجلبي - چهلەوی)، الرموند، الرشوند والصفروند^(٢)

توجه خوادي مع اسرته واصحابه عام ١٧١١م صوب بازيان^(٣) فاتخذوها موقعاً لاقامتهم حيث امتلكوا هناك بمرور الزمن الكثير من الاراضي الزراعية وشيدوا فيها باستمرار قراهم التي أستقروا فيها نهائياً بعد سنوات من طابع حلهم وترحالهم الرعوي في ربوع المنطقة وجوارها. وبمرور الوقت التحق بهم هناك (في بازيان) الكثير من أقاربهم النازحين من اماكن اقامتهم في كردستان الشرقية.

تعاضمت سلطة الهموند ونفوذهم تدريجياً في بازيان، ثم أمتدت الى خارجها لتسود چمچمال^(٤) المتاخمة التي نمت وتوسعت في عهدهم من

٢- واطافة الى هذه الفروع الرئيسية هناك اخذوا وجماعات عدة اخرى تتبع الهموند ومنها: سيته به سهر، صوفيوهند، بابلموهند، ميتموند... والمعتقد انتماء هذه الجماعات الى أقارب (خوادي) الذين رافقوه عند مجيئه الى المنطقة، او الذين التحقوا به لاحقاً قادمين من موطن العشيرة القديم عند سنه وكرماشان.

٣- بازيان اليوم هي احدى نواحي قضاء السليمانية المركز، ومركزها يقع قبالة مجمع (ته ينال) السكني وهي منطقة زراعية ورعوية نموذجية ترويه مياه الجداول والينابيع العذبة الباردة كما تحيط بالمنطقة السلاسل الجبلية الشامخة التي يخترقها الطريق العام بين كركوك والسليمانية وعبر مضيق طاسلوجة شرقاً ودربندي بازيان غرباً.

٤- يرجع الباحثون ان ابناء الهموند هم الذين أطلقوا تسمية چمچمال أول مرة على هذا الموقع الحيوي الكائن على مبعده ١٧ كم غربي مضيق دربندي بازيان وذلك =

قرية صغيرة الى بلدة مزدهرة متنامية أتخذوا منها مركز عشيرتهم الرئيسي في كردستان العراق.

وكان تنامي سلطة الهموند وميلهم الدائم الى النفوذ والتسلط، باعثاً حقيقياً لقلق العثمانيين الذين اعتبروهم عاملاً لتهديد أمنهم ومصالحهم، فسارعوا من جانبهم بكل الوسائل والسبل المتاحة لديهم من أجل كبح جماح الهموند واحتواء زعمائهم الطموحين.

أرتبط الهموند بصلات وثيقة مع أمراء بابان وبالاخص خلال الفترة (١٧٨٧ - ١٨٣٨) ودعموهم دوماً في مواجهاتهم المتكررة والدامية مع الولاة العثمانيين في العراق، وفي نفس الوقت كان ازدهار الامارة البابانية عاملاً مشجعاً لازدياد وتنامي سلطة الهموند التي بلغت مشارف مدينة كركوك وجرت المنطقة الى العديد من المصادمات التي وقعت بينهم وبين العثمانيين وكلفت الطرفين خسائر فادحة.

ظل الهموند على معاداتهم للعثمانيين بعد أنهيار الامارة البابانية منتصف القرن التاسع عشر وظلوا شوكة في جنبهم طيلة العقود اللاحقة، فتعرضوا من جراء موقفهم هذا الى شتى صنوف المحن والويلات والتشرد، فقد اضطروا الى ترك ديارهم مراراً واللجوء الى المناطق الحدودية عبر نهر سيروان (ديالى) والمكوث في ارجاء زهاب (زهاو) وقصر شيرين لفترات مختلفة من الزمن.

وللتدليل على ذلك الوضع القاسي الذي عانى منه الهموند مراراً نشير الى أنهم قد تشردوا من ديارهم ١٩ مرة خلال ٥٠ عاماً فقط (ابتداء من اوائل النصف الثاني للقرن التاسع عشر). وقد دأب النازحون الهموند

= تيمناً باسم موقعهم السابق القريب من جبل بيستون ومدينة كرمشاه في كردستان الشرقية. وتتألف لفظة چمچمال (ظاهراً) من مقطعين الاول معناه الوادي أو النهر والثاني اسم علم (جمال - چمال) وورد في كتاب (العراق الشمالي) أن معناها الفيضة أي المحل الذي تغيض فيه المياه فتكسب الارض خصوبة.

على تعزيز راحة واستقرار العثمانيين وتنفيذ الغارات الانتقامية ضدهم عند أطراف جبل حمرب و بغداد و كركوك، كما سلكوا نهجاً مماثلاً ضد القاجارين في أطراف كرمنشاه والذين كانوا يبذلون بدورهم جهودهم لاحتواء الهموند النازحين الى حدودهم والتخلص من مشاكلهم ومتاعبهم. وعموماً فشلت السلطان العثمانية والقاجارية في إخضاع الهموند المتمردين رغم تعاونهما الوثيق في هذا المجال ولاكثر من مرة، وقد كلفهما ذلك غالباً أحياناً.

وفي عام ١٨٧٢ أفلق الوالي العثماني (رؤوف پاشا) الذي تولى الولاية عقب مدحت پاشا في وضع حد للعلاقات المتوترة مع الهموند مؤقتاً، عندما دعا رؤساءهم الى بغداد وانهى الخلافات معهم وسمح للنازحين منهم بالعودة الى ديارهم والعيش فيها بسلام رداً من الزمن. وعندما اندلع القتال بين العثمانيين والروس في تلك الظروف (١٨٧٥م) هب الهموند لنصرة العثمانيين والتوجه نحو جبهة القفقاس (القوقاز) فاستبسلوا هناك كثيراً وعادوا منها بغنائم ومكاسب كبيرة.

لم تقتصر نزاعات وخصومات الهموند مع العثمانيين والقاجارين فحسب بل امتدت ايضاً الى نطاق العشائر المجاورة في المنطقة، يوم كانت النزاعات القبلية أمراً مألوفاً في ظل المحتلين الذين دأبوا على تحريض عشائر الكورد فيما بينها وذلك ضماناً لأهدافهم ومصالحهم ومخططاتهم المشبوهة والخاصة بهم.

وهكذا أصطدم الهموند مع الزنگنه عام ١٨٧٨ بسبب اغتيال احد زعمائهم من قبلهم (اي من قبل الزنگنه) فجرهم النزاع الى الاصطدام مجدداً مع العثمانيين الذين أستنجد بهم الزنگنه المنسحبون الى منطقة شيخ لنگر (جنوبي كلار) حيث دارت هناك رحى معركة ضارية بين مقاتلي الهموند والقوات العثمانية المدعومة بمقاتلي عدد من عشائر المنطقة فأنتهت المعركة لصالح الهموند الذين وقع في ايديهم عدد من الاسرى وغنموا مدفعين وقطع مختلفة من الاسلحة الاخرى.

وبينما كان المقاتلون الهموند في طريق عودتهم الى ديارهم، أعترضتهم قوة تركية فدحروها ثم هاجمتهم عند غويته په (في الطرف الشرقي من كركوك) قوة تركية ثانية مؤلفة من فوجين قدمت من كركوك فهزموها هي الأخرى شر هزيمة واسرو قائدها المدعو (ادهم پاشا). بعدئذ سارع الفرسان الهموند وخوفاً من انتقام السلطات العثمانية، بارسال عوائلهم الى منطقة زهاب (زدهاو) الايرانية وانسحبوا بدورهم عبر نهر سيروان الى المناطق الحدودية المتاخمة لناحيتي ميدان وقوره تو الحاليتين ضمن قضاء خانقين، فاطلقوا سراح أدهم پاشا في بادرة نبيلة.

ولم يمض وقت طويل على وجودهم هناك، حتى اتفق العثمانيون والقاجاريون على مهاجمتهم واجتثاث وجودهم في تلك المنطقة الحدودية، فجهاز القاجاريون تحت اشراف (رضا قولي خان) جيشاً جراراً للاجهاز على الهموند في موقعهم، فيما عكف الوالي العثماني في بغداد (محمد پاشا) من جانبه بتهيئة قوة كبيرة لنفس الغرض.

وقبل ان يصل الجيش العثماني المنطقة، سارع مقاتلو الهموند لملاقاة الجيش القاجاري الزاحف نحوهم داخل الحدود الايرانية (ضمن زهاب)، فتصدى مائة فارس هموندي للجند القاجاريين الذين كان يقودهم (مارياس خان) ثم انسحبوا أمامهم مستدرجين أياهم بموجب خطة عسكرية مسبقة بارعة نحو موقع كان يكمن ويتأهب فيه أربعمائة من رفاقهم المقاتلين (نقصد الهموند) المتأهبين للانقضاض على خصومهم.

وفجأة وجد الجند القاجاريون أنفسهم وسط كمين محكم وتعرضوا في الحال الى هجوم صاعق شنه عليهم خصومهم الهموند، فاندلع قتال شرس ابلى فيه مقاتلو الهموند بلاء رائعاً. تمكنوا ببأسهم وعزيمتهم وعقب قتال طويل وضروس ساهمت فيه النساء الهمونديات جنباً الى جنب رجالهن، من تحقيق نصر تاريخي مؤزر على عدوهم وقتل الكثيرين منهم وبضمنهم قائدهم الميداني (مارياس خان). أما الناجون من الجيش القاجاري المدحور والمطارد من قبل خصومهم الهموند، فلم يكن هناك من خيار أمامهم

سوى الفرار والنجاة بجلودهم تاركين وراءهم الكثير من أسلحتهم واعتدتهم التي غنمها الهموند وبضمنها ثلاثة مدافع منصوبة على عربات. كما أجبرت نتائج هذه المعركة ومعطياتها الخطيرة، العثمانيين على مراجعة حساباتهم والعدول عن شن حملتهم المزمعة على الهموند وذلك حفاظاً على جيشهم المرسل لذلك الغرض والذي أنهارت معنويات جنده كثيراً عقب هزيمة القاجاريين المذلة.

وهكذا آثر العثمانيون اختيار طريق الصلح والتفاوض مع الهموند المتمردين على سلطتهم وسمحوا لهم بالعودة الى مناطقهم مرفوعي الرأس، فتعاضم شأنهم كثيراً وتعززت باضطراد مكانتهم في عهد زعيمهم النابغ (جوامير آغا)

لكن الهموند لم يهنأوا طويلاً بالراحة والاستقرار في ديارهم، إذ سرعان ما أندلع القتال الشديد بينهم وبين قبيلة الجاف الكبيرة عام (١٨٨٠م) وذلك بسبب ايواء (جوامير آغا) لقتلة أمير الجاف محمد پاشا، فتمخض ذلك القتال عن إضطراب الهموند من جديد لترك ديارهم واللجوء الى القاجاريين الذين أستقبلوهم بالحفاوة والترحيب في البداية ثم أنقلبوا عليهم عام ١٨٨٦ وقتلوا زعيمهم جوامير في مكيدة مدبرة وطاردوا رجالهم ونساءهم عبر الحدود، فيما باشرت السلطات العثمانية من جانبها بتنفيذ مخططها الخطير الهادف الى نفي المئات من أبناء الهموند الى خارج البلاد بهدف اذعانهم وكسر شوكتهم والتخلص من مشاكلهم. وتعتبر عمليات عصيان الهموند في المنفى ونجاح بعضهم في الهرب والعودة الى وطنهم بعد سنوات الاغتراب القاسية من الملاحم الرائعة في تاريخ الكورد حقاً.

وحيال فشل تلك الاجراءات والاساليب القاسية التي اتبعتها العثمانيون بهدف اخضاع الهموند والانتقام منهم، اضطروا أخيراً لاعادة المنفيين الى وطنهم، فألتم شملهم مجدداً مع سائر قومهم في ديارهم وعاشوا جميعاً في هدوء حتى عام ١٩٠٨ حين ثاروا على الترك من



وجهاء الهموند مع الوالي ناظم باشا

جديد في اعقاب مصرع الشيخ سعيد واستشهاده في الموصل حيث قطع الهموند الطريق بين كركوك والسليمانية وأذاقوا القوات العثمانية شر الهزائم عندما حاولت تأديبهم عام ١٩٠٩، لكن الوالي ناظم باشا أنهى الأزمة تلك بموجب الصلح الذي أبرم بين الطرفين عام ١٩١١

وضع الهموند كل خلافاتهم السابقة مع العثمانيين جانبا عقب احتلال العراق من قبل الانكليز خلال الحرب الكونية الاولى (١٩١٤-١٩١٨) فساهموا مع المئات من اخوتهم الكورد بقيادة الشيخ محمود الحفيد، في معركة الشعيبة (عام ١٩١٥) التي سالت فيها دماء الكثيرين من ابناء شعبنا العراقي بمختلف قومياته وطوائفه.

وفي عام ١٩١٦م تصدى الهموند لقوات الروس المنطلقة صوب شهربازار وشهرزور بعد احتلالها لجزء من كردستان ايران (كوردستان الشرقية) وافلحوا (أي الهموند) في التصدي للغزاة (الروس) والسيطرة على قطع مدافعهم التي لحقت أضرارا فادحة بارحاء ماوت (ضمن حدود شهربازار) وجوارها من المناطق الحدودية.

كذلك تميز الهموند فيما بعد بقيادة زعيمهم كريم بك في دعمهم

ومساندتهم للشيخ الحفيد أثناء فترة حكمه الاولى والثانية في السلمانية وانتفاضاته ونضالاته المتكررة الدؤوبة ضد المحتلين وعملائهم في بلادنا.

وبهدف تسليط مزيد من الضوء على بعض الجوانب الهامة من تاريخ الهموند الذي قدمنا عنه فيما تقدم، نبذة عامة وسريعة أرتأينا التوقف فيما يلي عند المحاور التالية والتحدث عنها بشئ من التفصيل.

جوامير أغا ونهايته التراجيدية على أيدي القاجاريين

يعتبر جوامير أغا بن أحمد بن محمد بن جوامير الأول من أحفاد خوادي، أحد أبرز وأشهر زعماء الهموند في تأريخهم، إن لم يكن أبرزهم وأشهرهم على الإطلاق.

ولد هذا الزعيم القبلي الملقب بـ(جوكل الهموند)، وهو سليل أسرة بگزادة الهموند (الچلي)، في عقد الثلاثينات من القرن التاسع عشر وعرف منذ مطلع شبابه بشجاعته الفائقة وبأسه الشديد. ثم بزغ نجمه سريعاً بصفته مقاتلاً وقائداً قبلياً متميزاً ساهم في العديد من معارك قومه الكبرى ضد الترك والفرس والروس وبضمنها المعركة التي اسر فيها القائد التركي ادهم پاشا والمعركة التي قتل فيها القائد القاجاري مارياس خان. كما عاش جوامير أغا مع قومه ظروف التهجير والاعتراب بعيدين عن ديارهم في چمچمال ويازيان كثيراً، وقد ر له تزعم قبيلته وهو في اوج عنفوانه ورجولته أوائل الربع الاخير من القرن التاسع عشر.

وإجمالاً استمرت هبة ونفوذ جوامير بالتنامي والتعاظم في منطقته وجوارها حتى عام ١٨٨٠ حين اندلع القتال الشرس بين الهموند والجاف بسبب ابواء جوامير لقتلة محمد پاشا الجاف من افراد فخذ الكرم وبسبب العائد الى قبيلة پاشا المغدور، ومن ثم رفضه (اي جوامير) تسليم القتلة الى ابناء الجاف المطالبين بالثار لزعيمهم.

ورغم ان الهموند تمكنوا في البداية من صد هجوم الجاف عند منطقة (گل) في حدود طوزخورماتو والحاق الاذى بهم، الا أنهم اضطروا مع



جوامير بين أنبائه

الكرميس في النهاية الى التقهقر والانسحاب أمام وطأة هجوم الجاف المدعومين وقتئذ من العثمانيين، فأجبروا على اجتياز نهر سيروان قاصدين الحدود الايرانية، لكنهم قبل أن يبلغوها اضطروا لحوض مواجهات دامية مع مطاردتهم الجاف في الجانب الآخر من سيروان، كلفتهم خسائر كبيرة ولاسيما أفراد الكرم ويس الذين أبيد معظمهم.

يجدر ذكره ان اغتيال محمد پاشا في منطقة ابراهيم سمين (ضمن كفري) كان مبعثاً لارتياح المسؤولين العثمانيين الناقمين عليه في قرارة انفسهم وذلك من جراء طموحاته وهيبته الواسعة وهم الذين مهدوا السبيل (حقيقة) لاغتياله عبر اساليبهم وخططهم الماكرة في الخفاء، بيد أنهم آثروا فيما بعد التظاهر بدعم الجاف وملاحقة القتلة للأسباب والظروف التي ذكرناها (في الموضوع السابق عن الجاف).

ولاشك ان العثمانيين افلحوا في اصابة هدفين برمية واحدة، فهاهم تخلصوا من محمد پاشا الصلب الطموح من جهة، واصبحت الفرصة مواتية أمامهم من جهة أخرى، للتخلص من جوامير النابغ وكسر شوكة

عشيرته المشرية لمتاعبهم وشجونهم.

حظي جوامير آغا وأصحابه واسرهم الهاريون من ديارهم بالترحاب والحفاوة من لدن القاجاريين وفي مقدمتهم حاكم اصفهان (ظل السلطان) والذين كانوا يرومون الاستفادة في تلك الفترة من قدرات الهموند وزعيمهم بغية تقوية وتعزيز سلطاتهم ونفوذهم على الحدود مع العثمانيين.

وهكذا عين جوامير حاكماً لمنطقة (زهاو) وخصص له مرتب شهري بلغ (١) تومان، فيما عومل اتباعه وصحبه بالدعم والرعاية جميعاً، وأصبحت بلدة (قصر شيرين) التي شيد فيها جوامير قلعته المهيبة المعروفة بـ(قلعة جوامير آغا) مركزاً لسلطة ونفوذ الهموند التي كانت تتوسع بمرور الايام وبالشكل الذي أثار شكوك وحفيظة القاجاريين الذين بدأوا يخططون لاحتواء الهموند وزعيمهم.

وعموماً، فإن طابع الود والتفاهم الذي ساد العلاقة بين القاجاريين والهموند في عهد (ظل السلطان) حاكم اصفهان والصدیق الحميم لجوامير، قد انتهى عقب عزل الاول من سلطانه. فبدأ الفرس يخططون في الخفاء من أجل القضاء على جوامير وسلطته ونشاطاته في المنطقة، فاتفقوا بهذا الصدد مع العثمانيين (جيرانهم اللدودين) بصدد تنفيذ ذلك المخطط الذي كان يتناسب مع مصالح الطرفين في تلك الظروف.

هياً القاجاريون جيشهم المكلف بتنفيذ المهمة وأناطوه بـ(حسام الملك) الذي توجه عاجلاً الى اطراف قصر شيرين التي عسكر فيها، فيما قاد الجيش التركي من الجانب الاخر للحدود (قدرت اسماعيل پاشا) الذي كان ينتظر بدوره هناك تنفيذ المهمة الموكلة اليه.

لكن (حسام الملك) آثر تنفيذ المخطط بالغدر والدسياسة أولاً، فدعا جوامير للحضور اليه في معسكره بدعوى التحاور والتفاهم بشأن القضايا المشتركة التي تخص الجانبين، وما أن لبي هذا الدعوة انطلقاً



**القاجاريون يمثلون بجثث جوامير
ومرافقيه بعد قتلهم**

من ثقته بنفسه وجهله التام بما كان يضره له الاعداء في الخفاء حتى هاجمه بعض الجنود القاجاريين المختبئين لهذا الغرض خلف الخيمة التي استقبل عندها فقتلوه مع مرافقيه (عام ١٨٨٦) ثم مثل القاجاريون بجثثهم تعبيراً عن حقدهم الاسود.

ورغم تنوع الحكايات والروايات بشأن تفاصيل ودوافع اغتيال جوامير آغا^(٥) لكن الثابت هو ان الرجل كان ضحية لمؤامرة مشتركة خبيثة بين القاجاريين والعثمانيين الذين دأبوا في أحيان كثيرة على ترك خلافاتهم المستديمة وتوجيه مثل تلك الطعنات الغادرة الى ظهور الكورد وزعمائهم.

واصل القاجاريون حملتهم ضد الهموند وطاردوا رجالهم ونساءهم داخل حدودهم والقوا القبض على الكثيرين منهم، فيما فر الناجون منهم عبر الحدود حيث كانت بانتظارهم القوات العثمانية التي واصلت ملاحقتهم وضربهم بكل عنف. واضطر الكثيرون منهم الى الاحتماء بالمناطق الوعرة

٥- تفيد احدى هذه الروايات ان اغتيال (جوامير) جاء بسبب الاشتباه به في حادث الاعتداء الذي تعرضت له اخت الشاه القاجاري اثناء عودتها من بغداد (قادمة من زيارة العتبات المقدسة) وبعد اغتياله أرسل رأسه المقطوع الى الشاه فلما اطلعت عليه اخته أكدت بأنه لايعود للشخص الذي اعتدى عليها! فتبين بأن جوامير اغتيل غدرًا، ومهما يكن من امر هذه الروايات، فإن الثابت هو كون جوامير ضحية لمؤامرة محكمة حاكها الفرس والترك معاً.

في خانقين فيما لجأ بعضهم الآخر الى جبال سورين وقرداغ^(١) التي وصلوا اليها بعد جهد جهيد مواصلين فيها الدفاع المستميت عن أنفسهم وطيلة أشهر. ثم بدأت السلطات العثمانية بوضع اللمسات الأخيرة على مخططاتها الخطيرة الهادفة الى اذلال الهموند ووضع حد نهائي لنشاطاتهم وتمرداتهم عن طريق نفيهم الى خارج وطنهم وقطع صلتهم بأرضهم وشعبهم.

حكاية نفي الهموند الى تركيا ولبيبا وعودتهم

كان اغتيال جوامير الهموند في ايران وأسر واحتجاز جمع من اتباعه هناك وفرار الباقين منهم عبر الحدود والظرف العصيب الذي مرت به العشيرة عموماً فرصة مناسبة تماماً للعثمانيين كي يبدأوا بتنفيذ خطة ابعاد معظم عوائل الهموند الى خارج العراق. ولضمان تحقيق ذلك سارعت السلطات أولاً بدعوة افراد الهموند المتبقين اصلاً في چمچمال وبازيان للحضور الى كركوك، حيث تم الاجتماع بهم وأبلاغهم بالامامر القاضية بابعادهم مع عوائلهم الى الرمادي (محافظة الانبار الحالية) وتوفير مستلزمات حياتهم المعيشية هناك، على أن يسمح لهم بالعودة الى ديارهم مستقبلاً حال الاطمئنان على نواياهم وسلوكهم تجاه العثمانيين.

لكن هؤلاء ايقنوا سريعاً أن السلطات قد ضللتهم تماماً وذلك بعد أن تم إرسالهم الى الموصل تمهيداً لنقلهم الى تركيا بدلا من الرمادي! ثم الحقت بهم هناك (في الموصل) اعداد اخرى من اخوتهم الفارين من ايران والذين القي القبض عليهم عقب مصادمات دامية عند المناطق الوعرة التي لاذوا بها في وقت سابق. أما بالنسبة للمحتجزين أصلاً داخل الحدود الايرانية فأنهم واجهوا بدورهم مصيراً ماثلاً لاقرانهم بعد ان سلمهم القاجاريون الى المسؤولين الاتراك في العراق، تنفيذاً لمخططاتهم المشتركة السابق.

٦- تقع جبال سورين وقره داغ في محافظة السليمانية.

وهكذا افلحت السلطات العثمانية في جمع معظم أبناء الهموند في الموصل ثم ساقتهم سيراً على الاقدام شمالاً صوب الأراضي التركييه وقد قاسوا من جراء ذلك ظروفاً مؤلمة للغاية وهلك بعضهم بفعل الارهاق والجوع، وقبل أن يتم أسكانهم في أدنة لاحقاً^(٧)

وعموماً لم تفلح المخططات العثمانية الرامية الى أخضاع المنفيين وإذعانهم للأمر الواقع وذلك رغم كل المحاولات التي بذلت لتوزيعهم وإعادة توطينهم ضمن مناطق عدة من ماردين وهكاري وسيواس وأدنة، حيث كثرت مشاكلهم مع الحكومة وصداماتهم مع السكان الاصليين هناك.

وأخيراً قررت الحكومة العثمانية نقل قسم منهم الى ليبيا^(٨) بناء على مقترح حاكمها هناك (أحمد راسم پاشا) الذي أراد إنهاء مشكلة المنفيين الهموند مع حكومته عن طريق توطينهم وتشغيلهم في مناطق سرت وبنغازي وطرابلس والجبل الاخضر.

وبالنسبة للذين اسكنوا منطقة سرت الزراعية فإنهم؛ رفضوا العمل هناك رغم التسهيلات المقدمة اليهم في مجال العمل الزراعي، كذلك فشلت فكرة الاستفادة من ابنائهم الشباب في الجيش والاسطول واعمال الحراسة، هي الاخرى. ثم اشتد الشوق والحنين بالمنفيين للقاء أهلهم ووطنهم وقد حاول القاطنون منهم في بنغازي^(٩) الفرار والعودة الى الوطن لكن مغامرتهم الجريئة تلك باءت بالفشل عندما طاردهم قوات الجندرية وقضت على محاولتهم بعد اشتباكات مسلحة انتهت بمقتل أحد رؤسائهم

٧- تم نقلهم الى أدنة في الفترة الواقعة بين ١٨٨٦-١٨٨٧م ويحكى ان السلطان عبدالحميد زارهم مع والدته في مخيمهم هناك وهددهم برميهم في البحر الابيض المتوسط لكن والدته نصحتهم بتوزيعهم في أرجاء الامبراطورية بقولها؛ حتى لو كان هؤلاء مجرمين فما ذنب نساءهم واطفالهم، معتقدة أن توزيعهم سيقطع صلتهم بماضيهم وتقاليدهم وخصائصهم القومية نهائياً.

٨- تم نقلهم الى ليبيا عام ١٨٩٠ على الأرجح لكن بعض الرواة يعتقدون بأن ذلك تم في ١٨٨٧.

(حسن بگ) وجرح آخر (كريم بگ)، ثم أعيد الباقون الى موقعهم وتعرضوا الى مساءلات واستجوابات طويلة، لكنهم اعادوا المحاولة ثانية بعد فترة دون ان تنجح هي الاخرى أيضاً وعلى غرار سابقتها. كما لم يحقق استيطان الهموند في الجبل الاخضر النتيجة التي كان يرجوها المسؤولون ورغم تشابه طبيعة واجواء المنطقة مع ارض كوردستان وهي الميزة التي كانوا يعولون عليها كثيراً في انجاح خطتهم هناك.

أما القاطنون في طرابلس فقد أفلحوا في تحقيق ملحمة رائعة (كما اشرنا سابقاً) عندما تمكنوا مع عوائلهم من الفرار والعودة الى بازيان عبر خطة بارعة ومغامرة منقطعة النظير استغرقت ٧ أشهر كاملة قطعوا خلالها الوف الكيلومترات وهم يجوبون الصحاري والبتاهات، ويخترقون المخاطر ويستدلون بالنجوم ليلاً. يقول دكسن بهذا الصدد: أن الهموند خططوا لمسيرة العودة تخطيطاً فريداً فمن اجل ان لا يكتشف الاتراك أمرهم استبدلوا ملابسهم القومية بالملابس العربية وباعوا خيولهم واشتروا بأثمانها أفراساً عربية أصيلة من النوع الذي يفضل العرب ركوبه عادة، ويكثير من الصبر والعناء والمثابرة تمكنوا من العودة الى وطنهم الام، ثم الوصول الى ديارهم بمساعدة عشيرة شوان.

وإجمالاً لم تتحدث المصادر كثيراً عن تفاصيل هذا الهروب الجماعي الكبير لكن المؤكد أن عملاً جريئاً من هذا النمط وفي تلك الظروف يعد عملاً خارقاً للغاية.

وأخيراً اضطر احمد راسم پاشا الى استحصال موافقة حكومته (عام ١٨٩٣) بشأن إعادة المنفيين الى أماكنهم السابقة التي رحلوا منها (في تركيا) مبرراً عدم نجاح خطته على اساس عدم كون المنفيين مزارعين أصلاً؛

نعود الى الساكنين في (أدنة) التركية ونذكر بان ١٥٠ فارساً منهم

٩- كان فقي قادر الهموند الشاعر المعروف ضمن المنفيين الى بنغازي وقد توفي هناك.

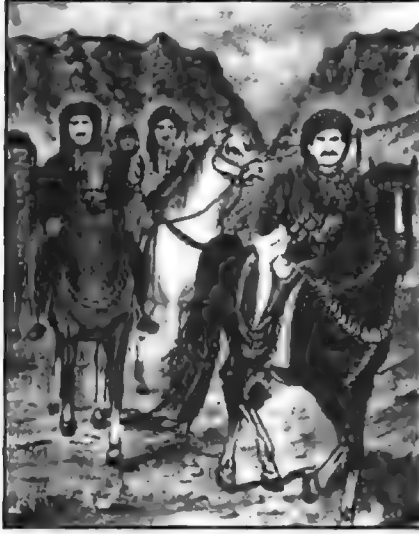
تمكنوا (في وقت آخر) من الفرار أيضاً وترك عوائلهم خلفهم في خطة مدبرة والوصول الى حلب ودير الزور بعد دحرهم للقوات التي طاردتهم ثم بلغوا ديارهم في بازيان بعد رحلة مضنية وافلحوا هناك في تحشيد قوة مؤلفة من ٤٠ فارس والتوجه معاً نحو اطراف الموصل، فطالبوا السلطات هناك بجلب عوائلهم اليهم من تركيا، مهدين بتنفيذ غارات انتقامية ضد الحكومة ومؤسساتها حال عدم تنفيذ مطالبهم فتحقق ما أرادوا وعادوا بصحبة ذويهم الى بازيان.

وعموماً فأن عمليات نفي الهموند الى تركي وليبيا لم تحقق الاهداف التي كان يتوخاها الترك وقد باءت جميعاً بالخيبة والفشل واضطروا لاحقاً (اواخر القرن التاسع عشر) لاعادتهم الى ديارهم في جمجمال وبازيان حيث التم شملهم وسعدوا بلقاء أهلهم وشعبهم وأرضهم العزيزة التي ظلوا أوفياء لها رغم كل المصاعب والاهوال التي اعترضتهم طيلة سنوات نفيهم التي دامت سنوات عدة^(١٠)، وأكدت الاحداث اللاحقة أن جميع الاجراءات والممارسات التعسفية الظالمة التي اتخذت بحقهم مراراً لم تكن عزائمهم وهمهم في مواصلة نهجهم الشجاع المعهود الذي عرفوا به سواء في عهد العثمانيين أو الانكليز.

كريم بك الهموند (١٨٧٠ - ١٩٢٦) والولاء الدائم للشيخ الحفيد

يعتبر كريم بك بن فتاح بك بن رسول بك بن جوامير الاول بن بادگار بن خوادي أحد أكثر الزعماء القبليين الكورد معاداة للمحتلين عموماً والانكليز خصوصاً، وهو المعروف بدعمه المشهود لنضالات الشيخ محمود وولائه الكبير لهذا الزعيم الثوري الخالد اضافة الى موافقة النضالية السابقة المتمثلة بمساهمته الفعالة خلال انتفاضة عشيرته عام ١٩٠٨

١٠- وهناك من يقول بأن بعض الهموند لم يعودوا وأنما بقوا في ليبيا والجزائر وتركيا ولم يزل حفدتهم يعيشون هناك وقد حدثني الزميل الأديب جلال زنگابادي عن مخرج مسرحي ليبي مشهور إسمه (يوسف الكوردي - وهو هموندي الاصل) ويحتفظ بصورته عنده.



كريم بك الهموند

مقب استشهاده الشيخ سعيد
فباده لاتباعه في معركة
الشعبية عام ١٩١٥ والتصدي
لجوات الروس الغازية المتجهة
سحب شهرزور وشهر بازار عام
١٩١٦ والتي اشرفنا اليها
سريعاً من قبل.

وكان كريم بك وهو سليل
اسرة بكزادة الهموند قد نشأ
وترعرع في خضم الظروف
والاوضاع الاستثنائية الصعبة
والمواقف المشهودة التي مرت
بها عشيرته ابان عهد جوامير

اغيا (السالف الذكر) والذي تأثر كريم بك بشجاعته واقدامه كثيراً
معتبراً اياه قدوته ونموذجه الاعلى في القيادة والزعامة.

ولاشك ان الاحداث القاهرة وسنوات النفي والتشريد الطويلة التي
عاشها كريم بك مع عشيرته في ايران وتركيا وشمال افريقيا قد صقلت
كثيراً وخلقت منه بمرور الايام مقاتلاً مغواراً وزعيماً قلياً ثائراً على
المحتلين الذين مقتهم وعقد العزم على مناهضتهم ومحاربتهم منذ كان
صغيراً، وتعتبر مساهمته الفاعلة في انتفاضة الشيخ محمود الاولى و
مواصلته للنضال بعد انتكاستها ومن ثم دوره المشهود في الانتفاضة
الثانية للشيخ وحتى استشهاده في عام ١٩٢٦، تعتبر أبرز وأخصب
مراحل حياته النضالية قاطبة، والتي نسلط الضوء هنا عليها سريعاً.

كان تحرير السليمانية عقب انتفاضة الشيخ الاولى في مائس ١٩١٩
ووقوعها بأيدي الشوار واسر الضباط والموظفين الانكليز فيها ثم تحرير
حليجة في ٢٦ مائس عقب قتال شديد بمثابة نذير شؤم للمحتلين الذين

استقدموا من كركوك قوة كبيرة بقيادة (الميجر بومي) الذي حاول تدارك الموقف المتأزم بالنسبة اليهم. ومن جانبه تقدم الشيخ محمود بقواته لاعتراض الاعداء عند طاسلوجة وقد انضمت اليها في الطريق امدادات عشيرة اسماعيل عوزيري فيما تحرك كريم بگ وانصاره من أطراف چمچمال للالتحاق بها ايضاً.

انتهت الواقعة التي دامت نهائياً كاملاً بهزيمة منكرة للانگليز الذين تركوا من بعدهم جثث قتلاهم ومعداتهم ومؤنهم التي غنهما الثوار، وتحجرت چمچمال اثر ذلك ودخلها كريم بگ وأنصاره ظافرين واسروا معاون الحاكم السياسي فيها (الكابتن بوند) الذي ارسلوه الى السليمانية. لكن المحتلين تمكّنوا من اعادة سيطرتهم على الوضع لاحقاً عقب معركة دربندي بازيان المشؤومة بتاريخ ١٨ حزيران ١٩١٩ والتي انتكست بسببها الانتفاضة الاولى للشيخ الحفيد الذي جرح واسر اثناء تلك المعركة ونفي الى الهند لاحقاً (كما شرحنا سابقاً).

كانت تلك الاحداث بمثابة ضربة مؤلمة للغاية لطموحات وتطلعات شعبنا التواق الى الحرية والتخلص من نير المحتلين، وقد افرز ذلك الواقع المؤلم معوقات عدة أمام أنصار الشيخ لمواصلة الكفاح المسلح مجدداً، لكن البعض منهم وفي مقدمتهم كريم بگ لم يأبهوا بالعراقيل والمصاعب بل آثروا التحدي والمقاومة حتى النهاية.

فقد دأب كريم بگ على مهاجمة المحتلين وشن حرب عصابات مستمرة ضدهم ولاسيما عند مضيق دربندي بازيان حيث باغت في احدى الليالي القوة الموجودة هناك والتي كانت بأمره الكابتن (لاين) ومساعدته الكابتن (وينگل) ففتك ببعض افرادها ثم اشعل الحرائق في الاحراش والغابات الموجودة للقضاء عليهم، لكن تدخل الطائرات البريطانية بعد ساعات من المعركة انقذ المحاصرين من ورطتهم. ثم توفي الكابتن (لاين) في المستشفى بعد فترة وجيزة من نقله إليه، اثر معاناته الشديدة التي قاساها وسط الدخان والحرائق خلال المعركة المذكورة.

طارد المحتلون كريم بگ بلا هوادة وهو يتحين الفرصة مع انصاره لمهاجمتهم، وقد تحقق له ذلك في حزيران ١٩٢٢ عندما ثارت عشيرة الجباري على المحتلين، غير أن الانكليز سعوا من جانبهم لتهدة الوضع والحيلولة دون مواصلة كريم بگ لنهجه المعهود ضدهم فتوجه اليه لمفاوضته الكابتن بوند بصحبة الكابتن ماكانت آمر الدرك في المنطقة، وانتهى النقاش العاصف بين الطرفين بتاريخ ١٨ حزيران ١٩٢٢ وعلى الطريق بين قريتي مورتكه وهنجيره في أطراف دربندي بازيان باغتيال المسؤولين المذكورين من قبل كريم بگ وجماعته.

فر كريم بگ وأصحابه شمالاً صوب مناطق نفوذ الترك عند راوندوز (قبل ان يحتلها الانكليز لاحقاً) واستمرت ملاحقته على قدم وساق دون نتيجة، فيما واصلت الطائرات الحربية البريطانية قصفها للقري والمواقع التي كان المحتلون يتوقعون وجود الفارين فيها.

وفيما بعد استغل الانكليز عودة الشيخ من المنفى في ايلول ١٩٢٢ فالحوا عليه وهو في بغداد بضرورة تسليمهم كريم بگ لغرض محاكمته ومعاقبته جراء اعماله السابقة ضدهم، لكن امالهم خابت تماماً بذلك الخصوص، عندما اعلن الشيخ انتفاضته الثانية ضدهم وارسى دعائم حكمه في السليمانية. وقد لعب كريم بگ وأنصاره دوراً مشهوداً في تلك الفترة، كما كان في مقدمة أنصار الشيخ الذين دخلوا السليمانية ظافرين صيف عام ١٩٢٣ عقب احتلالها من قبل الانكليز في ربيع ذلك العام. ثم سقطت المدينة مجدداً بأيدي الاعداء في تموز عام ١٩٢٤ عقب محاصرتها وقصفها الشديد من الجو فلاذ الشيخ وأنصاره بالمناطق الجبلية الحدودية ضمن پنجون وشهربازار، واستمرت نشاطاتهم الثورية ردحاً من الزمن، كما طالت ضرباتهم الموجهة التي كان يوجهها كريم بگ وسيد محمد الجباري ارجاء عدة من كركوك ولاسيما مناطق چمچمال وگل و سنكاو.

أخيراً أجبرت الظروف القاهرة الثوار المتجمعين في أطراف السليمانية

على اجتياز الحدود واللجوء الى منطقة مريوان وأرجائها المتاخمة، فعاش الشيخ وأصحابه ظروفاً معاشية ونفسية مؤلمة، ثم أرتأوا عودة بعض محاربيهم الى أرض الوطن ومهاجمة مواقع وتجمعات العدو للتأكيد على ديمومة وأستمرار الثورة رغم المعطيات والمستجدات الصعبة. وهكذا عاد كريم بگ وابناؤه وفرسانه صوب بازيان و چمچمال مواصلين هناك كفاحهم ومساعدتهم مجدداً، لكن الاعداء الذين كانوا يتعقبونهم ويترصدون تحركاتهم عن طريق عملائهم، تمكنوا أخيراً من الظفر بكريم بگ المثير لمتاعبهم والذين خصصوا سابقاً مكافأة مالية مغرية لمن يستطيع اغتياله مع ابنه صابر، فقد أصابه احدهم ليلة ١٩٢٦/٦/٢٩ بطلق ناري من داخل قرية (قره تامور) القريبة من بلدة چمچمال، بينما كان هو ورفاقه يتوجهون الى القرية المذكورة فنقل جريحاً الى قرية (نوره) المجاورة التي أسلم فيها الروح متأثراً بجرحه تاركاً من بعده وصيته الاخيرة الى أهله وأصحابه داعياً فيها أيهم بعدم ايذاء احد من ابناء المنطقة بدعوى الشر والانتقام له، ثم اتخذت اجراءات عدة من قبل أصحابه بغية دفنه سراً قرب مرقد الشيخ رضا عند قرية ديليژه الكائنة في حوض جبل (تهختهسى) من امتداد سلسلة (سه گرمه) الشهيرة المجاورة لمرتفعات (قرداغ) الشاهقة، وذلك تحاشياً لوقوع رفاتة في ايدي العملاء والمتاجرة به لدى أسيادهم. وقيل ايضاً ان الانكليز بادروا فيما بعد الى توزيع المكافأة المالية المخصصة لاغتيال كريم بگ ، على قرية قره تامور. وباستشهاده فقد الشيخ محمود أحد رفاقه المناضلين الغيارى وخسرت منطقته وعشيرته زعيماً ثائراً، لكن عزاء أهله وقومه هو ان كريم بگ الهموند ترك من بعده سجلاً حافلاً بالمآثر النضالية والمواقف الوطنية الجريئة المشهودة.

السليمانية

احداث ومواقف وذكريات

تعد مدينة السليمانية احدى اشهر واجمل مدنها الكوردستانية قاطبة، فهي تتمتع بموقعها الجغرافي والاقتصادي والتجاري المزدهر وتزهو بارثها التضالي الحافل بالعديد من الانتفاضات والثورات الوطنية والقومية المجيدة التي شهدتها (السليمانية) تباعاً فنالت عن جدارة واستحقاق لقب مدينة الثورات والتضحيات. كما تعد السليمانية منبعاً خصباً للادب والفن والثقافة الكوردية الاصيلة ومهداً للعديد من اعلام الكورد البارزين الذين برعوا ونبغوا في مجالات الحياة المختلفة.

ورغم ان السليمانية حديثة النشأة بالقياس الى المدن الكوردستانية المجاورة لها كأربيل وكركوك مثلاً الا ان الموقع الذي يحتضن المدينة يمتاز بارثه الحضاري والتاريخي الموهل في القدم والذي تؤكده الآثار والاطلال والمخلفات القديمة المكتشفة هناك، كما ان ضواحي واطراف الموقع تزخر بدورها بالكثير من الآثار الهامة والكهوف الجبلية التي سكنها الانسان القديم منذ العصور الحجرية الاولى مثل كهف (هزارميرد) ومغاور جبل سورداش، وقد اسفرت التنقيبات الاثرية التي جرت في المنطقة سابقاً عن اكتشافات مذهلة بضمنها آثار أقدم قرية زراعية في العالم يعود تاريخها الى الالف السادس قبل الميلاد، هذا اضافة الى المخلفات الأثرية الاخرى التي تؤكد إجمالاً ان المنطقة عاشت عهوداً وحقباً ثرية عبر مراحل التاريخ القديم.

تأسست مدينة السليمانية من قبل الأمير الباباني ابراهيم پاشا بن احمد پاشا الذي وضع حجرها الأساسي عام ١٧٨٤م - ١١٩٩هـ واتم بناءها عام ١٧٨٥م فنقل اليها مركز امارته من عاصمتها السابقة (قهلاجوالان) الواقعة على مسافة ٣ كم في الطرف الشمالي الشرقي من العاصمة الجديدة السليمانية. ومع ان بعض الباحثين والمتتبعين يميلون الى الاعتقاد ان محمود پاشا (عم ابراهيم پاشا) هو المؤسس الاول لنواة السليمانية الحالية على اعتبار انه شيد (عام ١٧٨١م) السراي الحكومي عند طرف قرية ملكندي التي ظهرت المدينة عندها لاحقاً وسبق ابن اخيه (ابراهيم پاشا) في التفكير بنقل مركز الامارة الى هناك، فان اغلب المصادر الاخرى (وما اكثرها) تتفق فيما بينها على كون (ابراهيم پاشا) هو المؤسس الحقيقي والباباني الفعلي لمدينة السليمانية.

شرع (ابراهيم پاشا) بتشيد مدينته الجديدة في أطراف (ملكندي) كما اسفلنا وأتم في هذا السبيل بناء سراي الحكومة وأرسى جامعاً وسوقاً وحماماً وخاناً وغيرها من المساكن ومظاهر العمران الحديثة، ولما أنجز ذلك اوعز بنقل مركز إمارته من موقعه السابق (اسفل چوارته) الى المدينة الجديدة الكائنة في الجانب الجنوبي الغربي من سلسلة جبال گويزه - أزمير.

والواقع ان دوافعاً واسباباً عدة كانت تقف وراء اختيار (ابراهيم پاشا) للسليمانية عاصمة جديدة لامارته بدلاً من سابقتها، فمنها ادارية وسياسية واقتصادية قُمثلت إجمالاً بطموح الامير الفطن في ممارسة سلطاته من خلال عاصمة مركزية قوية وأمينة في الجانب الآخر من سلسلة گويزه - أزمير على عكس العاصمة السابقة التي كانت كثيراً ماتعرض بسبب موقعها لهجمات وتهديدات الفرس، هذا فضلاً عن تمتع الموقع الجديد بميزة الانفتاح والحركة بسبب توفر طرق المواصلات المرتبطة به. وكان للعامل الاقتصادي دوره المؤثر في اختيار هذا الموقع عند قدماء گويزه - أزمير حيث كان (اي الموقع) وما يزال اشبه بمستودع كبير

للحبوب والغلات الزراعية ضمن امتدادات سهل شهرزور الخصب الرحيب، إضافة الى غناه بمصادر المياه العذبة ومستلزمات الزراعة والرعي، فصار بسبب ذلك ملتقى السكان الرحل مع المستقرين هناك ومركزاً لتبادلهم التجاري الموسمي.

كما لعب الدافع الذاتي المتمثل بطموحات الامير الشخصية وتوقه الى العيش في حاضرة مزدهرة، وهو الذي نشأ وتكيف في اجواء بغداد في مستقبل حياته وعند الوالي سليمان پاشا الكبير (من أبرز الولاة المالكين في العراق)، وكذلك طموحه الى المجد والشهرة والمفاخرة بالنفس وتخليد اسمه واسم أسرته، لعب دوره في اختيار (ابراهيم پاشا) للسليمانية عاصمة له حيث وجد ان أبرز عمل يقوم به في هذا السياق هو بناء عاصمة جديدة ومزدهرة من طراز السليمانية، فحقق بذلك مبتغاه تماماً.

أما لماذا سميت المدينة بالسليمانية، فهناك آراء وتفسيرات كثيرة بهذا الشأن يفيد أهمها واكثرها شيوعاً وقبولاً؛ ان ابراهيم پاشا سمي عاصمته الجديدة بهذا الاسم تيمناً باسم صاحبه الحميم الوالي سليمان پاشا (السالف الذكر). والواقع ان مصادر كثيرة، بضمنها مصادر كوردية متعددة طبعاً، تأخذ بهذا الرأي. وقد ذكر (ريج) ان ابراهيم پاشا سمي مدينته بالسليمانية مجاملة لوالي بغداد سليمان پاشا، وقوله هذا أستند عليه الكثيرون منهم؛ لونغريك، محمد أمين زكي بگ، ادموندز، عبدالرزاق الحسيني... وغيرهم، بينما يفيد رأي ثان وهو رأي وجيه ايضاً ان ابراهيم پاشا قصد من الاسم (سليمان - السليمانية) تخليد اسم جده الكبير؛ بابا سليمان بن فقي احمد (سلمان بن فقي أحمد - سلمان بيه) المؤسس الحقيقي للأمانة البابانية والذي حكم خلال (١٦٦٣-١٦٧٥)، فيما يشير تفسير آخر الى انه سمي عاصمته باسم ابنه سليمان بگ.

كما ورد ايضاً ان الاسم مشتق من اسم (سليونا) المدينة التاريخية القديمة التي شيدت السليمانية على انقاضها عند ملكندي (ملكندي محلة من محلات السليمانية حالياً)، في حين تتحدث حكاية مشوقة



مشهد من مدينة السلیمانیة (عام ١٩٥١)

تناقلها سكان السلیمانیة سابقاً وأشار إليها بعض الباحثين في كتاباتهم ومنهم جمال بابان، وخلاصتها ! ان العمال عندما كانوا يحفرون اسس المدينة عثروا على خاتم منقوش عليه اسم سليمان فتقابل إبراهيم باشا الذي كان حاضراً في المكان آنذاك وسمى مدينته على هذا الاساس تيمناً باسم النبي سليمان الذي امتلك الخاتم السحري!!

كان ابراهيم باشا اميراً عادلاً ومهماً عرف ببسالته وحزمه وتحديه للتهديدات والاضغوطات الفارسية والعثمانية على حد سواء وبمؤهلاته القيادية والسياسية والادارية التي جعلت منه احد ابرز الامراء البابانيين. وقد حظي بحكم الامارة البابانية ثلاث مرات خلال الفترة (١٧٨٣-١٨٠٣م) ولما توفي بالموصل (عام ١٨٠٣م) خلفه ابن عمه عبدالرحمن باش الذي حكم بدوره الامارة اكثر مرة خلال الفترة (١٧٨٩-١٨١٣م) والذي تميز عهده - حسب المصادر التاريخية - بكونه عصر استقلال كوردي تام.

واجمالاً تميزت السلیمانیة في عهد (آل بابان) ببريقها الساطع ورخائها الاقتصادي والحضاري والعمراني المضطرد فنالت اهتمام المؤرخين

والباحثين والرحالة الذين جاب بعضهم المدينة في النصف الاول من القرن التاسع عشر واوردوا بشأنها ملاحظاتهم وشهاداتهم التي دونوها في مذكرات رحلاتهم، وفي مقدمتهم الرحالة (كلوديوس جيمس ريج) الذي زار مع زوجته وأتباعه السلیمانية (عام ١٨٢٠) بناءً على الدعوة التي تلقاها من الامير الباباني محمود پاشا بن عبدالرحمن پاشا الذي حكم خلال الفترة (١٨١٣ - ١٨٣٤م)، فمكث ريج وجماعته في السلیمانية اكثر من ٣ اشهر (وعلى مرحلتين) ودون عنها ذكريات ومشاهد خالدة لاتنسى (أشرنا الى بعضها في سياق حديثنا عن ريج).

كما وصف (فريزر) الامارة عام ١٨٣٤م، بدولة السلیمانية الصغيرة أما فيليكس جونز فقد سجل في عام ١٨٤٤م اعجابه بالامير احمد پاشا آخر امراء بابان المستقلين والذي دام حكمه خلال (١٨٣٨ - ١٨٤٧م)، وذكر ايضاً أن الامير المذكور قد تمكن بعد عام واحد من توليه الحكم من اعداد وتدريب قوة عسكرية حسب النظم الاوروبية الحديثة بلغ قوامها مئات المقاتلين. وياندحار قوات هذا الأمير امام قوات والي بغداد التركي (نجيب پاشا) عام ١٧٤٧م انهارت الامارة البابانية، فخبا نجمها الساطع وقضي على عهدها المشرق الزاهر وابهة بلاطها الفخم في عاصمتها البهية والخلابة مدينة السلیمانية.

وبانهيار الامارة البابانية فقدت السلیمانية الكثير من مظاهر ابهتها السابقة وبدأت تعاني كثيراً من وطأة وقساوة الظروف ابان العقود الاخيرة من حكم العثمانيين المرير، بيد ان انها (اي السلیمانية) ظلت تنبض بالدفق والحياة وتشمخ بكبرياتها وصمودها رغم ظروفها القاهرة المحيطة بها، ولما انهار العثمانيون وانزاحوا عن حكم بلادنا اثر الحرب الكونية الاولى (٩١٤-١٩١٨م) ليحل محلهم المحتلون الجدد الاستعمار البريطاني بدأت السلیمانية تدون باحرف وضاءة فصول تاريخها الوطني والقومي الحديث في القرن العشرين وتتبوأ شيئاً فشيئاً موقعها الطبيعي على الصعيد السياسي والثقافي والفكري والحضاري.

ورغم ان السليمانية، مدينة حديثة الميلاد مع مقارنتها بغيرها من شقيقاتها العربيات في التاريخ، فان المتأمل لتاريخ هذه المدينة الذي لايتجاوز ٢٢ عاماً حتى كتابة هذه السطور، سيراه حافلاً وغنياً جداً بالكثير من الاحداث والوقائع الهامة التي شهدتها السليمانية عبر عهودها المختلفة.

ومن خلال تصفحنا لهذا التاريخ المجيد أرتأينا التوقف عند بعض الاحداث والمواقف الهامة والحكايات والذكريات الشيقة التي رافقت مسيرة السليمانية ابان مراحل مختلفة من القرن الفائت، والتي نعرضها حسب تدرجها التاريخي.

استذكارات عن سنوات المجاعة في السليمانية

كانت سنوات الحريين الكونيتين الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) والثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م) مؤلمة وقاسية في حياة البشرية التي عانت من أهوال وفواجع تلك الحريين اللتين خلفتا الكثير من الامراض والمجاعات وظروف التشرد وسائر الويلات الاخرى التي نتجت عنهما.

وكان العراق من بين البلدان العديدة التي ابتليت بظروف القحط والمجاعة خلال تلك السنوات المريرة التي فقد فيها الكثيرون حياتهم من جراء ذلك. ففي اثناء الحرب العالمية الاولى وتحديدأ خلال عام ١٩١٧م بدأت بواذر وآثار المجاعة تعم المنطقة ثم اشتدت وطأتها خلال مطلع عام ١٩١٨م حتى اصبحت تعرف بالمجاعة الكبرى التي الفت بظلالها القائمة على حياة ومستقبل معظم سكان البلاد.

وحيال الوضع المأساوي الذي ساد مدينة السليمانية في تلك الظروف البائسة،، سارع الخيرون من اثرياء المدينة ومقتدريها الى اسعاف اهلهما الجائعين بالمال والطعام والملابس وانقاذ حياة الكثيرين منهم في ذلك الظرف العصيب. لقد حول الكثيرون من هؤلاء المحسنين بيوتهم الى مطابخ واسعة لاعداد كميات كبيرة من الطعام يومياً وتوزيعه على

المعوزين، ونذكر من بين هؤلاء النشامى على سبيل المثال لا الحصر، كريم عهلهكه(*) الذي ضرب امثلة رائعة في الجود والعطف والشهامة الحقّة، وتحملت عائلته الكريمة عنا اعداد قدور كبيرة من الطعام وباستمرار طيلة ايام المحنة. لكن ورغم كل هذه المبادرات الوطنية والانسانية السخية فان عدداً كبيراً من الناس لاقوا حتفهم في ذلك الشتاء الموحش البارد من جراء الجوع والصقيع، يوم كانت السلিমانيّة تزدهم بطوابير الجائعين الذين قدموا اليها من مختلف ارجائها المجاورة.

لقد بلغت الوفيات في بعض الاوقات حداً جعل بلدية المدينة عاجزة عن كفن ودفن الموتى الذين كانوا يتساقطون في شوارع وأزقات وزوايا السلیمانيّة، مما حدا بسكان المدينة الى تشكيل لجنة لمساعدة البلدية وجمع الاموال المطلوبة لذلك الغرض. ومع ذلك فان الاسهامات المشرفة لابناء السلیمانيّة الخيرين قد ساهمت كما أسلفنا في انقاذ ارواح الكثيرين جداً من الذين كان يهددهم الجوع والبرد وقتئذ، وبانتهاء ذلك الشتاء البارد والمهلك بدأت الكارثة تخف والامور تتحسن شيئاً فشيئاً مع تتابع أيام الربيع.

وبعد ذلك التاريخ باكثر من عقدين، تفشت في العراق مجاعة شديدة أخرى ولكن من جراء الحرب العالمية الثانية هذه المرة، حيث سادت ظروف القحط والغلاء البلاد، وخصوصاً خلال عام ١٩٤٢م الذي شهد ارتفاعاً جنونياً في اسعار القمح وسائر المواد الغذائية الاخرى وبالشكل الذي أجبر العديد من العوائل المعدمة الفقيرة على بيع فلذات اكلها لقاء الحصول على قوتها ومستلزمات حياتها.

* كريم عَلكَهِ، اسمه الكامل هو عبدالكريم بن عَلكَهِ بن پولص من تجار السلیمانيّة المعروفين ووجهائها سابقاً، ولد في محلة كويژه عام ١٨٦٧ وأمتاز بمواقفه الوطنية المشهودة وعلاقته الوطيدة بالشيخ محمود وهو سليل احدى الأسر المسيحية العريقة في ربوع السلیمانيّة التي انتقل منها مع عائلته الى بغداد منتصف عقد العشرينات وتوفي فيها عام ١٩٤٨ ودفن هناك في مقبرة الكاثوليك.

ولتدرك هذا الوضع المؤلم شهدت أرجاء الوطن تشكيل لجان خاصة لجمع التبرعات والاعانات بغية تقديمها الى الفقراء والمحتاجين ولاسيما عقب البيانات العاجلة والنداءات الملحة التي وجهتها الجهات المختصة بهذا الصدد. وتشكلت تلك اللجان عموماً من الافراد المعروفين بالكفاءة والنبوغ والمؤهلين لهذا الواجب الوطني والانساني النبيل في مدن وقصبات العراق. لكن مدينة السليمانية أنفردت عن غيرها من مدن العراق عبر مبادرة نخبة من نساءها اللامعات بالمشاركة في تلك الحملة الوطنية لجمع التبرعات وتشكيل لجنة منهن لهذا الغرض مارست عملها بكل اقتدار شأنها شأن اللجنة الاخرى المؤلفة من وجهاء وشخصيات المدينة المعروفين والتي رأسها متصرف اللواء مصطفى القرداغي، وضمت السادة الحاج سعيد آغا، عزت بك وسمان پاشا، محمد صالح بك، الشيخ قادر الحفيد، محمد آغا عبدالرحمن آغا، مرزا فتاح، الحاج ابراهيم آغا، قادر آغا الحاج ملا سعيد، اسحاق عهلهكه ومحمود افندي.

أما فيما يخص لجنة السيدات فقد نشرت جريدة الوقائع العراقية الصادرة يوم ١٩٤٢/٢/٢ وعلى لسان متصرف اللواء بياناً مفاده أن نخبة من سيدات السليمانية أعربن وبالحاج عن رغبتهن واستعدادهن للمشاركة في جمع التبرعات التي تقرر جمعها تلبية لنداء وزارة الشؤون الاجتماعية المرقم ٥٨٤ في ١٩٤٢/١/٨ وبيان وزارة الداخلية المرقم ٨١٧ في ١٩٤٢/١/١٣، وتضمن البيان موافقة المتصرف على ذلك الطلب.

رأست لجنة السيدات السيدة سعدية خان محمود فخري بحكم كونها زوجة متصرف السليمانية وتألفت عضواتها من السيدات المقدرات المدرجة اسمائهن وفق تسلسلهن الاصلي وكمايلي:

١- حفصه خان النقيب، عقيلة الشيخ قادر الحفيد وهي من النساء الشهيرات في تاريخنا وسيدة السليمانية الاولى في عصرها.

٢- بهية خان كاكه أمين العطار عقيلة الشيخ محمود الحفيد.

- ٣- زهرة خان مصطفى پاشا ، عقيلة عزت بگ الجاف.
 - ٤- رحمه خان الحاج حسن عقيلة مرزا فتاح وقريبة المؤرخ الراحل أمين زكي بگ.
 - ٥- شكرية خان كركوكي ، عقيلة جميل رشيد مدير شرطة اللواء.
 - ٦- صديقة خان ، عقيلة محمد عبدالرحمن آغا
 - ٧- مليحة خان ، عقيلة عبدالله نوري ومن اقارب حفصه خان.
 - ٨- فاطمة خان ، عقيلة الحاج ملا محي الدين.
 - ٩- فاطمة خان أحمد آغا ، عقيلة قادر آغا الحاج ملا سعيد.
 - ١٠- اختر الحاج ملا محي الدين عقيلة محمد صالح بگ.
 - ١١- فاطمة خان الحاج سيد مصطفى عقيلة الحاج ابراهيم آغا.
 - ١٢- بهية خان سعيد أفندي عقيلة توفيق قزاز.
 - ١٣- عاذشة خان سعيد أفندي عقيلة مصطفى مظهر.
 - ١٤- فاطمة خان فتاح أفندي عقيلة مرزا كريم الحاج شريف.
- لقد عملت كلتا اللجنتان (لجنة الرجال ولجنة السيدات) بكل دأب واخلاص من اجل تنفيذ الواجب المناط بهما وقد اسفرت مساعيهما الخيرة عن تقديم العون اللازم الى المئات من العوائل البائسة وانقاذ حياة ابنائها من خطر المجاعة والهلاك.

حكاية اول مطبعة في السلیمانية

خطط الميجر سون حاكم السلیمانية السياسي والمعروف بثقافته الواسعة ودهائه السياسي، خطط (نهاية العقد الثاني من القرن الفائت) لنصب اول مطبعة هناك وتشغيلها واستخدامها وفقاً لاهدافه ومخططاته الاستعمارية الخاصة يوم كانت السلیمانية تعيش ظرفاً حساساً صعباً بعد انتكاسة الانتفاضة الأولى للشيخ محمود وأسرته ثم نفيه للهند لاحقاً.

ولما استقدم الانكليز عدداً من المطابع القديمة الى العراق في تلك

الظروف فان واحدة منها صارت من نصيب السليمانية بناء على اقتراح (سون) الذي اشرف بنفسه على نصبها وتشغيلها في دار فارس أفندي كما وفق في اقناع ثلاثة من الشباب المثقفين الكورد بالعمل في المطبعة وادارتها وهم؛ مجيد الشيخ عارف، أديب عزيز ومحمد زهدي الذين صاروا بمثابة رواد الطباعة والصحافة الكوردية في المنطقة وقد نجحوا في عملهم بإتقان.

كانت مهمة المطبعة تنحصر أساساً في اصدار البيانات والمنشورات الحكومية الرسمية، لكن أهم ما أنجزته في تلك الفترة كان طبعها لأول صحيفة كوردية في كوردستان العراق وهي جريدة (بيتشكوتن - التقدم) التي ظهرت في ٢٩ نيسان ١٩٢٢م وإصبحت في متناول القراء بعد جهود شخصية كبيرة بذلها الحاكم السياسي (سون) الذي اراد من خلال الصحيفة إستمالة السكان وكسب ودهم تبعاً لمصالح بلاده الاستعمارية في بلادنا. وكانت الصحيفة اسبوعية تصدر باربع صفحات (ثم زاد عدد صفحاتها لاحقاً الى ست صفحات) وقد ساهمت في نشر النتاجات الابداعية لنخبة لامعة من المثقفين والادباء الكورد امثال: جمال عرفان، نوري شيخ صالح، جميل صائب وغيرهم، لكن محاولات (سون) لم تنطل على ابناء المنطقة الذين كانوا مدركين لنواياه السياسية الحقيقية ومقاصده الاستعمارية، فاستمروا في نهجهم الوطني والقومي الاصيل ومطالبتهم بعودة الشيخ محمود من المنفى.

واخيراً رضخ المحتلون للمطالب الشعبية فسمحوا للشيخ بالعودة الى الوطن (عام ١٩٢٢م)، فوصل السليمانية في شهر أيلول من العام المذكور وسرعان ما أصطدم مع الانكليز مجدداً واجبرهم على ترك المدينة دون أن يتمكنوا من أخذ مطبعتهم معهم، ثم أرسى (أي الشيخ) دعائم حكومته في السليمانية ونصب نفسه ملكاً على كوردستان، وفي تلك الظروف لعبت المطبعة دوراً سياسياً وفكرياً مشهوداً عندما أضطلت بطبع جريدة (بانگی كوردستان - نداء كوردستان) و (روژی كوردستان

- شمس كوردستان) الناطقتين باسم حكومة الشيخ الحفيد.

وسرعان ماتصاعدت مؤامرات وضغوط الانكليز على الشيخ الحفيد وحكومته في السليمانية، فاضطر هو وإنصاره (آذار عام ١٩٢٣) الى الانسحاب من المدينة بعد تعرضها للقصف الجوي وازدياد تهديدات العدو لها فلجأ الشوار الى جبل سورداس الكائن بين السليمانية وبلدة دوكان الحالية مستصحبين معهم المطبعة التي نقلوها بعد جهد جهيد الى كهف (جاسه نه) هناك، حيث بوشر بطبع واصدار جريدة (بانگي ههق - نداء الحق).

لم يكن الانكليز مستعدين لتقبل الوضع الجديد في ظل تصاعد نشاطات الشوار في موقعهم الجديد، فبدأوا بمهاجمتهم والضغط عليهم بهدف القضاء عليهم فلجأ الشوار الى منطقة پنجونين الجبلية (اواخر مايس ٩٢٣) مخلفين وراءهم المطبعة التي وقعت بأيدي المحتلين الذين اعادوها الى السليمانية. ومالبث نظم الشوار صفوفهم وأزداد عددهم وتعاضمت معنوياتهم ومقاومتهم للمحتلين الذين اضطروا الى مغادرة السليمانية من جديد، فعاد اليها الشيخ ظافراً في ١١ تموز ١٩٢٣م.

يعود الى المطبعة ونقول بأن المحتلين لما اضطروا الى تركها (مجدداً) عقب انسحابهم الاخير عمدوا الى تعطيلها عن طريق نزع احد اجزائها الرئيسية وأخذهم معهم، وعلى الفور أوعز الشيخ باصلاح وتشغيل المطبعة بأسرع ما يمكن، وخلال يومين فقط تمكن الحرفي المقتدر الاسطة (صالح جهزني) واعتماداً على امكاناته الذاتية من صنع العدة المطلوبة للمطبعة، فكان فرح الشيخ كبيراً بهذا العمل وكافاً على اثره الاسطة صالح بمبلغ ٢ روبية ثم أوعز بتشكيل لجنة مهمتها اصدار صحيفة جديدة. وبعد مداولات عدة في دار (عزت بگ) أختارت اللجنة وعن طريق أجراء القرعة اسم (ثوميدي استقلال - أمل الاستقلال) للجريدة الجديدة التي رأت النور في ايلول ١٩٢٣م.

كانت الصحيفة تلك أسهماء مشرقة في تاريخ الصحافة الكوردية

وتميزت بدورها الفاعل خلال تلك المرحلة المهمة من حياة شعبنا، علماً أنها كانت تطبع بجهود كادر مقتدر واحد وهو (محمد زهدي) الذي كان يبذل جهوداً جبارة خلال ايام الاسبوع من اجل تنفيذ عمله المناط به، وقد كوفيء من قبل الشيخ بسخاء جراء نشاطه الدؤوب.

بلغ مجموع النسخ المطبوعة من العدد الاول لتلك الجريدة زهاء (١) نسخة، تم توزيعها في ارجاء العراق المختلفة وبضمنها العاصمة بغداد عبر (كفري)، وكان الاقبال عليها كبيراً وحقت مبيعاتها ايرادات طيبة استخدمت لتأمين مستلزمات المطبعة. ثم باشرت المطبعة بطبع الطوابع الرسمية الخاصة بحكومة الشيخ محمود بمختلف الفئات المالية وكان يقوم بتقطيعها وتنظيم حواشيها (الشيخ لطيف الساعاتي). وقد تركت الجريدة (ثوميدي استقلال) اثراً طيباً في النفوس، وتبعاً لذلك قرر الشيخ استقدام مطبعة اكبر من المانيا، لكن مساعي الانكليز حالت دون تحقيق ذلك.

واخيراً عادت الطائرات المعادية لتقصف السليمانية من جديد وتفاقت الاوضاع سوءاً هناك و من جرائها أضطر الشيخ وانصاره رجالاً ونساء الى ترك مدينتهم مجدداً صيف عام ١٩٢٤ والتوجه نحو المناطق الجبلية الحدودية، دون ان تسنح لهم الفرصة لاختذ المطبعة معهم هذه المرة.

وبهذا حلت نهاية جريدة (ثوميدي استقلال) ومعها انتهى الدور التاريخي المشهود للمطبعة المذكورة، حيث بدأت السلطات الحكومية بأصدار جريدة (ژبانه وه) اعتباراً من ١٨ آب ١٩٢٤م وبواسطة اجهزتها ومعدات الطباعة الحديثة.

احداث عتبة السراي في ٦ ايلول ١٩٣٠

قبل التطرق الى تفاصيل احداث عتبة السراي المؤلمة التي شهدتها السليمانية في أيلول ١٩٣٠ نذكر بأن الاجواء السائدة في المدينة وغيرها من مدن كوردستان حينذاك كانت تتسم بالسخط الجماهيري الشديد على

سياسات السلطات العراقية والبريطانية التي تنكرت لكافة المطالب والحقوق القومية للكلورد التي أقرها قرار عصبة الامم في شهر كانون الاول عام ١٩٢٥، وذلك رغم كل التعهدات والالتزامات المقدمة من المسؤولين العراقيين والانكليز بهذا الشأن. وبذلك خابت آمال الكلورد بحصولهم على حكمهم الذاتي الموعود وأقرار لغتهم القومية كلغة رسمية في وطنهم وغيرها من المطالب المشروعة التي وعدوا بها سابقاً.

وفي شهر آذار عام ١٩٣٠ وعقب فشل وزارة ناجي السويدي التي لم تدم طويلاً (استمرت ٤ أشهر) كلف نوري السعيد من قبل الملك فيصل الاول بتشكيل وزارة جديدة كان من مهامها الرئيسية توقيع المعاهدة الخاصة باستقلال العراق مع الحكومة البريطانية (معاهدة ٣ حزيران ١٩٣٠م) وأجراء انتخابات جديدة وتشكيل مجلس نواب جديد يصادق على بنود تلك المعاهدة التي خيبت آمال العراقيين جميعاً على اعتبار أنها قدمت تنازلات كبيرة لبريطانيا على حساب مصالح الشعب العراقي، لكن خيبة الشعب الكلوردي بتلك المعاهدة كانت أعظم لأن بنودها لم تشر الى ابسط حقوقهم الاساسية مطلقاً.

نعود الى صلب موضوعنا ونقول أن السليمانية الناقمة على الحكومة العراقية وبريطانيا اصلاً، بسبب احتلالها (أي السليمانية) مجدداً عام ١٩٢٤م وإنسحاب الشيخ محمود وأنصاره منها، كانت تعيش حالة شديدة من الهيجان تنذر بالتفجر في أي لحظة، فلم تنفع معها الاساليب المضللة التي لجأت اليها السلطات الى اتخاذها بغية تدارك الوضع المتأزم هناك.

لقد صمم أبناء السليمانية على مقاطعة انتخابات مجلس النواب المزمع إجراؤها في فترة اقصاها ١٠/٩/١٩٣٠، والاستمرار في مطالبتهم بتحقيق حقوقهم القومية التي اغفلتها معاهدة ٣٠ حزيران ١٩٣٠.

وعندما اقترب شهر ايلول أصبح حديث الانتخابات الشغل الشاغل لسكان السليمانية وتفاقت الامور اكثر عقب ابعاد متصرف اللواء (توفيق وهبي) عن المدينة وتسليم ادارة شؤون اللواء الى المفتش الاداري

الانكليزي.

وفي الخامس من ايلول عينت السلطات هيئة التفتيش المشرفة على سير الانتخابات التي تقرر اجراؤها في مبنى سراي الحكومة صبيحة اليوم التالي (السادس من ايلول)، ومنذ الصباح الباكر من ذلك اليوم اتخذت قوات الشرطة مواقعها حول المبنى بغية اجراء الانتخابات بسلام، لكن المظاهرات والاحتجاجات الجماهيرية الحاشدة حالت دون تحقيق ذلك. وقد ساهم الخطباء والشعراء في تأجيج حماس المواطنين ودفعهم الى عرقلة الانتخابات وتطويق عناصر السلطة الموجودين داخل السراي، وحيال ذلك الوضع تصدى لهم أفراد الشرطة الذين اطلقوا النار في الهواء بغية تخويفهم، لكن المحتجين انهلوا عليهم بالعصي والاحجار والأيدي، ثم تطورت الامور الى حوادث اطلاق نار متبادلة بين الطرفين، ففقدت قوات الشرطة سيطرتها على الموقف، وطلب المسؤولون تعزيزات عسكرية عاجلة، فقدم العشرات من الجنود المدججين بالاسلحة من خلف السراي واخذوا مواقعهم فوق أسطح البنايات المجاورة ثم راحت البنادق ومدافع (المتزلوز) الرشاشة تحصد أرواح المواطنين في مذبحة رهيبة. لكن تلك الفعلة الهمجية لم ترهب أبناء المدينة الذين تصدوا بشجاعة للمعتدين حتى مساء ذلك اليوم الدامي (المسمى بيوم ايلول الاسود).

لقد حاولت أجهزة السلطة التقليل من صدى نبأ المجزرة وعمدت الى تقديم أرقام ضئيلة عن حصيلة الخسائر وقدرتها بمقتل جندي واحد وأصابة ١٢ فرداً من الجنود والشرطة وأجملت خسائر المواطنين بـ ٣٦ شخصاً بين قتيل وجريح! والواقع كانت التضحيات كبيرة حيث ان عدد الشهداء من سكان السليمانية تجاوز ٥٠ شهيداً وبلغ عدد الجرحى مائتين.

كذلك القت السلطات القبض على عدد من شخصيات ووجهاء السليمانية المعروفين والذين حملتهم الحكومة مسؤولية الاحداث فأرسلتهم موقوفين الى كركوك ثم الى بغداد وهم ١- عزمي بك بابان ٢- الشيخ قادر الحفيد ٣- عبد الرحمن آغا احمد پاشا ٤- محمد صالح بك

٥- محمد عبدالرحمن آغا ٦- عزت بك ٧- فائق بك ٨- شيخ محمد
 جولاني ٩- مجيد أفندي ١٠- رمزي فتاح ١١- توفيق قزاز. وإضافة
 الى هؤلاء فقد القي القبض على عشرات غيرهم من أبناء المدينة. ثم
 أكلت الحكومة انتخاباتها المزيفة بعد فترة وجيزة من توقفها وذلك وفقاً
 لمشيئتها ولصالح مرشحها رغم المقاطعة الشعبية لها واحداث العنف
 التي ذكرناها.

اثارت المذبحة غضباً جماهيرياً واسعاً في جميع أرجاء العراق وتصدرت
 أخبارها الصحف العراقية والبريطانية على حد سواء، وتأجج في نفوس
 أبناء الكورد لهيب الغضب والانتقام من الجناة. كما أن الشيخ محمود
 الذي لجأ في وقت سابق الى الحدود الايرانية، عاد ليعلن ثورته من جديد
 على الاعداء ويتأثير الانباء المؤلمة التي وصلتته من السليمانية.

لقد شغلت احداث السادس من ايلول اهتمامات الكورد جميعاً
 وبالاخص الشعراء الذين خلد بعضهم من خلال قصائدهم الرائعة تضحيات
 وبطولات أبناء السليمانية وشجاعته في اليوم المذكور، ونذكر منهم
 گوران ويكه س والشيخ سلام وثه خول وغيرهم.

حكاية الاختفاء بجريدة ژين في السليمانية في عام ١٩٤٦

تعتبر جريدة (ژين)

الاسبوعية الصادرة في
 السليمانية طيلة الاعوام
 (١٩٣٩-١٩٦٣م) واحدة من
 الصحف المعمرة والبارزة في
 تاريخ الصحافة الكوردية
 والتي قدمت أسهامات كبيرة
 في مجال خدمة واغناء حياتنا
 الثقافية والفكرية والاجتماعية
 طويلاً ومواصلة النهج الصحفي



جريدة ژين

المتميز، الذي عرفت به سابقتها جريدة (ژين) على صعيد السليمانية وخارجها والتي عملت بعناد وأصرار خلال المدة (١٩٢٦-١٩٣٨م) رغم كل العراقيل والمعوقات التي اعترضت سبيلها.

ولعل من المناسب أن نشير ولو بإيجاز شديد الى مسيرة الجريدتين والظروف التي رافقت ظهورهما وعملهما الدؤوب فنذكر أولاً أن (ژيان) كانت جريدة سياسية وأدبية وأجتماعية رأت النور في ١٢ كانون الثاني ١٩٢٦م، وكانت تطبعها بلدية السليمانية ويرأس تحريرها المثقف المعروف (حسين ناظم) فيما أظطلع الشاعر الكبير (بيره ميرد) العائد الى السليمانية في اوائل ١٩٢٥ بعد غربيته الطويلة في تركيا، أظطلع بمهمة



بيره ميرد

الاشراف عليها. وعندما توفي حسين ناظم عام ١٩٣٢ ناب زميله (بيره ميرد) محله ثم تمكن عام ١٩٣٤ في استئجار مطبعة البلدية الحكومية ونيل أمتياز الجريدة (ژيان) أيضاً.

وبالنظر لاهمية وخطورة المهمة الصحفية والفكرية التي تكفلت بها (ژيان) في ظل صاحبها الامين (بيره ميرد) فان مسؤولي اللواء ناصبوهما العدااء وقرروا التصدي لهما باستمرار، وأخيراً رفضوا تجديد عقد (بيره ميرد)

بشأن استئجار مطبعة البلدية والذي

كان من شأنه اسكات صوت الجريدة نهائياً. لكنه (أي بيره ميرد) آثر مواصلة النضال فاستقدم مطبعة أخرى من بغداد ونصبها في السليمانية اعتمداً على امكاناته المادية المحدودة ورهن داره والديون التي حصل

عليها من معارفه، وبهذا عاودت (ژیان) نشاطها المعهود ومعاذتها لأعدائها فظهر العدد (٥٢٩) من الجريدة بحلتها الجديدة يوم ١٩٣٧/٩/٢ ومن جديد واصلت سلطات اللواء محاربتها للجريدة فقررت اغلاقها يوم ١٩٣٨/٣/١ بعد صدور العدد (٥٥٣) منها. ومن جانبه عاود (پیره میرد) العنيد الشجاع تحديه لاجراءات وأساليب المسؤولين وفي مقدمتهم متصرف اللواء مجيد اليعقوبي فسافر بهذا الشأن الى بغداد حيث افلح هناك بأصراره وحكمته وبمعاونة معارفه ومقربيه من المسؤولين والمثقفين من استحصال موافقة السلطات على معاودة نشاطه الصحفي ونيل امتياز جريدة جديدة بأسم (ژیان) ظهرت الى الوجود في السليمانية بتاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٩ وحافظت على نهج (ژیان) المعروف وتسلسل اعدادها فظهر العدد (٥٥٤) منها باعتبارها (أي ژین) مكمله لسابقتها، كما ان مطبعة (پیره میرد) أصبحت تعرف بدورها بأسم (ژیان) منذ ذلك التاريخ.

واجمالاً قدم پیره میرد من خلال جريدته ومطبعته ومسيرته الظافرة في ميدان الصحافة والطباعة مساهمات وطنية وقومية الى ابناء شعبه الكوردي والعراقي عموماً وبرع كثيراً في إغناء وتطوير ثقافتنا وآدابنا الكوردية بل ومجمل الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية في تلك الظروف والتي اغناها بإبداعاته الشخصية المتنوعة من الشعر والنثر والحكم والأمثال ونشر نتاجات غيره من الادباء والمثقفين الكورد الذين استقطبتهم على الدوام (ژیان) ثم (ژیان) ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر! جميل صائب وعبدالواحد نوري والشعراء احمد مختار الجاف وزبور وبیخود وبيكەس وقانع والمفتي الپنجوني وگۆران وغيرهم.

وفي عام ١٩٤٦ وتقديراً للدور الريادي المعروف الذي عرفت به (ژیان) على دأب سابقتها (ژیان)، وخلال مسيرتها الصحفية المظفرة التي اكملت عقدها الثاني في ذلك الوقت، اختير يوم ٢٦ كانون الثاني من ذلك العام للاحتفاء بالذكرى السنوية العشرين لجريدة (ژیان)، على

اعتبارها متممة لمشوار (ژیان) التي ظهرت عام ١٩٢٦ كما أسلفنا.
ففي العدد (٨١٧) من الجريدة الصادرة يوم ١٧ كانون الثاني ١٩٤٦
أي قبل أيام من موعد المناسبة، أبلغ پیره میرد ومن خلال مقطع شعري
معبر عن مكان وموعد الاحتفال الذي تقرر اقامته بالمناسبة في الساعة
الرابعة من عصر اليوم المذكور في دار الاستاذ فائق هوشيار.

كان الحفل المقام بالمناسبة، بهيجاً وقد حضره جمع كبير من الحضور
وبضمنهم عدد كبير من الوجهاء والشعراء والمثقفين يتقدمهم متصرف
اللواء الاستاذ المرحوم معروف چياوك. وقد بدأ الحفل بانشودة (هه ی
ژین) من كلمات پیره میرد واداء المغني المعروف (رهشول) مع الشاب
الصاعد محمود محمد وعلى انغام الفرقة الموسيقية للفنان بهجت رشيد
فتلتها كلمة المرحوم چياوك القيمة، ثم تتابعت فقرات الحفل الاخرى
وبضمنها تلاوة الرسالة المعبرة المرسله من قبل محمد امين زكي بگ والتي
تليت من قبل فائق هوشيار، وغيرها من الكلمات والقصائد التي ساهم
بها الشيخ محمد الخال والشعراء زيور ويتهكس والشيخ سلام الذي
ضمن عرضه الشيق لمسيرة (ژیان) و(ژین) الشاقة والدؤوبة بابيات
شعرية رائعة للغاية، هذا أضافة الى الفقرات الفنية التي تضمنها الحفل
والمتمثلة بالاغاني والمقامات التي ردها على ايقاع الموسيقى الفنانان
المذكوران.

وعموماً ساد الحفل الذي استمر طويلاً وتخلله توزيع المأكولات والشاي
والفواكه على الحاضرين، جو مفعم بالبشر والحبور والانشراح فيما بلغت
مظاهر الاحتفال أوجها في الساحة المقابلة لمكان الحفل، وعند مقهى
(پیره مه گرون) لصاحبه غفور الاسطة بكر، حيث اقام المحتشدون هناك
ولاسيما الشباب منهم دبكاتهم الفولكلورية على أصوات الطبل والزرنا
وأحضروا پیره میرد للمساهمة فيها وقيادة حلقاتها حيث كشف فيها
الشاعر الطاعن في السن عن روحه المرحه الشابة وعنقوانه المعهود رغم
سنوات عمره الطويلة.

وبعد أوقات عامرة بالافراح والمسرات أختتم الحفل بمثل ما استهل به على صدى نشيد (ههـى ژين) مجدداً. كما شهدت الايام التالية ورود العديد من رسائل التهئة المتضمنة شعراً ونشراً والتي عبر فيها مرسلوها عن تمنياتهم وتهانيهم بالمناسبة واعتذارهم عن الحضور للسليمانية بسبب شيخوختهم ومرضهم وبرودة الطقس ونذكر منهم: الشاعر الكبير علي كمال باپير، اما الشاعر قانع فقد ضمن قصيدته المرسله من ربوع بينجوين عتابه اللطيف المؤثر الى عزيزته (ژين) بسبب عدم تلقيه منها رسالة دعوة لحضور المناسبة أسوة بالباقيين!

بقي ذكره أن (ژين) وصاحبها ظلا ملتزمين بنهجهما الوطني والقومي الرصين ورسالتهم الصحفية السديدة في مجال خدمة قضايا شعبنا العادلة وتراثنا وحضارتنا وثقافتنا الكوردية العريقة حتى رحيل پيره ميرد عن الدنيا في ١٩/٦/١٩٥٠ ودفنه في أحضان تلة (مامه ياره) الاثيرة لديه بناء على وصيته التي حث فيها أهله وشعبه على طلب العلم والمعارف وخدمة وطنهم وأمتهم والتمسك بالايان والاخلاق الكريمة، كما شدد فيها أيضاً على ضرورة الاحتفاظ بمطبعتة وجريدته وديمومة وظيفتهما من بعده.

ثم ترأس جميل صائب تحرير الجريدة عقب وفاة پيره ميرد لكن القدر المحتوم لم يمهله طويلاً في مهمته حيث توفي في ١٣ تشرين الاول ١٩٥١ وحل محله المحامي نوري أمين محمود ومنه استلم المهمة أحمد زرننگ ابتداء من العدد (٦ ١١م) ولم يمض وقت طويل على ذلك حتى أصبحت الجريدة (بتاريخ ٦ تشرين الثاني ١٩٥٣م) في رعاية وأشرف الشاعر الكبير گوران وعاونه في مهمته نوري أمين محمود فواصلت (ژين) مشوارها في سفر صحافتنا الكوردية وظلت أمينة لنهج مؤسسها وصاحبها حتى انقضاء عهدها المشرق الطويل.

السليمانية واستذكارات تشييع جثمان الشيخ محمود (١٩٥٦م)

اشتدت وطأة المرض على الشيخ محمود الحفيد في أيامه الاخيرة فنقل من قريته (دارى كهلى) الى بغداد لغرض العلاج، فشاعت مشيئة الرحمان ان يفارق الحياة هناك ليلة ٩ / ١ / ١٩٥٦ في مستشفى الحيدرية التي كان يعالج فيها

وفي صبيحة اليوم التالي اعلنت الاذاعة العراقية النبأ الأليم عبر الأثير فاحتشدت الجموع الغفيرة من سكان العاصمة حول المستشفى اعراباً عن الحزن والاسى برحيل الشيخ المجاهد. وفي الساعة التاسعة والنصف (صباحاً) سير نعش الشيخ صوب السليمانية يرافقه موكب من السيارات، وكان ضمن الموكب عدد من الشخصيات المعروفة أمثال: رفيق حلمي، علاء الدين السجادي، ابراهيم حامي وغيرهم.

كانت الجماهير الغفيرة قد أصطفت على جانبي الطريق العام بين بغداد وكركوك بقصد توديع جنازة الراحل الكبير، ففي بلدة طوزخورماتو كان قائم مقام القضاء برهان الجاف على رأس المحتشدين للاحتفاء بالجنازة المهيبة، كما حذا حذوه في كركوك متصرف اللواء الذي تقدم الالوف من ابناء المدينة الذين هبوا لتوديع شيخهم وزعيمهم، الوداع الاخير.

ثم سار موكب النعش باتجاه مدينة السليمانية فبلغ مشارفها في الساعة السابعة مساءً حيث خرج لاستقباله هناك طابور طويل من السيارات ضم حوالي ٥ سيارة، فيما غصت المدينة نفسها بعشرات الالوف من ابنائها كباراً وصغاراً وقد أستبد بهم البكاء والنحيب حزناً على رحيل شيخهم وابن مدينتهم البار الذي نذر حياته من اجلهم جميعاً. وكان بين الحشود ايضاً عدة وفود من مختلف أرجاء كردستان وصلت المدينة للمساهمة في تشييع الفقيد الكبير.

لم يكن متصرف اللواء (عمر علي) بين الحاضرين في تلك الاثناء وذلك بسبب وجوده في بغداد، فناب محله في حضور المراسيم وكيله

صائب فوزي الذي كان ينتظر مع وجهاء وكبار مسؤولي اللواء ، أمام الجامع الكبير حيث كان مقرراً وصول الموكب.

وفجأة تأزمت الاوضاع في السليمانية وحدث ما لم يكن في الحسبان اذ حملت الحشود النعش وتوجهت به صوب مبنى سجن السليمانية الذي كان يحبس فيه الشيخ لطيف (نجل الفقيه) ، وذلك بهدف اتاحة الفرصة له لالقاء نظرة الوداع على والده الراحل، فانهمرت من جهة مبنى سراي الحكومة المجاورة زخات الرصاص التي اطلقها افراد الشرطة على المحتشدين حول مبنى السجن الذي كان مديره يستغيث ويستنجد بالمسؤولين عبر الهاتف محذراً من اقتحامه من قبل الجماهير.

أضطر وكيل المتصرف الى التوجه فوراً نحو مصدر اطلاق النار في السراي الذي تحصن فيه أفراد الشرطة، ولان المنافذ كانت موصدة فإنه نفذ الى داخل المبنى من الخلف بعد ان صعد على ظهر واحد (أو اثنين) من الحضور فجرد الشرطة من اسلحتهم ثم اتجه عاجلاً الى مبنى السجن وتمكن من اقناع المحتشدين بنقل النعش الى الجامع الكبير وكما كان مقرراً.

وأخيراً اسجي جثمان الشيخ محمود داخل مرقد جده الكبير الشيخ كاك احمد الشيخ الكائن عند الجامع الكبير استعداداً لدفنه. فرأى الكثيرون أنه من الحكمة اجراء الدفن فوراً تفادياً لحدوث المزيد من المشاكل بعد ان أودت أحداث تلك الليلة بحياة اثنين (شاب وسيدة) وتسببت في جرح ٤٠ شخصاً؛ لكن الشيخ قادر شقيق الشيخ محمود واقاربه رفضوا المقترح قائلين؛ أن السليمانية لم تألف ابدأ دفن موتاهها ليلاً! الا ان المبررات والحجج التي اوردها البعض وفي مقدمتهم الاستاذ علاء الدين السجادي أقنعت اقارب الشيخ على قبول المقترح وذلك بسبب خطورة الوضع واحتمال تكرار ما حدث قبل فترة وجيزة وماتعقبه من نتائج وخيمة.

وبقصد تفريق الجموع، أعلن بأن الدفن سيتم غداً؛ وغادر الكثيرون الجامع، ثم اوعز السجادي باغلاق البابين الرئيسيين للجامع والمباشرة

بإجراءات الدفن داخل حرم الضريح المبارك فوراً، حيث وري الجثمان الطاهر الشرى هناك في الساعة الحادية عشرة ليلاً!

عندما علم (عمر علي) في بغداد بخبر نقل جنازة الشيخ الى السليمانية، قرر العودة مساءً الى هناك على عجل، ولما علم في الطريق بتفاصيل الاحداث التي شهدتها السليمانية؛ عقد العزم على اتخاذ اجراءات رادعة بحق المتظاهرين وأطلاق النار عليهم بلا تردد.

ما أن وصل عمر علي السليمانية في صباح اليوم التالي لأحداث الأمس الفائت حتى أصدر أوامره بمنع التجول ليلاً من الساعة السادسة مساءً وحتى السادسة صباحاً، فانتشرت المصفحات وقوات الشرطة المسلحة في الشوارع، وحذر خطباء الجوامع من التلفظ بأسم الشيخ في خطبهم ومواعظهم تفادياً لاثارة الناس وصرح ايضاً؛ أن الموت مصير الجميع ولا موجب لكل هذا الحزن على وفاة الشيخ!

ثم أوعز بتوقيف ٥٢ شخصاً بسبب الاحداث الفائتة وحاول أيضاً حبس بعض الاشخاص الذين رافقوا جنازة الشيخ من بغداد الى السليمانية إلا أنه لم يفلح في ذلك، كما منع تداول صحيفة (ژين) التي أبرزت نبأ رحيل الشيخ ونعياه، فعاقب محرريها بسبب ذلك، لكن الصحيفة وصلت الى أيدي قرائها عسراً.

كان مجلس العزاء الذي أقيم في الجامع الكبير مهيباً للغاية وقد استغرق ثلاثة أيام وكان يبدأ من الصباح وحتى الساعة الخامسة عسراً، في حين كانت اجراءات منع التجول التي أصدرها المتصرف سارية المفعول ليلاً.

وبعد انقضاء مراسيم العزاء بدأت حشود المعزين الوافدين من خارج السليمانية بالعودة الى أماكنها، فيما عادت الامور الى طبيعتها الظاهرة داخل المدينة شيئاً فشيئاً. وهكذا عاش شيخنا عظيماً ومات عظيماً... وسيظل يرقد في طمأنينة وسلام داخل مرقده المبارك في ربوع السليمانية مدينة الثورات والتضحيات.

نساء خالدات... في ذاكرة الكورد

خلدت ذاكرة الكورد أسماء نخبة لامعة من نسايم المايدات النابتات المروفات بسجاياهن وخالهن الرفيعة في الحياة ومواقفهن واسهاماتهن القومية والوطنية والانسانية المشهودة ومآثرهن وابداعاتهن الخالدة التي اغنين بها سفر أمتهن وشعبهن كثيراً، فأستحقن التخليد والثناء والاعجاب وصرن مبعث فخر واعتزاز خلفهن الصالح.

وإذ تتحدث المصادر والمراجع التاريخية المدونة والمتيسرة بين أيدينا الآن عن عدد من افراد تلك النخبة المتألقة من نساء أمتنا الخالدات، لما عرفن به من مؤهلات وابداعات شتى في عهودهن، فأن المؤكد هو إن هناك الكثيرات غيرهن من مثيلاتهن البارعات اللواتي أغفلهن وظلمهن التاريخ، فحرمنا بذلك من فرصة الاطلاع على اخبارهن المدونة والموثقة بحيث إن حدود معلوماتنا الحالية عنهن لاتتعدى في أغلب الاحوال نطاق بعض الحكايات والاستذكارات المنقولة عنهن عبر الشفاه، جيلا بعد جيل، ومع ذلك فأن المتأمل لبعض المراجع والكتب التاريخية المتوفرة عندنا الآن بامكانه الوقوف على نتف وشذرات وردت فيها عرضاً (في تلك المراجع) حول مواقف ومبادرات مشهودة لنساء كورديات غابت اسماءهن عن الكثيرين رغم تألفهن سابقاً، وهذه النتف جديرة بالاهتمام والتمعن ومن المفيد جمعها وتدوينها في مؤلف خاص سيكون بالتأكيد اضافة مفيدة جداً للمكتبة الكوردية التي تعاني فقراً في هذا المجال، ويشكل ذلك في الوقت نفسه عرفاناً وتذكيراً بحق نساء جديرات بالتكريم والتخليد في

ذاكرة الجيل الحالي من أبناء امتنا .

ويقينا، إن عطاءات ومفاخر ومآثر أمتنا المختلفة، شأنها شأن الامم المبدعة والأصيلة الأخرى، لم تكن حكراً على قادتنا ومبدعينا من ساداتنا الكرام وحدهم، بل كان لنساننا دورهن المتميز والفاعل في تحقيق مجدنا القومي والوطني وعطائنا الحضاري الشر. ونعرض هنا على سبيل المثال لا الحصر أسماء بعضهن والمجالات التي أبدعن ونبغن فيها مثل الأميرة دولت خان التي حكمت إمارة لرستان الصغرى (عام ٧١٦هـ) خلفاً لزوجها الراحل الأمير عزالدين محمد وخانزاد أميرة سوران البارعة التي تولت مقاليد حكم الامارة عقب اغتيال زوجها الامير سليمان في مكيدة غادرة ببغداد وأيضاً؛ وليه خانم التي حكمت الامارة الاردلانية بعد وفاة زوجها الأمير خسرو خان عام ١٨٦٥ قدم خير الأميرة الفيلية الشائرة على مظالم رضا شاه البهلوي بحق اهلها وقومها، عادلة خانم (١٨٥٩- ١٩٢٤م) زوجة عثمان پاشا الجاف و صاحبة الانجازات الحضرية والعمرائية الكبرى في حلبجة والسيدات الجليلات سليلات أسرة الايوبي النابغة أمثال؛ عصمة الايوبي بنت الأمير عبدالحالق بن صلاح الدين الايوبي التي شيدت أربع مدارس في بغداد اكبرها في شرق الاعظمية شيدتها سنة ٦٧١هـ ومكتبة كبيرة زالت عام ٧٢٥هـ بفعل فيضان مدمر ضرب بغداد، مؤنسة خاتون، عذراء خاتون، زهرة خاتون، صفية خاتون، فاطمة خاتون، ربيعة خاتون وسائر سيدات تلك الأسرة المرموقة ممن اشتهرن في مجال البر والاحسان وانشاء ورعاية دور العلم والعبادة في دمشق وحلب وحماه وغيرها، وحفصه خان النقيب سيدة كوردستان الاولى في عهدها والمعروفة بسجاياها الحميدة وأخلاصها القومي والوطني ومبادراتها واسهاماتها الاجتماعية والخيرية السخية في السلطانية ومحيطها، ونهه خان عقيلة صالح خان الدلو ووالدة الشائر ابراهيم خان الدلو تلك السيدة الشجاعة التي قدمت يوماً من قربتها صوب كفري لتسحب جثتي ابنها الشهيدين كمرو حسين اللذين سقطا مع بعض

رفاقهما اثناء انتفاضتهم التي قادها كمرضد المسؤولين العثمانيين ومظالمهم عام ١٨٩٥م، فوقفت نهه خان على جثتي ولديها الشهيدين المرميتين في العراء ثم عانقهما وصلت عليهما بخشوع دون ان تذرف دمعة واحدة عليهما كي لايتشفى الاعداء بمصابها ثم نقلتهما بكل مظاهر التحدي والشموخ لتدفنهما عند قريتهم شرقي كفري، وحبيبه خان بنت كريم بك الجاف الام الحنون والسيدة الشهمة النبيلة على صعيد اسرتها البكرادة وقبيلتها الكبيرة وكل أرجاء گهرميان الواسعة التي شهدت عطاءات تلك السيدة الفاضلة المعروفة بسجايهاها وقيمها ومبادراتها القومية والاجتماعية والقبيلية الاصلية، وكذلك الثائرة المعروفة باسم فتاة نهغهده (نهغهده بلدة كوردستانية ايرانية) وهي من مناضلات جمهورية كوردستان في مهاباد وحماتها، وقد قاتلت بعد انهيار تلك الجمهورية الفتية قتال الابطال جنبا الى جنب رفاقها وتعرضت مع بعض منهم بعد سجنهم الى شتى صنوف التعذيب والتنكيل فسمّل الجلادون عينيها واذاقوها مر العذاب قبل ان تسلم روحها الطاهرة فداء لوطنها الكوردستاني العزيز، والمقاتلة الشجاعة شاناز بنت مولانا يعقوب الاردلاني التي قادت خمسمائة مقاتلة من رفيقاتها في الهجوم على معسكر اعدائهن القزلباش فدحرنهم في ليلة عاصفة ممطرة ومظلمة وبعد ملحمة بطولية رائعة ابلت فيها تلك الفتيات بلاء منقطع النظير، وفاطمة قرة (او قره فاطم) التي اشتهرت وبرعت كمحاربة جسورة في كوردستان تركيا أبان الحرب بين بلادها تركيا وروسيا القيصرية عام ١٨٧٧م، وليلى قاسم ابنة الوند وعروسة كوردستان التي اعتلت منصة الاعداء صبيحة يوم ١٣/٥/١٩٧٤م انيقة، باسمه، متجلدة ومرفوعة الهامة غير آبهة بالموت في سبيل الكورد وكوردستان ومسيرة البارزاني الخالد.

اما على صعيد الثقافة والادب والشعر والفن فنكتفي بذكر الشاعرة والمؤرخة والكاتبة النابغة ماه شرفخانم (مه ستوره الكوردستانية) والكاتبة والشاعرة اللامعة عائشة التيمورية (١٨٤٠-١٩٠٣م) رائدة النهضة

الادبية النسوية واحدى الشخصيات النسائية الباهرة في تاريخ مصر الحديث والشاعرة ناته خان من السليمانية وشاعرتي كويسنجق حزينة وحليمة والسيدة الجليلة رهوشن بدرخان التي سعت بدأب واخلاص في سبيل خدمة الادب والثقافة الكوردية واذكاء الروح القومية الخالصة، ورائدات فننا الغنائي الاصيل ليلى بدرخان ومريم خان وعائشة شان وغيرهن لا مجال لذكرهن. وسنتطرق في سياق هذا العرض وبشيء من التفصيل، الى ما هو متيسر لدينا من اخبار ومعلومات بشأن سير وعطاءات خمس سيدات ممن ورد ذكرهن، وبحسب اسبقية عهودهن الزمنية التي عشن فيها.

ماه شرفخانم



ولدت السيدة الجليلة والشاعرة والمؤرخة والكاتبة اللامعة ماه شرفخانم المعروفة كثيراً بلقبها الذائع (مه ستوره الكوردستانية) في عام ١٢٢ هـ بمدينة سنه / سنج عاصمة إمارة اردلان الكوردستانية المزدهرة وتوفيت ودفنت فيها في حدود ١٢٦٣/١٢٦٤ هـ وعن عمر قارب ٤٤ عاماً، وهي من اشراف سيدات كوردستان المعرفات بالكفاءة

ماه شرفخانم

والابداع والتألق وابنة ابي الحسن بك محمد أغا ناظر الكوردستاني من قبيلة

القادري، وكان جدها مدير خزينة إمارة اردلان واحد وجهائها البارزين، اما زوجها الامير خسروخان الملقب بخسرو ناکام فقد تولى ولاية الامارة المذكورة سنة ١٨٢٤م وعرف بكونه شاعراً ايضاً.

عرفت مه ستوره الكوردستانية اضافة الى نبوغها في دنيا الشعر والادب والتاريخ، بكونها سيدة ورعة رفيعة الشرف وعلى قدر كبير من

العفة والحياء، وأمتازت بخطها الجميل المثير للاعجاب فجمعت في شخصيتها الجذابة بين الاصاله والنبل والنبوغ وتعدد المواهب والاهتمامات.

نظمت مهستوره الكوردستانية خلال حياتها الابداعية ٢٠ ألف بيت من الشعر الفارسي الجميل، لكن المؤسف ان ديوانها الشعري الذي ضم كل تلك الاشعار، قد ضاع واختفى في خضم الفوضى والصراعات الدائرة في موطنها... الى أن وفق العلامة الكبير الحاج الشيخ يحيى معرفة وبعد جهد جهيد من جمع ألفي بيت شعر من قصائدها الغزلية وطبعها في سنة (١٣٤٠ حسب التقويم الايراني) لدى مطبعة (شوروي) بطهران وتحت عنوان: ديوان ماه شرفخانم الكوردستانية.

وإضافه الى أشعارها الذائعة فأن مهستوره الفت كتابها القيم (ميژوي كوردستان - تاريخ كوردستان) وكتاباً دينياً في موضوع العقيدة والشرع اكد على تقوى صاحبته وتعمقها في العلوم الدينية الاسلامية، حيث أنها اكملت واتقنت دراسة العلوم الاثني عشر المؤلفه من العلوم الدينية الاسلامية وعلوم اللغة العربية التي كان طلاب الدين يدرسونها ويتعمقون فيها وينالون بها شهاداتهم العلمية - اجازاتهم الدراسية - فصارت (اي مهستوره) صاحبة ١٢ علماً، جدير بالذكر ان تسمية الملا صاحب ١٢ علماً ما تزال شائعة عندنا وتعني العالم الديني - الملا - الكامل والضليع الذي ارتقى الدرجات الدينية العالية.

أما عن حكاية اقتران (مهستوره) بزوجها خسروخان فيفيد كتاب تاريخ كوردستان او تاريخ امراء اردلان، ان المذكور (خسرو) قد غضب على والد مهستوره وعمها ذات يوم ثم صفح عنهما وتزوج منها ابتغاءً لمصالحتهما وترضيتهما وتطيب خاطرهما (أي والدها وعمها)، فتنعم معها بحياة زوجية عامرة بالود والتقدير المتبادلين بينهما، إذ دأب الزوجان على مدح وثناء بعضهما البعض في العديد من منظوماتها الشعرية الفارسية.

بقي ذكره إن مهستوره عاصرت الشاعر الخالد نالي (١٧٩٧ - ١٨٥٥م) الذي نظم بحقها قصيدته الغزلية المكشوفة الشهيرة التي اثارت الكثير من الجدل وماتزال، فاتخذ منها البعض ذريعة للتهجم على صاحبها (نالي) والنيل منه. والواقع انه ليس واضحاً السبب الحقيقي الذي دفع بنالي لاتخاذ الموقف المذكور من مهستوره، وربما كان الامر برمته مجرد نزوة طارئة او رد فعل شديد خلال فترة شبابه على موقف اثاره كثيراً، والمرجح أن تكون القصيدة تلك قد قيلت وقت كان نالي طالب علم في سنه/ ستندج.

خانزاد

عاشت الأميرة خانزاد بنت حسن بگ خلال الفترة (١٥٥٥ - ١٦١٥م)،



خانزاد

وهي زوجة الامير (سليمان) حاكم إمارة سوران المعروفة، وقد تقلدت الحكم بعد حادث مصرع زوجها غدرًا، حيث تذكر المعلومات التاريخية انه - اي الامير سليمان - اختلف مع سلطات الحكم العثماني في بغداد حول ادارة شؤون امارته المذكورة، ولغرض معالجة ذلك الوضع وتسوية الامور بين الجانبين توجه الى بغداد، فالتقى القبض عليه هناك واودع السجن في مكيدة مدبرة وقتل مسموماً. ولما علمت زوجته النابغة خانزاد

بذلك قررت تقلد مقاليد الحكم وشغل مكان زوجها المغدور ومعاودة العثمانيين والمحافظة على وحدة وهيبة وازدهار إمارتها التي نقلت عاصمتها الى حدود بلدة حرير الحالية حيث شيدت قلعة (كهلهسو) على جبل حرير لحماية حكمها من هجمات البابانيين.

حافظت خانزاد إبان فترة حكمها على استقلال إمارتها من سيطرة

خصومها العثمانيين غير معترفة بحكمهم اطلاقاً، وخدمت رعيتهما بكل تفان وإخلاص محققة اصلاحات عدة وانجازات عمرانية مختلفة فشيدت المساجد والمدارس والقلاع والقصور والطرق والقناطر، وماتزال بعض قلاعها القديمة شاخصة عند قصبتي حرير وباطاس المجاورتين وهي تتحدى جبروت الزمن وتشهد على عهد الاميرة خانزاد الزاهر الغابر.

أصفت خانزاد بكونها سيدة جذابة رائعة الجمال وممشوقة القوام فضلاً عن شجاعتها النادرة التي اكدتها الاحداث والوقائع التي عاشتها، اذ انها دابت على ارتداء زي الرجال وتبوأ مقدمة مقاتليها في معمعان المعارك واتون الشدائد. كما عرفت ايضاً بحنكتها وبأسها وحسن إدارتها لشؤون الحكم وتفقد احوال مواطنيها وإشاعة العدل والامن والاستقرار بينهم. فكثيراً ماكانت الاميرة تجوب بزي الرجال ومعها حراسها، ازقة وطرقات عاصمة إمارتها ليلاً للاطلاع على احوال الرعية وظروف عيشتهم والاستماع الى شكاويهم ومظالمهم عن قرب وتلبية حاجات الفقراء والمعدمين منهم بشكل خاص، لكن ذلك العهد الزاهر والمشرق من حكم امارة سوران لم يعمر طويلاً إذ ان رحيل أميرتها البارعة عن الدنيا كان إيذاناً بافول بريق مجدها السابق فدب فيها الضعف والتدهور في ظل أمرانها وقادتها الذين لم يحسنوا ادارة شؤون إمارتهم والمحافظة على مآثر أميرتهم الراحلة، فاستغلت السلطات العثمانية ذلك الوضع سريعاً وارسلت جيشاً كبيراً باتجاه حرير للقضاء على امارة سوران واخضاعها دون عناء، وبذلك حانت نهاية إمارة سوران ومجدها الباهر وطويت تلك الصفحة المشرقة من حكم اميرتها الشهمة المقدمة (خانزاد) التي خلدها التاريخ باعتبارها واحدة من اشهر وابرع سيدات الكورد في سفر هذه الامة وضمائر واذهان ابنائها الاوفياء.

قدم خير

قتل رضا شاه البهلوي الأمير شا مراد خان، آخر امراء إمارة اللر الصغرى غيلة وغدراً عام ١٩٢٥م، فانتفضت أخته الاميرة الفيلية



قدم خير

الجسورة قدم خير انتقاماً له، حاملة لواء الثورة والتسرد، فوفقت في فترة وجيزة من جمع عدد كبير من المقاتلين حولها وعزمت على تحرير أرضها وشعبها من حياة الذل والاضطهاد السائدة عهدذاك، فأرسلت بهذا الخصوص رسالة الى الشيخ محمود الحفيد عارضة عليه توحيد جهودهما بهدف تخليص الكورد من مظالم واحتلال الاجنبي، فقد جاء في نص الرسالة أنها تحارب في كوردستان ايران التعسف

والاستبداد وترفض الخضوع لنير العبودية وان تتحول بلادها الى لقمة سائغة للاعداء. كما اوضحت للشيخ ان شقيقها قتل ظلماً وغدراً، فدعته الى توحيد قواتهما وامكاناتهما المتاحة في جبهة واحدة من اجل تحريرهما المشترك في العراق وايران مؤكدة في نفس الوقت استعدادها التام لوضع كل امكاناتها المتوفرة من الرجال والاسلحة والاعتدة تحت تصرف الشيخ الحفيد، وبحسب قولها في الرسالة فان تلك الامكانات والتجهيزات كانت تكفيهما لمدة عامين. بيد ان الشيخ الحفيد لم يعط رسالتها اذنأ صاغية ولم يلب دعوتها المخلصة ظناً منه ان اعوانه وانصاره في كوردستان العراق سوف يبتعدون عنه في حال حصول اتفاق كهذا بينهما لزعمهم ربما أن زعيمهم تركهم وفرط بهم من اجل أموال وثروات أميرة موسرة!

وفي تلك الاثناء بعث رضا شاه البهلوي برسالة الى الاميرة الشائرة عارضا عليها الزواج وذلك بهدف التأثير عليها واقناعها بالعدول عن موقفها المعادي له وبالتالي القضاء على انتفاضتها الباسلة ضمن لرستان الصغرى، وبحسب بعض المعلومات المطلعة فإن قدم خير ردت على رضا شاه برسالة جوابية مقتضبة قائلة فيها: أنني لست امرأة حتى اتزوج، بل انت امرأة!!

ولما تسلم الشاه المذكور هذا الرد المهين والقاسي، جهز جيشاً كبيراً وارسله عاجلاً إلى حدود ولاية البر الصغرى للقضاء على انتفاضتها، فأحدث هناك القتل والنهب والخراب بينما استمر الثوار الفيلينيون الشجعان من جانبهم بمقاومة الغزاة الفرس والدفاع ببسالة عن أرض وطنهم طويلاً بيد أن كفة الصراع مالت أخيراً لصالح الغزاة فأنهات انتفاضة نتيجة لمجملته من الأسباب والظروف الموضوعية وفي مقدمتها انشقاق بعض الثوار الفيلينيون الذين غررت بهم حكومة الشاه فأنسحبوا من صفوف أخوتهم الثوار في ظرف عريض، هذا فضلاً عن حصول نقص كبير في الأسلحة والعتدة لدى الثوار وامتناع العشائر الكردية المجاورة عن إمدادهم بتلك المستلزمات الحربية ورفضهم بالمقاتلين، كذلك كان لمرسوم العفو العام الذي أصدره الشاه عن الثوار أثره البين في أضعاف الانتفاضة وبالتالي إخمادها.

كما كتب رضا شاه المخادع والمراوغ رسالة إلى قائدة الانتفاضة قدم خير، أرسلها مع نسخة من القرآن الكريم كهدية إليها، لتقتنع بان العفو العام المذكور صادر عن نية صادقة لاشائبة فيها ويكون المصحف الشريف المرسل إليها شاهداً على ذلك. فاقتنع معظم الثوار بما أعلنه الشاه وسلموا أنفسهم بمن فيهم زعيمهم إلى إزلام الشاه وقواته فنفذ حكم الإعدام شنقاً بأغلب قادة الانتفاضة، فتفيد معلومة بهذا الصدد أن عدد القادة النابغين الذين أعدمتهم سلطات الشاه في ذلك الطرف بلغ ١٧ قائداً، أما قدم خير نفسها فأنها بعد استسلامها لقائد قوات الشاه، أرسلت إلى طهران، فلم يقتلها رضا شاه بل تعمد إيداعها السجن لتعاني العذاب والالام في زنزانتها، لكنها ظلت صامدة شامخة دون أن تفكر لحظة في طلب العفو والنجاة كما وعدّها الشاه، إلى أن فارقت الحياة عزيزة أبية ومرفوعة الرأس، فالتحقت بركب الخالدين في سجل نضالنا القومي والوطني المشرف.

حفصة خان النقيب

هي شخصية كوردية عالية الشأن في المجتمع الكوردي المعاصر، ولدت في مدينة السليمانية عام ١٨٨١م حيث نشأت ونبتت في ظل اسرتها



الدينية المهيبة، فقد كان والدها الشيخ معروف النقيب حفيد الحاج كاك احمد الشيخ شخصية دينية واجتماعية مرموقة وسيدا معززا لدى المسؤولين العثمانيين الذين منحوه لقب (النقيب) الذي اقترن بأسمه واسماء افراد أسرته من بعده.

وعلى داب والدها الجليل اتسمت حفصة خان بصفات حميدة كالشجاعة والجود وطيبة القلب و حلاوة اللسان وسائر

حفصة خان

السجايا الحميدة الاخرى التي جعلت منها سيدة عصرها الاولى على صعيد

السليمانية وكوردستان. كما صار مضيفها الواسع ملاذ نساء عصرها اللواتي كن يلجأن اليها بقصد معالجة مشاكلهن الاجتماعية ومصاعب حياتهن اليومية فصار مجلسها بمثابة محل قضاء لحسم قضاياهن وتأمين حقوقهن وتذليل معوقاتهن الحياتية. وفضلاً عن ذلك بذلت حفصة خان جهوداً حثيثة في مجال تعليم وتثقيف نسوة عصرها وساهمت مساهمة فاعلة في ارساء دعائم اول مدرسة كوردية خاصة بتعليم المرأة في تاريخ امتنا، وكانت هي نفسها من طلبتها والمبادرة باهداء دار شخصية لها لتستغل كبناء لتلك المدرسة الرائدة.

اجملاً برعت حفصة خان في مجال اسهاماتها ومبادراتها الخيرية المتعددة التي كرستها لخدمة شعبها وامتها فنشير هنا الى دورها المتميز ضمن اللجنة النسوية التي تشكلت في السليمانية اوائل عام ١٩٤٢م بهدف جمع التبرعات لصالح المحتاجين والمعوزين الذين انهكتهم تبعات

وظروف الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) وكما اسلفنا

لم تقتصر ابداعات وعطاءات حفصه خان على المجالات التي ذكرناها ، بل ان قضايا النصال الوطني والقومي شغلت ايضاً اهتمامها كثيراً ، اذ أنها وقفت موقفاً نضالياً مشرفاً من انتفاضات ابن عمها الشيخ محمود الحفيد وتعرضت مع زوجها الشيخ قادر الحفيد (ابن عمها) واقاربها الى الكثير من المعاناة والمصاعب جراء الاخفاقات التي تعرض لها الشيخ محمود ولاسيما في أعقاب انتكاسة انتفاضته الاولى وأسره ثم نفيه الى الهند آنذاك حيث عانت حفصه خان وأسوة باقارب الشيخ الحفيد ومقريه من ظروف التشرد وضنك العيش داخل الحدود الايرانية رغم الالتفاتة الودية التي خصها بهم هناك المخلصون الغيارى من رجال العشائر الكوردية الايرانية.

كما وجهت حفصه خان رسائل ونداءات عدة الى احرار العالم للوقوف مع حقوق وتطلعات شعبها الكوردي المظلوم وبضمنها رسالتها الهامة الموجهة الى عصبة الامم عام ١٩٣٠م بشأن تلبية المطالب القومية العادلة للكورد والتي تنكرت لها الحكومة العراقية وحليفاتها بريطانيا . ثم سلكت فيما بعد موقفاً قومياً مشرفاً من جمهورية كوردستان (مهباد - عام ١٩٤٦) التي ايدتها وساندتها باخلاص منذ ميلادها فأثنى عليها الزعيم قاضي محمد بسبب ذلك وأعرب لها من خلال رسالته الودية الموجهة اليها ، عن خالص الوفاء والامتنان.

كما خصت حفصه خان زوارها وضيوفها القادمين اليها من مختلف ارجاء كوردستان والعراق ودول الجوار وأوروبا بالترحاب والرعاية والحفاوة وبضمنهم عدد من المستشرقين الذين قصدوها للاستفادة من معرفتها وخبرتها باحوال وشؤون المنطقة.

والواقع أن حفصه خان كرست جل عمرها من أجل مثلها ومبادئها العليا وقيمها النبيلة التي آمنت بها وعملت من أجلها بأخلاص طويلاً وضحت في سبيلها بالكثير من طاقاتها وممتلكاتها ، وظلت حتى نهاية

عمرها الخير المبارك نصيرة الفقراء والمحتاجين والغرباء وعابري السبيل الذين اغدقت عليهم بسخائها المعهود وشملتهم بالطف والود. ونستذكر هنا موقفها الانساني النبيل من السجناء البصريين القابعين في سجن السليمانية الذين طلبوا منها مساعدتهم في ذلك الظرف الصعب المحيط بهم وهم غرباء ويبعدون بمئات الكيلومترات عن اهلهم، فبادرت حفصة خان وعلى دأبها المعروف، بتلبية طلبهم ورعايتهم طيلة وجودهم في السليمانية عهدئذ. وجاء في نص رسالتها الموجهة اليهم بهذا الشأن: «اعتبروا انفسكم ضيوفا طيلة وجودكم في السليمانية واطلبوا مني ما يطلبه الابناء من امهاتهم وانني هنا بمثابة أمكم الى أن تقر عيونكم بلقاء امهاتكم».

هكذا عاشت حفصة خان دائبة على الخير والعطاء والمواقف الوطنية والانسانية الرفيعة الى أن توفيت باجلها المحتوم من جراء مرض السرطان بتاريخ ١٥ نيسان عام ١٩٥٣م ووري جثمانها الطاهر الثرى في مقبرة (سه يوان) المطلة على السليمانية بمهابة قبالة سفوح غويضة وأزمر الخلاصة.

حبيبته خان بنت كريم بك الجاف

واخيراً نتوجه الى ربوع گهرميان الدافئة فننوقف عند كلار القديمة



حبيبته خان

لنتعرف على سيرة موجزة لاحدى سيدات بگزادة الجاف المشهود لهن بالكفاءة والابداع والعطاء، والمعروفات بمركزهن القبلي والاجتماعي المرموق على صعيد قبيلتهن الكبيرة وشعبهن الكوردي، وهي السيدة الجليلة حبيبته خان بنت كريم بك الجاف (١٩٢٧-١٩٩٧م) صاحبة الشرف الرفيع والخلق الكوردي القويم والعطاءات القومية والوطنية والانسانية السخية التي خلدها في ذاكرة اهل گهرميان ومحيطهم.

نشأت حبيبه خان وترعرعت في الجانب القديم من كلار الحالية، حيث استقرت أسرته المعروفة من امراء - بگزادة - الجاف الذين واطبوا طويلاً على مصاحبة قبيلتهم في حلها وترحالها الدائبين، فتوفرت لها في ظل تلك الاسرة الموسرة النبيلة فرص العيش الرغيد تحت رعاية والدها الشهم الذي ترأس الجاف وباقتدار مدة ٣٠ عاماً تقريباً. وانطلاقاً من تقديره واعجابه الكبيرين بأصول ومظاهر التعليم الحديثة، حرص كريم بگ على ارسال ابنته (حبيبه) وهي في مقتبل العمر الى المدرسة المشيدة حديثاً في قريتهم (كلار القديمة)، فاصبحت بذلك اول تلميذة تدخل المدرسة الحديثة على صعيد كلار وخارجها وقت كان دخول الاناث الى مثل تلك المدارس وخصوصاً بالنسبة لابنة رئيس القوم، أمراً غير مألوف إن لم يكن محرماً بنظر العرف الشائع آنذاك.

كذلك تعلمت حبيبه كثيراً من آداب وأصول مجلس والدها العامر بالضيوف والزوار، لاسيما من المسؤولين الكبار والساسة والوجهاء والمثقفين والشعراء وعلماء الدين الافاضل، فاتسعت مداركها وقابلياتها الذهنية الى حد بعيد واتقنت تقاليد قبيلتها العريقة على احسن مايرام.

وهكذا نشأت حبيبه خان وعلى دأب غيرها من بگزادة الجاف الاصلاء متفتحة الذهن والبصيرة واعية لدورها القبلي والاجتماعي والقومي، محبة لشعبها ووطنها، مخلصه لسجايا والدها الحميدة الذي ورثت عنه الورع والجود والشجاعة والصدق والبلاغة وحب الشعر والادب والقيم والمبادرات القومية والوطنية الاصيله. فتبرعت في اوائل عقد الاربعينات من القرن الماضي، وهي في ريعان شبابها، بحليها ومصوغاتها الذهبية لصالح حزب هيو (١٩٣٩-١٩٤٥م) الذي ضم العديد من وجهاء گهرميان وبضمنهم والدها واعمامها واقاربها، كما اتقنت اصول الرماية والفروسية التي اجادتها بامتياز فضاهت خيرة فرسان ورماة عهدها، وقد احتفظت لنفسها ببندقية (برنو) ظلت متمسكة ومعتزة بها طويلاً وحاذقة في استعمالها والتصويب بها بدقة.

خاضت حبيبته خان معترك النضال القومي والسياسي في صفوف الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي قاد منذ تأسيسه عام ١٩٤٦ حركة النضال التحرري الكوردي في كردستان العراق فكانت بحق شعلة من النشاط والابداع لصالح تنظيمات البارتى ضمن حدود كفري الواسعة التي كانت كلار تتبعها عهدذاك ادارياً. فقد تكفلت حبيبته خان وبكل ما عرفت به من اقدام واخلاص ونكران ذات بتنفيذ أنشطة ومهام نضالية مختلفة خدمة لمسيرة الكوردايه تي الظافرة على هدي البارزاني الخالد، وخصوصاً في مجال التنظيم النسوي وجمع التبرعات والاعانات الحزبية وسائر الفعاليات الاخرى التي تنقلت في سبيلها مراراً بين كفري وكلار، حانقين وبغداد، وقد شهد مقر منظمة (خهبات) في كلار نهاية عقد الخمسينات اوج نشاطات حبيبته خان مع رفاق مسيرتها على صعيد العمل السياسي والثقافي والاجتماعي.

في عام ١٩٦٣م وبعد التحاق زوجها محمود بك بصفوف الثوار في قرداغ اثناء ثورة ايلول التحررية، اضطرت حبيبته خان بسبب ظروفها الصعبة الى الانتقال نحو قرية (بان صندوق) جنوبي كلار، لكن مختار القرية سرعان ماوشى بها لدى السلطات بدعوى ممارستها للنشاط السياسي المحذور خدمة للحركة الكوردية وطلبتها الثورية البارتى، فقادتها الشرطة الى مركز ناحية (قرهتبه) حيث تكررت مضايقتها واستجوابها الى ان تدخل لصالحها مدير الناحية بحكم انتمائه القبلي الاصيل الى قبيلة العزة العربية وتودده الى اسرة بكزادة الجاف، فأنقذها من مأزقها.

بعدئذ عادت حبيبته خان الى كلار مواظبة على نهجها الكوردي القويم المعهود وخدمة سكان المنطقة ورعايتهم ومساعدتهم وخصوصاً الفقراء والمحتاجين منهم، فظلت كذلك حتى الرmq الأخير من حياتها.

ولأن حبيبته خان نشأت في بيت منور بالعلم والثقافة والادب ومحب للشعر بشكل خاص، فأنها توجت موهبتها الشعرية المبكرة التي صقلتها

لاحقاً تجاربها الغنية في حياتها، بالعديد من قصائدها القومية والاجتماعية الحماسية الداعية الى الاخلاص والنضال في سبيل الكورد ونبذ الخلافات والفرقة بينهم ومنح المرأة الكوردية حقوقها ودورها اللاتق في الحياة والقضاء على كل مظاهر البؤس والتخلف في المجتمع الكوردي. والمؤسف ان أغلب قصائدها تلك، ضاعت بسبب عدم تدوينها ولم يتبق منها سوى مقاطع متفرقة تتناقلها السن افراد اسرتها ومقربيهـا بينما وصلت اشعار شقيقها محمد امين بگ الى الاستاذ مصطفى نريمان فجمعها ونظمها في ديوان مطبوع ظهر عام (١٩٩٠) بعنوان (ديوان مينه بگ الجاف)

لأنسى أيضاً أن حبيبـه خان واخيها النابغ مصطفى بگ الجاف كانا يحتفظان فيما بينهما بمودة بالغة الى حد ان يتمنى كل واحد منهما ان يرحل عن الدنيا قبل صاحبه حتى لايتفجع بموته ويقاسي مرارة فراقه!، فشاءت قدرة الباري ان ترحل حبيبـه خان عن الدنيا بتاريخ ١٩٩٧/٧/١١م بينما كان أخوها يعاني من فقدان الوعي على فراش المرض في العاصمة بغداد التي نقل اليها لغرض العلاج، فتوفي بدوره ليلة ٢٩- ١٩٩٧/٧/٣٠ دون أن يعلم بوفاة أخته العزيزة الحنون!

جوامع وتكايا في ذاكرة كركوك

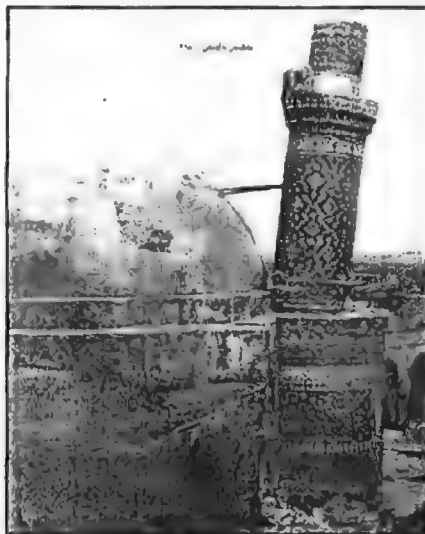
تزخر مدينة كركوك بالعديد من الآثار والمعالم الدينية الاسلامية (والمسيحية) الأصيلة التي تؤكد بمجملها عراقة هذه المدينة الكوردستانية وعمقها الحضاري الثر المجيد والتي عرفت دوماً بكونها مدينة التآخي والتآلف والمحبة بين جميع قومياتها وطوائفها، وملتقى العديد من الثقافات والافكار والأديان والمذاهب التي تفاعلت وانسجمت فيما بينها هناك.

ويأتي في طليعة هذه المعالم الدينية العريقة عدد كبير من الجوامع والمساجد والتكايا التي أنتشرت ونشطت في كركوك سابقاً، وتميزت الى جانب وظيفتها الدينية الأساسية بدورها التربوي والفكري والاجتماعي المؤثر في حياة أبناء كركوك الطيبين الأصلاء.

ورغم ان تأثيرات الزمن والظروف ومظاهر الاهمال قد نالت من بعض هذه الجوامع والتكايا كثيراً وأصابتها بالخراب والدمار تاركة إياها تقبع الآن وسط الانقراض والركام، فإن البقية الباقية منها ما تزال تحتفظ بقدر كبير من رونقها السابق ويريقها المعهود وهي تواصل وظيفتها الدينية ودورها التربوي والاجتماعي المعروف، وذلك بفضل أعمال الصيانة والتجديد والتعمير ومظاهر الاهتمام والرعاية التي توفرت لها تبعاً، ونذكر من بين الجوامع والتكايا البارزة التي خدمت واشتهرت في كركوك كثيراً؛ جامع أولي جامع، جامع أمام قاسم، جامع نقشلي مناره (المنارة المزخرفة - مناره نهخشينه)، جامع النائب، جامع بولاق، جامع خادم

السجادة، جامع القبة الخضراء، الجامع الكبير، جامع الشيخ حسام الدين، جامع الاسكان، جامع أرسلان، التكية الطالباية (مسجد المجيدة)، تكية السيد أحمد خانقاه، تكية الشيخ عبد الباقي، التكية الكسنزانية، التكية الخالدية الرفاعية، تكية بير قره جيوار، تكية أبو علوك، تكية الشيخ ابراهيم... وغيرها.

وسنحاول في سياق عرضنا الموجز هذا، التعريف بعدد من هذه التكايا والجموامع التي ذكرناها وتقديم ما نمتلك من معلومات واستذكارات بشأنها وهي: التكية الطالباية، جامع المنارة المزخرفة، جامع خادم السجادة، تكية الشيخ عبد الباقي، جامع النائب وتكية السيد أحمد خانقاه.



ونبدأ أولاً بالتكية الطالباية (المعروفة أيضاً بمسجد المجيدة) التي شيدها عام ١١٨٥هـ - ١٧٦٤م العلامة الشيخ محمود زنگنه الجد الأكبر للأسرة الدينية الطالباية المعروفة. فقد سلك هذا الشيخ الجليل منهج طريقة السجادة القادرية (الصوفية) المعروفة وعمل جاهداً على نشر تعاليمها وترسيخها بين أتباعه ومريديه وشيد في هذا السبيل تكيته المذكورة (الطالباية)

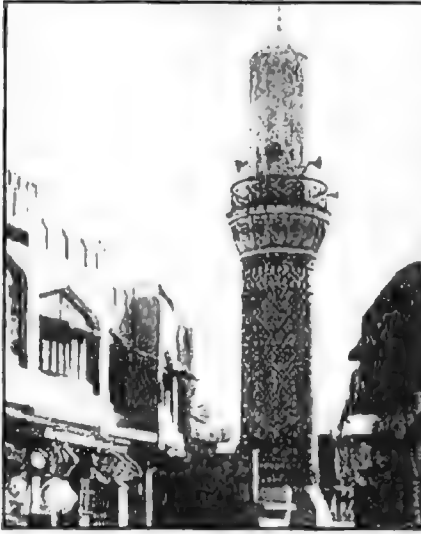
التكية الطالباية - ١٩١٨

التي دفن فيها بعد مماته، وأدام من بعده نجله الشيخ أحمد نهجه الصوفي القادري الذي أخذ يستقطب في عهده المزيد من المريدين باضطراد. فبنى في قرية طالبان الواقعة جنوبي جمجمال والتي استمدت منها أسرته

الدينية اسمها، بنى تكية جديدة جعلها فرعاً للتكية الأم في كركوك، وقبل أن يوافيه الأجل المحتوم أوعز إلى نجله الأكبر الشيخ عبدالرحمن بالعودة من طالبان إلى كركوك وإدارة شؤون تكيتهم الكبيرة هناك.

ولما توفي الشيخ أحمد عام ١٢٥٧ هـ ودفن بدوره في التكية الطالبانية بكر كوك، انتقلت زعامته الدينية إلى ورثته الشيخ عبدالرحمن الذي واطب على توسيع تلك التكية الشهيرة، فشيّد لها في عام ١٢٦٠ هـ منارتها المهيبة واتخذت (أي التكية) شكل مسجد في كركوك، وكان ذلك في عهد السلطان العثماني عبدالمجيد الذي أصدر فرماناً سلطانياً قضى بتسجيل المسجد باسم الشيخ عبدالرحمن، لكن هذا الأخير حرص من جانبه على تسمية المسجد بالمجيدية تيمناً باسم السلطان المذكور وتقديراً له. ومنه انتقلت تكيته لاحقاً إلى خليفته وأكبر أبنائه الأربعة الشيخ علي الذي وفق كثيراً في المهمة الموكلة إليه، فيما حقق ابنه الآخر الشيخ رضا الطالباني (١٨٣٥ - ١٩١٠) مجده الكبير في عالم الشعر الذي برع وتفنّن واشتهر فيه كثيراً، ثم استمرت التكية الطالبانية في أداء رسالتها الدينية والعلمية والاجتماعية في ظل شيوخها الذين تعاقبوا عليها خلال العقود الماضية، وهي ما تزال تحتفظ بقدر كبير من بريقها المعهود وهبتها السابقة، رغم تقادم الزمان عليها.

ويعتبر جامع مناره نه خشيّنه (نقشلي مناره - المنارة المزخرفة) المميز بمنارته الشامخة ذات النقوش والزخارف البيضاء والزرقاء والذي يعود تاريخ إنشائه إلى عام ١٢٣٣ هـ، واحداً من أبرز وأشهر جوامع كركوك العريقة قاطبة، ورغم أنه فقد بمرور الزمن الكثير من مميزات العمرانية السابقة بسبب الترميمات التي شهدتها مراراً، لاسيما الترميمات التي أجريت له عام ١٩٨٤ م، فإنه ما يزال يحتفظ بموقعه الأثير في نفوس أبناء كركوك الذين يرون فيه صرحاً دينياً وتراثياً خالداً وأحد أكثر الأماكن إثارة لذكرياتهم ومشاعر حنينهم الجارف إلى ماضيهم البهيج الغابر الذي كان فيه هذا الجامع بمثابة أحد مراكز الإشعاع الديني والروحي والفكري



جامع مناره نخشينه

في مدينتهم العزيزة كركوك.

أما جامع خدام السجادة الكائن في محلة بولاق والذي كان بدوره أحد جوامع كركوك المعروفة في عهده الزاهر سابقاً، فانه أو بالاحرى ماتبقى منه، يقبع اليوم وسط الانقراض والحراب من جراء إهماله وعدم ترميمه، فلم يتبق منه سوى قبته العتيقة المميزة التي تشمخ بين اطلال الماضي وعسبق الذكريات متحدية جبسوت وقسوة الزمن ومذكرة أجيال

اليوم بحكاية ذلك المسجد الراقي الذي شيده أبناء أسرة خدام السجادة في عهد السلطان عبدالحميد خان الذي وهبهم، كما يروى، الموقع الذي شيّدوا عنده مسجدهم المهيب وذلك تكريماً لمكانتهم الدينية الراسخة والنابعة أصلاً من احتفاظهم، أباً عن جد، بسجادة صلاة نبينا الكريم محمد (ص) وتمسكهم الشديد بها، إضافة الى مقتنيات أخرى للمصاحبة الكرام، ولقد قاوم أبناء أسرة السجادة جميع المحاولات والاغراءات المتواصلة التي أبداها سلاطين آل عثمان بهدف الحصول على تلك السجادة المباركة ونقلها الى اسطنبول بقصد حفظها في متحف (طوب قاپور).

ونكتفي بهذه الشذرة عن جامع خدام السجادة المهدم في محلة بولاق لتتوجه صوب محطتنا التالية في محلة شاطرلو وتحديدأ عند التكية المعروفة بتكية الشيخ عبدالباقي نسبة الى اسم مؤسسها الشيخ عبدالباقي بن درويش اسماعيل والتي تأسست عام ١٣٠٣ هـ (١٨٨٢م)

عند جامع كان يمتلكه بالأساس عالم ديني معروف اسمه الملا عبدالله ويقوم فيه (اي في الجامع) بواجب الأمامة والخطابة ورعاية شؤون المسلمين. وتفيد المعلومات المتيسرة عن التكية أيضاً، ان بانيها الشيخ عبد الباقي - وهو لم يكن يحمل آنذاك لقب الشيخ - حضر ذات يوم الى ذلك الجامع فأعجب به وقرر البقاء فيه بقرب الملا عبدالله (وهو ابن عمه بحسب المصدر الذي أقتبست منه المعلومات المتعلقة بهذه التكية).

ولما نالت الشيخوخة من الملا عبدالله ومنعته من اداء واجباته الدينية المعهودة أوكل أمر جامعه الى رفيقه وقريبه الشيخ عبد الباقي. وبعد فترة وافته المنية ودفن في التلة المعروفة الآن باسمه (تههئ مهلا عه بدوللا - بالكوردية) والتي تضم اليوم أحد أحياء كركوك وبنفس الاسم أيضاً ومن بعد العلامة المذكور، واصل خلفه مهمته في رعاية الجامع واداء واجب الامامة والخطابة فيه على خير مايرام، ثم سلك فيما بعد الطريقة الصوفية القادرية في مصر واصبح أحد مرشديها وصار يحمل منذئذ لقب الشيخ، فشرع بارساء دعائم تكيته في التاريخ والمكان المذكورين سلفاً، أي في عام ١٣٠٣ هـ وعند الجامع الذي تركه له سلفه الراحل.

وبمرور الايام ازداد الشيخ عبد الباقي هيبة وصيتاً وأخذت تكيته تعج بالضيوف والاتباع وتأوي الفقراء والمحتاجين. ثم دعاه يوماً السلطان عبدالعزيز للسفر الى الاستانة فلبى طلبه، وهناك توطدت علاقته بولي العهد عبد الحميد (السلطان فيما بعد) وتنبأ له بقرب موعد تنصيبه سلطاناً وخليفة للمسلمين فتحققت نبوءته بهذا الشأن سريعاً!

ولما عاد الشيخ عبد الباقي الى دياره في كركوك أرسل معه السلطان عبد الحميد اثنين من البنائين المهرة (وهما مرقس حنا وقرياقوس) ليعمرآ له تكيته ويجددا بناءه بشكل لائق، فأدام نهجه المعهود في الوعظ والارشاد متمسكاً على الدوام بورعه وفضائله وخصاله الحميدة وفي مقدمتها شجاعته وجراته في قول الحق وخصوصاً أثناء مواجهته ومقابلته للمسؤولين واصحاب الشأن المتنفيين الذين دأب على مخاطبتهم باللغة



التركية الرائجة
آنذاك، قائلًا:
السلام عليكم
أي ملت دولتين
خائنري، أي!
السلام عليكم
يا خونة الشعب
والبلاد!!

تكية الشيخ عبد الباقي

وفي تلك
الفترة، قدم إلى

كركوك الشقيقان؛ الشيخ محمود والشيخ محمد المزنوي (نسبة إلى قرية مزناوا في پشدر) قادمين من السلیمانیة بعد إكمال تحصيلها العلمي الديني عند العلامة المرشد كاك أحمد الشيخ فأقاما هناك - أي في كركوك - وأتصلا بعلمائهما، وصار الشيخ محمد وكيلاً للشيخ عبد الباقي ثم أستخلفه بعد وفاته (بناء على وصيته السابقة) في الاشراف على تكيته والقيام بالامامة والخطابة في جامعہ (والجامع هذا ما يزال قائماً بجانب التكية).

وفي عام (١٩١٨) توفي الشيخ محمد ودفن داخل التكية بجوار سلفه الشيخ عبد الباقي تاركاً مهمته من بعده لنجله الشيخ مصطفى الذي نال محله فيما بعد (عام ١٩٦١م) نجله الشيخ عبد الجبار ولما توفي هذا الاخير بدوره عام (١٩٨٦م) تكفل نجله الشيخ عبد الجليل (الذي ما يزال على قيد الحياة) برعاية التكية والقيام بالامامة والخطابة في الجامع.

كذلك يشتهر في كركوك جامع النائب المشيد عام (١٣٣٥هـ) والذي فقد معظم مظاهر بنائه السابق بسبب عمليات التجديد والترميم والاعمار التي طالها في عقد الثمانينات من القرن الفائت، لكنه رغم ذلك ما يزال محتفظاً بقدر ملحوظ من زخارفه ونقوشه البديعة التي تزين أبوابه

ونوافذه المتعددة، ومنها باب الخارجي الذي دون في اعلاه تاريخ تشييد الجامع وبعض الآيات من الذكر الحكيم. ويقال إن جميع هذه النقوش والزخارف والكتابات الباقية على الجامع وسواها التي زالت واحتفت من الوجود بمرور الزمن، كانت من ابداع الفنان علي نقاش السهبي (نسبة الى مدينة سنه / سنج الكوردستانية الايرانية)

لانسى أيضاً، ان جامع النائب قد احتضن في رحابه تبعاً وعلى مر العقود المنصرمة العديد من العلماء والائمة والخطباء الافاضل المشهود لهم بالكفاءة والنبوغ في تاريخ كركوك ومنهم - على سبيل المثال - العلامة المؤرخ الملا جميل الروياني (١٩١٣-١٩٥٢ م) الذي عمل لردح من الزمن - في نهاية عقد الخمسينات من القرن الماضي - إماماً وخطيباً هناك.

ونتطرق أخيراً الى تكية (سيد أحمد خانقاه) الشهيرة والتي كانت تجود بضيافتها الكريمة وواقفها واملاكها الواسعة الغنية فضلاً عن اسهاماتها النيرة في مجال خدمة الدين والفكر والادب كون صاحبها سيد أحمد (١٨٦٨-١٩٥٢ م) شيخاً متصوفاً من شيوخ الطريقة الصوفية النقشبندية وعالمأ دينياً مهيباً واديباً مقتدراً وشخصية وطنية لامعة عرفت بمعاداتها للاستعمار البريطاني في العراق، فكان طبيعياً ان تحظى تكيته (خانقاه) بكل تقدير واحترام لدى ابناء كركوك وغيرهم من ابناء كوردستان و العراق عموماً بل وحتى البلدان المجاورة، الذين دأب الكثيرون منهم على زيارة (سيد أحمد) والتمتع بصحبته الكريمة وضيافته السخية في تلك التكية التي ماتزال تشمخ مع جامعها في كركوك كأحد معالمها التراثية والدينية الأصيلة والتي ماتزال تستقبل الزوار والمصلين وتذكر بافضال وسجايا وعطاءات صاحبه الشهم الكريم

بقي ان نقول إن ما أوردناه من إستذكارات ومعلومات موجزة عن الجوامع والتكايا الست المذكورة لا يعد سوى نزرأ يسيراً من تاريخ حافل بالاحداث والذكريات والمواقف المشهودة التي رافقت بمرور الزمن، المعالم

التراثية والدينية الموجودة في كركوك والتي تعد بمجملها جزءاً حيوياً
وبارزاً من تاريخ وتراث شعبنا وشاهداً على أصالة إرثه الحضاري
والفكري والروحي المجيد.

موجز عن تاريخ الطباعة والصحافة والنشر

في كركوك

عرفت كركوك وتبعاً لموقعها الجغرافي الحيوي الهام والمتعدد الاغراض بدورها الحضاري المجيد في تاريخ بلادنا الموغل في القدم، كما قدر ل كركوك ايضاً ان تتبوا مكانة متميزة جداً في تاريخنا الحديث بوصفها مركزاً ادارياً وسياسياً وعسكرياً واقتصادياً وتجارياً هاماً للغاية وذلك أبان حقبة الاحتلالين العثماني والبريطاني لبلادنا وبعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة (عام ١٩٢١م)، فكان طبيعياً والحال كذلك أن تكون هذه المدينة العزيزة في مقدمة مدن العراق والمنطقة التي شهدت جملة من الانجازات والتطورات الحضرية والعمرانية ومستلزمات الحياة العصرية المختلفة التي شهدتها كركوك تباعاً وبضمنها مسيرة الطباعة والنشر التي سبقت بها (أي كركوك) غيرها من مدن كوردستان الاخرى والتي نخصص لها هذا العرض الموجز الذي نحاول من خلاله تسليط الضوء على جانب حيوي وبارز من تاريخ كركوك الحديث.

يعود تاريخ ظهور أول مطبعة في كركوك الى الربع الاخير من القرن التاسع عشر (في حدود عام ١٨٨١م) عندما أمر الوالي العثماني (فيضي باشا) بتأسيس مطبعة (الولاية) التي أستقدمت أجهزتها ومكائنها من اسطنبول الى العراق عن طريق البحر، وقد أضطلعت تلك المطبعة حال انشائها بطبع الاوراق والرسائل الحكومية الرسمية، كما ساهمت فضلاً عن ذلك بطبع بعض الكتب والمنشورات المختلفة قبل أن

تنقل لاحقاً بأمر الوالي (تحسين پاشا) الى مدينة الموصل (مركز ولاية الموصل).

ثم ظهرت في كركوك وقبل اندلاع الحرب الكونية الاولى بفترة قصيرة (في حدود عام ١٩١١م) مطبعتان أخريان هما: مطبعة (صنايع مكتبي سي) ومطبعة (حوادث)، فالاولى تم شراؤها واستقدامها من اسطنبول لقاء مبلغ قدره (١٥) ليرة عثمانية وانجزت خلال مدة وجودها في كركوك طبع عدد من الكتب والمجلات والصحف المختلفة باللغة التركية، منها على سبيل المثال لا الحصر، مجلة (معارف) الادبية الفنية التي صدرت بالتركية في عام (١٩١٣م) وساهم في تحريرها كتاب معروفون أمثال: فتحي صفوت، ع خلوصي، حامد نديم، زين العابدين قابل زاده، أحمد مدني ومكي ليب... وأستمرت هذه المطبعة في العمل الى نهاية الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨م) حين عطلها الانكليز عن العمل اثناء احتلالهم للمدينة، لكن مالبث ان اعيد تصليحها سريعاً ونقلت الى بغداد.

أما المطبعة الثانية (أي حوادث) فأنها تأسست من قبل الصحفي الرائد أحمد مدني قدسي زاده بعد ان استقدمت مكائنها من بلجيكا، فكان تأسيسها بمثابة نقطة تحول هامة في تاريخ الطباعة والصحافة والنشر في كركوك، حيث تكفلت عقب انشائها مباشرة بطبع أول جريدة هناك باسم (حوادث) في أواخر شباط عام ١٩١١م. وكانت (حوادث) صحيفة سياسية اسبوعية تصدر باللغة التركية وقد استقطبت في عهدها العديد من الكتاب والادباء والمثقفين وساهمت كثيراً في ازدهار الحركة الثقافية في كركوك.

وقعت هذه المطبعة « ايضاً » بايدي الأنكليز عام ١٩١٨م فبدأوا بالاشراف عليها وأدارتها وأصدر جريدة ال(نجمة) الرسمية من خلالها، باللغة العربية اولاً ثم باللغة التركية وأحياناً باللغة الكوردية في خضم مواجهاتهم مع الثائر الشيخ محمود الحفيد في السلیمانیة.



وفي عام ١٩٢٦م تغير اسم ال(نجمة) الى (كركوك) حيث باشرت باصدارها بلدية كركوك أسبوعياً وباللغات الكوردية والعربية والتركمانية، وكانت الجريدة إخبارية تطبع في اول عهدها على غرار سابقتها في مطبعة (حوادث) التي انتقلت عاتديتها الى بلدية المدينة فصارت تعرف باسم (مطبعة البلدية) وذلك قبل ان يتسنى لها (أي بلدية كركوك) شراء مطبعة امريكية حديثة لاحقاً لتحل محل

جريدة نجمة

سابقتها وعموماً ظلت تلك المطبعة العتيقة في العمل حتى نهاية عقد الخمسينات من القرن الماضي واسدت خلال مسيرتها الطويلة خدمات هامة الى مسيرة الطباعة والثقافة والفكر في كركوك.

وبالنسبة لصحيفة (كركوك) فان الشاعر النابغ هجري دده الكاكائي (المعروف باشعاره الكوردية والتركمانية الذائعة) قد تولى ادارة تحريرها حال صدورهما في عام ١٩٢٦م ولحين انفصاله عنها بسبب تعيينه في وظيفة اخرى، فتولى بعده (عبدالرحمن بكر) ادارتها. كما نذكر من بين الذين ساهموا بتتاجاتهم في تلك الصحيفة المعروفة كل من الشاعر الكبير پيره ميرد (في السليمانية)، رفيق حلمي، فهمي عرب آغا، شكر آغا اوغلو، اسعد نائب، رشيد عاكف، عمر فوزي، عثمان مظلوم، توفيق جلال، وحيد بهاء الدين وجمال عز الدين.

واضافة الى ما ذكر شهدت كركوك خلال النصف الاول من القرن الفائت صدور العديد من المطبوعات الصحفية الاخرى تباعاً التي نذكر منها جرائد: آژانس (١٩١٨م) تجدد (٩٢م)، التقدم (٩٣٥م)، الوحدة (٩٤٨م) و مجلتي: كوكب معارف (٩١٥م)، صدى الشباب (١٩٣٢م). وخلال عقد الخمسينات من القرن العشرين شهدت كركوك حركة نشطة

في مجال ارساء العديد من المطابع الجديدة التي شهدتها المدينة تباعاً (خصوصاً المطابع الاهلية) فتوسعت وازدهرت بذلك حركة الطبع والنشر هناك اكثر فاكثر وذلك برغم كل الظروف الصعبة والاستثنائية التي احاطت بهذه المدينة الباسلة واهلها في ظل الممارسات المشبوهة والمنحرفة التي اتبعتها بحقهم السلطات الحكومية الحاكمة.

ونعرف هنا بأهم تلك المطابع واصحاب بعضها:

* مطبعة الترقى



تأسست هذه المطبعة عام ١٩٥٣م من قبل السيد محمد أمين عصري، وهي أول مطبعة في كركوك بدأت منذ تأسيسها بطبع الكتب والكراريس الكوردية على أنواعها.

* مطبعة التتويج (كركوك):

تأسست هذه المطبعة في عام ١٩٥٣م أيضاً، وتغير أسسها بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م الى (كركوك).

محمد أمين عصري

* مطبعة الهلال:

تأسست عام ١٩٥٥م وكان صاحبها (موشيح الارمني)، وقد تكلفت في عهدها بطبع جميع أوراق وسجلات شركة نفط كركوك.

* مطبعة الشمال:

تأسست هذه المطبعة عام ١٩٥٦م وقد تميزت بمساهمتها الفاعلة في طبع وانجاز العديد من المطبوعات المختلفة التي لاقت قبولاً ورواجاً كبيرين من لدن القراء والمتابعين وضمنها مختلف الكتب والصحف والمنشورات الصادرة باللغة الكوردية والتي تعرض بسببها صاحب المطبعة

السيد صبري عبو (وهو مواطن مسيحي من الموصل أصلاً)، إلى مضايقات شتى من لدن السلطات الحكومية دون أن يأبه بها.

* مطبعة الجمهورية:

تأسست من قبل السيد إبراهيم اسماعيل عام ١٩٦٨ ثم انتقلت ملكيتها بعده إلى السيدين بونس علي وإبراهيم أرسلان، وقد ساهمت هذه المطبعة بدورها بطبع وإنجاز العديد من الكتب والمجلات باللغات المحلية في كركوك.

* المطبعة التجارية:

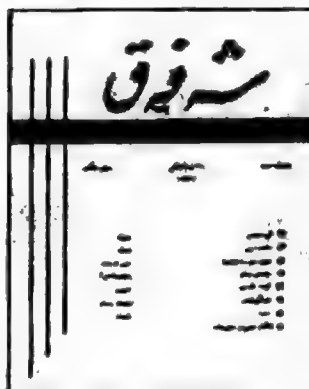
تم شراء هذه المطبعة، (وهي المانية الصنع)، من قبل السيد محمد أمين عصري في عام ١٩٧١م وقد واطبت على عملها في شارع الجمهورية وبإشراف صاحبها المذكور حيز أنجزت طبع العديد من الكتب والمنشورات المختلفة باللغات المحلية السائدة في المدينة (من كوردية وتركمانية وعربية).

ومثلما انتشرت المطابع في كركوك وازدهر نشاطها كما اسلفنا، فإن المدينة شهدت بدورها أيضاً ظهور عدد من المكتبات العامة التي أسهمت من ناحيتها في إغناء الحركة الثقافية والفكرية كثيراً ونحن نشير هنا فقط إلى أسماء ثلاث مكتبات منها ورد ذكرها في مذكرات الاستاذ مصطفى نريمان بوصفها أبرز المكتبات الرئيسية في كركوك أبان عقد الخمسينات من القرن المنصرم وهي مكتبة (عباس حلمي) التي ظهرت أصلاً في شارع المجيدية أبان فترة الثلاثينات، ثم انتقلت من مكانها السابق إلى سوق العصرية لتواصل ازدهارها وتوسعها، ومكتبة (حبيب) في شارع المجيدية، وهذه المكتبة تخصصت بالكتب والمؤلفات التركية التي كانت تصلها من تركيا، ومكتبة العصرية (لصاحبها محمد أمين عصري) التي لعبت دوراً متميزاً في رفد عدد غفير من القراء الكورد بمختلف الكتب والمطبوعات الكوردية.

وإذا كانت كركوك قد شهدت نشاطاً متميزاً خلال عقد الخمسينات من القرن الفائت على صعيد مطابعها ومكتباتها كما أسلفنا، فإن تلك الفترة ومابعدھا (خصوصاً بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨) شهدت أيضاً نشاطاً ملفتاً للنظر على صعيد مسيرة الصحافة في كركوك والتي توجت باصدار العديد من الصحف والمجلات المختلفة باللغات العربية والكوردية والتركمانية التي اضطلع بطبعها وأخرجها عدد من مطابع كركوك وراجت في اوساط القراء والمثقفين من أهل المدينة ومنها على سبيل المثال صحف: صدى الشمال (١٩٥١م) التي أصدرها معروف عارف وهو صحفي من السليمانية) الآفاق (١٩٥٤م)، البشير (١٩٥٨م) گاوریباغي (١٩٥٨م)، آزادي - الحرية (١٩٥٩م) ورأي الاهالي - رأي گهل (١٩٥٩م)، وكانت هذه الاخيرة أسبوعية سياسية لسان حال فرع حزب الوطني الديمقراطي (حزب كامل الجادرچي) ويتأسس تحريرها السيد (صادق بلوكيني) الذي اغتيل في احد شوارع كركوك فتولى بعده السيد (ناظم الوندوي) رئاسة تحريرها حتى الغائها عقب صدور العدد (٧٢) منها.

أما المجلات فنذكر منها: الثقافة الحديثة (١٩٥٤م)، الشفق (١٩٥٨م)، الطليعة (١٩٥٩م)، العرين (١٩٥٩م) وصوت الطلبة - دهنگی قوتابیان (١٩٥٩م) التي أصدرها الاتحاد العام لطلبة الجمهورية العراقية - فرع كركوك - باللغات الكوردية والتركمانية والعربية وقد صدرت منها ثلاثة اعداد فقط ثم توارت عن الانظار»، الربيع (١٩٦٠م)، گزنک - البزوغ (١٩٧٢م) «اصدرها اتحاد ادباء الكورد فرع كركوك»، مجلة باوه گوگور ١٩٧٢م «اصدرها اتحاد طلبة كوردستان فرع كركوك» ومجلة نیرگز التي صدرت عام ١٩٨٣م وساهم في تحريرها عدد كبير من الادباء والكتاب الكورد في كركوك.

ومن خلال القاء نظرة سريعة على مسيرة الطباعة والصحافة في كركوك إبان النصف الثاني من القرن الماضي يلفت انتباهنا حتماً التقدم البارز



مجلة الشفق

الذي شهدته حركة الصحافة والنشر الكوردية في هذه المدينة العزيزة كماً ونوعاً وتحديداً منذ أواخر عقد الخمسينات من القرن المنصرم.

ونوه هنا بمجلة شفق (شفق) المتميزة عهدذاك والصادرة باللغتين الكوردية والعربية والتي ظهر العدد الاول منها في ١٥/١/١٩٥٨م، وهي كانت مجلة نصف شهرية ادبية ثقافية عامة استطاعت تحريك الوسط الثقافي في كردستان الى

حد كبير، حب بدأ الكتاب والمثقفون يرسلونها ويغنونها بمساهماتهم السخية من القصص والاشعار والخواطر وسائر المقالات والمواضيع المتنوعة الاخرى. وكان صدور (شفق) في كركوك حينذاك حدثاً هاماً في عالم الصحافة الكوردية حيث اصبحت ادارتها ملتقى للمثقفين الذين كانوا يبحثون عن متنفس لهم في ذلك الجو الخانق السائد في العراق.

كان صاحب امتياز (شفق) هو العقيد المتقاعد عبدالقادر البرزنجي ومسؤول تحرير قسمها العربي الاديبي عبدالصمد خانقاه المحامي الذي تمكن بحكم علاقاته مع المثقفين العرب والكورد ان يجمع في مكتبه المتواضع خبرة المثقفين الشباب الموجودين في كركوك آنذاك امثال فاضل العزاوي، انور الغساني وزهدي الداودي الذين كانوا يزودونه بالمواد احياناً يراجعون مايرد الى المجلة من نصوص.

ورغم ان المجلة لم تعلن عن اسماء هيئة تحريرها، الا انها كانت مؤلفة من ابراهيم أحمد المحامي، معروف البرزنجي المحامي، د. معروف خزنदार، الناقد عمر عارف محمود. كما دأب معتمد المجلة في بغداد (جمال خزنदार) بتزويدها بالاخبار والمقالات والخواطر، فيما انيطت شؤونها المالية بالشاعر علي كمال باير الذي كان يقيم في كركوك آنذاك.

استمرت (شفق) التي كانت تطبع في مطبعة الشمال، بالصدور الى ما بعد اندلاع ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م ثم انتقلت ادارتها « في عام ١٩٥٩ » الى السليمانية بسبب انشغال القائمين عليها بمهامهم الحزبية، وتغير اسمها هناك الى (بهيان) حيث اشرف عليها الشاعر الكبير (گوران)، وبعد فترة قصيرة اعيدت المجلة الي كركوك مجدداً وصدرت هناك باسمها السابق (شفق) واستمرت في الصدور حتى عام ١٩٦٣م.

ولاشك ان ديمومة وازدهار مسيرة الطباعة والصحافة والنشر في كركوك اعتمدت اساساً على الجهد الدؤوب الذي بذله جمع من الصحفيين والمثقفين اللامعين الذين نذروا حياتهم وجل امكاناتهم المادية والمعنوية لخدمة شعبهم في هذا المجال الحيوي الرحب فوفقوا بنضالهم ونكران ذاتهم وصمودهم وخلال ظروف صعبة للغاية في دفع عجلة الطباعة والصحافة والنشر الكركوكية الى امام واجتياز جميع العقبات والمصاعب التي اعترضتها طويلاً، فكانوا بحق أشبه بجنود اوفياء مجهولين خدموا وضحا في هذا المضمار كثيراً.

وببدو لي من المناسب ان اشير هنا بايجاز شديد الى مسيرة وعطاء واحد من ابرز هؤلاء المبدعين الذين خدموا الحركة الثقافية والفكرية في كركوك عموماً والكوردية منها خصوصاً، الا وهو الاستاذ الطيب الذكر محمد أمين عصري (١٩١٠-١٩٧٤م)، كان (عصري) شغوفاً بعالم الطباعة والصحافة والكتب كثيراً وقد دفعه شغفه هذا الى ترك مهنة التعليم التي مارسها في عقد الثلاثينات من القرن الفائت والتنقل بين مدن طهران والقاهرة واسطنبول مراراً بحثاً عن كنوز الكتب القديمة التي نقل مجموعات كبيرة منها الى كركوك التي ارسى فيها مكتبته الشهيرة (العصرية)، وقد ساعدته في هذا الميدان ثقافته الواسعة ومعرفته باللغات التركية والعربية والفارسية والانكليزية اضافة الى لغته الام الكوردية.

كذلك أستقدم عصري (نهاية عقد الثلاثينات) واعتماداً على امكاناته

الذاتية ماكنتي طبع فرنسيتين تعملان باليد احدهما من نوع (مارينو) والاخرى من نوع (جون مونوپول) ، وعمل ايضاً في صحيفة كركوك ردحا من الزمن، ثم اصبح فيما بعد صاحب اول جريدة تركمانية تصدر في العهد الجمهوري (جريدة البشير التي صدرت في ايلول ١٩٥٨م).

وشهدت الفترة (١٩٥٣ - ١٩٥٨م) قمة عطاءات الاستاذ عصري في مجالي الطبع والنشر الكورديين (من خلال مطبعته الترقى) ، حيث انجز خلال تلك السنوات طبع العديد من الكتب والكراريس باللغة الكوردية تنوعت مواضيعها بين القصص والملاحم والحكايات والاشعار المأخوذة من أداب الشرق غالباً والتي ترجم الكثير منها من اللغة الفارسية الى الكوردية ادياء معروفون أمثال: علي باير آغا ، عبدالسلام الحيدري والملا جميل الروژباني...

وقد استقطبت تلك المطبوعات وسواها جمعاً غفيراً من القراء وتميزت بانتشارها السريع في معظم مدن وقصبات كوردستان وبالاخص في الوسط الشعبي ، مثل شيرين وفرهاد ، رستم وسهراب ، أمير ارسلان ، ليلي ومجنون ، شيرين وخسرو ، شيخي صنعان...

ولاشك ان الامهات الخالدة التي قدمتها كركوك في ميدان الصحافة والنشر ورغم الظروف الصعبة المريعة التي احاطت بها ، تعد دليلاً صادقاً على النهج الصحفي الوطني والقومي الكوردي الاصيل لهذه المدينة الكردستانية الباسلة ذات القوميات والطوائف المتآخية التي تعايشت وتفاعلت و تآزرت فيما بينها هناك ، رغم قساوة حملات الترحيل والتعريب الظالمة التي شهدتها المدينة طويلاً.

لمحة تاريخية عن جمعية داركره وحزب هيووا

(١٩٣٧-١٩٤٥)

ظهرت جمعية داركره - الخطاب (داركره-ران - الخطابون كما يسميها البعض) الى الوجود عام ١٩٣٧م، وعلى أساسها تأسس بعد عامين من ذلك (عام ١٩٣٩) حزب هيووا - الأمل -، وقد أدى التنظيمان خلال مسيرتهما النضالية المشرقة دوراً قومياً ووطنياً مشهوداً في سفر شعبنا النضالي، وحظيا تبعاً لذلك بقدر كبير من الاهتمام والبحث والمتابعة من لدن العديد من كتابنا وباحثينا المعروفين الذين تناولوا بالدراسة والتحليل ظروف نشأة هذين التنظيمين الكورديين (السريين) البارزين واسهاماتهما ومواقفهما النضالية المتميزة في تاريخ شعبنا وأمتنا.

ويتفق جميع هؤلاء الكتاب والباحثين على ان داركره كانت جمعية طلابية تأسست عام ١٩٣٧م، وان تسميتها جاءت على غرار جمعية كاربوناري (الفحام - الفحامين) الايطالية، كما يتفقون بغالبيتهم على ان مؤسسها الحقيقي (أي مؤسس داركره) هو الشاعر والأديب المعروف يونس رؤوف - دلداز - (١٩١٨-١٩٤٨)، إلا أنهم يختلفون فيما بينهم بشأن تحديد أسماء الأعضاء الأوائل لهذه الجمعية، ويصدد أيهما هو المكان الأصلي لنشأتها الأولى، كركوك أم أربيل؟

فقد أورد الدكتور مكرم الطالباني في هذا السياق: أن جمعية داركره تشكلت أساساً في النصف الأول من شهر أيلول عام ١٩٣٧ ومن مجموعة صغيرة من طلبة الاعدادية المركزية في كركوك حين كانت



دلدار

الاعدادية المذكورة تضم العديد من الطلبة الكورد القادمين الى هناك من مختلف مدن وقصبات كوردستان المجاورة وذلك بقصد اكمال دراستهم، ويضمنهم دلدار - مؤسس الجمعية - وهو من سكان بلدة كويسنجق وسليل أسرة خادام السجادة الكوردية المعروفة^(١) ويتفق مع د. مكرم بشأن ميلاد داركره في كركوك، الاستاذ كريم زند وكذلك الاستاذ رشيد باجلان الذي نقل عن دلدار قوله انه وبعض زملائه

الطلبة أسسوا في كركوك جمعية طلابية أطلقوا عليها اسم داركره على غرار منظمة (كاربوناري) الايطالية وكان معه في الجمعية آنذ السادة: نوري شاويس، فتاح عبدالجبار، عمر عثمان... (وأخرون نسي رشيد باجلان أسماءهم حسب قوله...) ^(٢) ويعود تاريخ هذا الحديث الذي أدلى به دلدار لزميله باجلان الى أوائل عقد الأربعينات من القرن الماضي حينما كانا يدرسان مع غيرهما من الطلبة الكورد في كلية الحقوق ببغداد ويسكنان معاً غرفة أستاذجراها في فندق النواب (في الكرخ) كما كانا يواصلان في تلك الفترة ايضاً نشاطهما السياسي في صفوف حزب هيوأ جنباً الى جنب آخرين من زملائهم الطلبة الكورد المنضمين الى هذا الحزب.

وعلى العكس من أصحاب الرأي القائل بتأسيس وظهور داركره في كركوك (وأنا اميل الى ترجيحه ايضاً) يرى أصحاب الرأي الآخر أن داركره، ظهرت بالأساس في أربيل وذلك قبل انتقالها لاحقاً الى كركوك، فقد أورد الاستاذ (فيصل الدباغ) في سياق مذكرات (صالح الحيدري)

١- يقول الاستاذ كريم زند أن المؤسس الحقيقي لجمعية داركره هو أسعد محوي، ولم أجد في المصادر المتيسرة عندي من يؤيد معلومته هذه!

٢- ورد هذا الكلام للاستاذ باجلان في سياق مقابلة صحفية أجراها معه الاستاذ مصطفى نريمان في مجلة (ره نكين) العدد (٦٠) سنة ١٩٩٢.

وعلى لسان (مصطفى العزيري) وكذلك في سياق مقابلة أجراها مع موسى صمد - أحد أعضاء داركر الأوائل - إن الجمعية تأسست أصلاً من قبل بعض الطلبة في مدينة أربيل. كذلك يميل د. معروف خزندار أيضاً إلى الاعتقاد بأن ظهور داركر كان في أربيل أولاً وليس في كركوك.

وبغض النظر عن هذا الاختلاف في الرأي بصدد أي من المدينتين المذكورتين هي المحل الحقيقي لنشأة وظهور جمعية داركر، فإن الثابت هو أنها (أي داركر) نمت وازدهرت كثيراً في كركوك واستطاعت من خلال جهود وماسعي مؤسسها دلداز وأعضائها الأوائل، أن توطد قاعدتها التنظيمية سريعاً وتقدم فروعها إلى العديد من مدن وقصبات كردستان العراق المختلفة فانتمى إلى صفوفها الكثيرون من الطلبة المفعمين



بالحماس الشوري والغيرة القومية ضمن ألوية كركوك، أربيل والسليمانية والأقضية الكوردية ضمن لواء الموصل.

لم يكن لجمعية داركر - وهي جمعية سرية كما أسلفنا - منهاج ونظام داخلي مدونين بل كانت لها شعارات وأهداف (شفهية) دأب أعضاؤها على حفظها وترديدها بكل حماس وعفوية، وقد تركزت تلك الشعارات والأهداف بشكل

دقيق حلمي

خاص حول قضية النضال من أجل تحرير

واستقلال الوطن الكوردستاني الكبير والمجزأ وتحقيق تطلعات وأمانه أبناؤه المشروعة في نيل الحياة الحرة الكريمة والتقدم والازدهار... الخ.

وبالنظر لتنامي نشاط ونفوذ الجمعية واتساع تنظيماتها باطاد في مختلف أرجاء كردستان العراق وذلك بانضمام المزيد من الأعضاء الجدد إليها، ومن ثم حاجتها الماسة والفعلية إلى عناصر سياسية قيادية كفوءة

ومجربة من فئات عمرية أكبر فقد شعر القائمون على الجمعية بضرورة تطويرها وتحويلها الى حزب سياسي كبير وفعال يضطلع بتحمل أعباء تلك المرحلة المهمة والحساسة من نضال شعبنا الكوردي، وعليه عقدت الجمعية مؤتمرها الأخير في مدينة كركوك (نيسان ١٩٣٩) حضره ممثلون عن فروع مختلف مدن كردستان العراق فقرروا تحويل تنظيمهم الى حزب سياسي سمي بحزب هيو^(٣)، ولكي يكون الحزب الجديد^(٤) ذا ثقل سياسي كبير ومؤثر في ميدان النضال القومي والوطني أرتأى اعضاؤه المؤسسون اختيار شخصية كفوءة من بين الشخصيات الكوردية المعروفة عهدئذ، لرئاسته (أي رئاسة هيو) فتبذلت الآراء والنقاشات في هذا السياق حول عدد من الشخصيات اللامعة أمثال: توفيق وهبي، جمال بابان، محمد أمين زكي بگ، معروف چياووك، ماجد مصطفى ورفيق حلمي. وبالنظر لوجود تحفظات بل وانتقادات معينة بشأن الموقف السياسي لهؤلاء السادة باستثناء رفيق حلمي (١٨٩٨ - ١٩٦) فقد وقع عليه الاختيار هو لمهمة رئاسة الحزب الجديد وذلك بحكم ثقافته الواسعة وصلته الوطيدة بصفوف المثقفين وبالأخص المدرسين والمعلمين والطلبة، وبحكم ماضيه النضالي والسياسي الطويل والمشرف ومساهمته الفعالة في نضالات الشيخ الحفيد ولاسيما دوره الفكري والثقافي والتربوي خلال

٣- جاء اختيار إسم الحزب (هيو) تخليداً لذكر حزب (هيفي) الذي سبق وأن تأسس في كردستان الشمالية أواخر حكم العثمانيين وأستقطب في صفوفه العديد من الضباط والمثقفين الكورد وضمنهم الاستاذ رفيق حلمي ولم يتضح لي ما إذا كان اختيار اسم (هيو) للحزب الجديد قد تم اثناء المؤتمر المذكور كما يشير بعض المصادر أم حصل ذلك بعدما عرضت رئاسة الحزب على الاستاذ رفيق حلمي الذي قيل انه طالب بذلك، كما أشارت مصادر أخرى.

٤- أورد الاستاذ حبيب محمد كريم في كتابه القيم تاريخ الحزب الديمقراطي الكوردستاني - العراق ١٩٤٦-١٩٩٣؛ لقد اختلفت الآراء حول اسماء اعضاء قيادة الحزب الجديد (هيو) إلا ان المرجح كما يقول الاستاذ فيصل الدباغ في كتابه حزب هيو وثورة بارزان أنهم كانوا كل من المحامي مصطفى العزيري، يونس رؤوف - دلداز -، جلال قادر، موسى صمد، إحسان حاجي باخچه چي، نورالدين بهاء الدين، فتاح عبدالجبار، رستم عبدالجبار، خليل حمد و...

فترة حكم الشيخ الثانية في السليمانية (١٩٢٢-١٩٢٤).

وهكذا دعي الاستاذ رفيق حلمي الى شقلاوه (بعد المؤتمر المذكور) من قبل اعضاء الهيئة المؤسسة لـ (هيو)، فاجتمعوا به هناك في بستان (جميل ميران) حيث عرضوا عليه مهمة قيادة الحزب الجديد، فابدى موافقته على عرضهم شريطة ان يكون عنوانه (الرئيس الاعلى للحزب) فوافقوا على شرطه، ومن ثم ادى (اي حلمي) القسم المطلوب (القسم بالقرآن الكريم والخنجر رمز النضال).

بعدئذ استقر حلمي وزملاؤه أعضاء الهيئة القيادية لـ (هيو) (أي أعضاء لجنته المركزية) في العاصمة بغداد وشرعوا من هناك بممارسة نشاطاتهم وأعبائهم السياسية والنضالية على رأس هيو الذي دخل معترك النضال القومي والوطني في تاريخ شعبنا باعتباره أول حزب سياسي كوردي منظم لحد ذلك الوقت. وقد أثبتت الأحداث والوقائع المحيطة بمسيرة هيو النضالية عهدئذ، أن اختيار حلمي لرئاسة الحزب في ذلك الطرف الحساس كان اختياراً صائباً وسليماً وأنه كان فعلاً الشخصية الأنسب لتولي تلك المهمة الموكلة اليه، فقد ترسخت بفضل حلمي ورفاقه القياديين القاعدة التنظيمية وال جماهيرية للحزب في بغداد ومناطق كوردستان المختلفة سريعاً وأنضم الى صفوفه الالوف من أبناء الكورد على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية ومستوياتهم الثقافية من المدرسين والضباط والجنود ووجهاء العشائر ورجال الدين والكسبة... وغيرهم.

وباختصار، كان هيو حزباً قومياً نشطاً تبنى الدفاع عن أهداف وحقوق وتطلعات شعبنا الكوردي المشروعة وفي ظرف تاريخي بالغ الحساسية والأهمية وقد شكلت قوة الحزب وفاعليته التنظيمية بين أبناء الكورد وشعبته النابعة من مواقفه الوطنية والقومية السديدة ودفاعه عن ثورتي شعبنا في منطقة بارزان الشائرة خلال (١٩٤٣-١٩٤٥) باعثاً على إثارة حقد السلطات الحكومية العراقية والسفارة البريطانية في بغداد عليه، فاستغلوا وجود الخلافات الداخلية فيه وأوعزوا الى عملاتهم داخل الحزب

وخارجه الى حبك الدسائس والمؤامرات بين صفوفه بغية إضعافه وتفكيكه ثم القضاء عليه نهائياً، فبدأوا في هذا الاتجاه، بأثارة فتنة اليمين واليسار وتقسيم الحزب الى كتلتين متصارعتين وتأزيم العلاقات بينهما وصب الزيت على النار واستخدام سياسة الترغيب والترهيب والمغريات مع العناصر النشيطة من مسؤولي وقياديي هيو.

وبرغم كل الجهود الخيرة والمخلصة التي بذلت بهدف رأب الصدع الحاصل داخل الحزب والقضاء على المؤامرات والمحاولات المشبوهة الهادفة الى تقويضه وإنهاء وجوده، ورغم النجاح (المؤقت) الذي أحرزه هيو خلال مؤتمره التصالحي المنعقد في كلار (في دار داود بگ الجاف) صيف عام ١٩٤٤م، في إزالة الخلاف المحتدم بين الاستاذ حلمي - المدعوم من أغلب أعضاء المؤتمر - وبين أعضاء هيو من ضباط الجيش الذين كان يمثلهم في ذلك المؤتمر الضابطان محمود طه البرزنجي ومجيد علي، فإن العراعات والازمات الداخلية التي عصفت بهيو (وتحديداً منذ ١٩٤٣م) والمستجدات والوقائع المريعة التي أفرزتها انتكاسة انتفاضة بارزان عام (١٩٤٥) تضافرت جميعها أخيراً في تفتيت الحزب وتقويض أوصاله والقضاء عليه نهائياً عام (١٩٤٥)، حيث أنضمت العناصر اليسارية والشيوعية من أعضائه الى الحزب الشيوعي العراقي والى منظمة (يه كيتي تيكوشان - وحدة النضال)، كما التحق عدد من ضباطه الاعضاء بثورة بارزان فيما انضم آخرون الى منظمة ژ.ك (ژيانوهي كورد - انبعاث الكورد) التي تطورت فيما بعد الى فرع للحزب الديمقراطي الكوردستاني الايراني في كوردستان العراق، أما الباقون من منتسبي الحزب فقد آثروا اعتزال العمل الحزبي في تلك الفترة.

وهكذا توارى حزب هيو عن ساحة النضال القومي والوطني سريعاً، لكن مآثره ومواقفه وأسهاماته النضالية المشرقة التي جاءت تنويعاً وازافة لمجهودات ونضالات سلفه (داركهر)، ستظل سफراً خالداً في تاريخ شعبنا الكوردي وإرثه النضالي الأصيل.

المصادر

- الكتب:

- ١- تهسهوف چيهه؟ تأليف الشيخ أمين النقشبندي، ط ١٩٨٥، بغداد.
- ٢- الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، تأليف الشيخ محمد الكسنزاني ط ١٩٩٥، بغداد.
- ٣- سراج القلوب، تأليف الشيخ عثمان النفشيني ط ١٩٩٠، الرمادي
- ٤- كورد، ترك، عرب تأليف آدموندز ترجمة: جرجيس فتح الله ط ١٩٩٩ مؤسسة ناراس - اربيل.
- ٥- تاريخي سليمانى ولاتى، تأليف محمد أمين زكي بگ، ط ١٩٣٩، بغداد.
- ٦- بنه مالهى زانياران تأليف، عبدالكريم المدرس ط ١٩٨٤ بغداد.
- ٧- يادى مهردان تأليف عبدالكريم المدرس ج١ ط ١٩٧٩ بغداد.
- ٨- علماؤنا في خدمة العلم والدين، تأليف عبدالكريم المدرس، ١٩٨٣، بغداد.
- ٩- اعلام الكورد، تأليف مير بصري، ١٩٩١، لندن.
- ١٠- گهشتى ريچ بز كوردستان، تأليف المستر ريچ ترجمه للكوردية محمد حمه باقى، ١٩٩٢، تبريز.
- ١١- رحلة متنكر الى بلاد ما بين النهرين وكوردستان تأليف، الميجرسون، ترجمة: فؤاد جميل، ١٩٧٠، بغداد.

- ١٢- میژووی ئەدەبی کوردی تالیف علاءالدین السجادی، ط ١٩٧١، بغداد.
- ١٣- روایە؛ پاشایان کوشت، تالیف خسرو الجاف، ط ١٩٩٣، بغداد.
- ١٤- میژووی راپەرینی کورد، تالیف علاءالدین السجادی، ط ١٩٩٦ سقز.
- ١٥- چەند لاپەرەیک لە میژووی گەلی کورد تالیف د. کمال مظهر ج١ ط ١٩٨٥، بغداد.
- ١٦- چەند لاپەرەیک لە میژووی گەلی کورد تالیف د. کمال مظهر ج٢ ط ١ ٢٠٠٢ / ئێڕیل / مۆسە مۆکریانی.
- ١٧- هەندیک دادوەری بەناوبانگ، تالیف جمال بابان ط ١٩٨١ بغداد.
- ١٨- دور الشعب الكوردي في ثورة العشرين. تالیف د. کمال مظهر ط ١٩٧٨، بغداد.
- ١٩- ئورتنا في شمال العراق، تالیف عبدالمنعم الغلامي ط ١٩٩٦ بغداد.
- ٢- شۆرشى ئیبراهیم خانى دەلۆ، تالیف مصطفى نریمان ط ١٩٨٥ بغداد.
- ٢١- ابراهيم خان ثائر من كوردستان، تالیف د. مكرم الطالباڤي ط ١٩٧١، بغداد.
- ٢٢- چیم دی؟ تالیف احمد خواجه ط ١٩٧١، السليمانية.
- ٢٣- یاداشتەکانی شیخ لەتیف حەفید ط ١٩٩٥، ئێڕیل.
- ٢٤- میژووی جاف، تالیف کریم بگ الجاف، تقدیم د. حسن الجاف ط ١٩٩٥، بغداد.
- ٢٥- موسوعة اعلام الكورد المصورة، تالیف خسرو الجاف، ج٢ ط ٢٠٠٤، بغداد.

- ٢٦- ميثووي هوزي جاف و مهصود پاشاي جاف، تأليف حسن فهمي الجاف ط ١٩٩٩ السليمانية.
- ٢٧- عشائر العراق الكوردية، تأليف عباس العزاوي ط ١٩٤٧، بغداد.
- ٢٨- اصول اسماء المدن والمواقع العراقية، تأليف جمال بابان ط ١٩٧٦، بغداد.
- ٢٩- كهريم بهگي فه تاح بهگي هه مه وهند، تأليف دارا أحمد كريم بگ الهموند ط ١ ٢، أربيل مؤسسة موكرياني.
- ٣- المشكلة الكوردية في الشرق الاوسط، تأليف د. حامد محمود عيسى ط ١٩٩٢، (مصر)
- ٣١- كوردستان في عهد الدولة العثمانية، تأليف د. عبدالله عهلباويي، ط ١٩٩٨ أربيل.
- ٣٢- موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين تأليف حميد المطبعي، ط ١٩٩٥، بغداد.
- ٣٣- نافره ته ناوداره كاني كورد، تأليف عبد الجبار محمد الجباري ط ١٩٦٩ كركوك.
- ٣٤- گه نجينه مهردان، تأليف عبدالله زيوهر، ط ١٩٨٥، بغداد.
- ٣٥- الكورد وكوردستان في الوثائق البريطانية تأليف د. وليد حمدي، ط ١٩٩١ لندن.
- ٣٦- تاريخ الحزب الديمقراطي الكوردستاني العراقي - تأليف حبيب محمد كريم ط ١٩٩٨، دهوك.
- ٣٧- دليل كركوك، بوابة جبال زاگروس ط ١ ٢، أربيل.
- ٣٨- كركوك دراسة سياسية اجتماعية، وريا الجاف، ط ١٩٩٧، أربيل.
- ٣٩- بيره ورييه كاني ژيانم، تأليف مصطفى نریمان، ط ١٩٩٤، بغداد.
- ٤٠- نهم قسانه بهم پیتوانه... تأليف د. حسن الجاف، ط ١٩٩٦، بغداد.

المجلات والصحف:

- ١- مجلة رهنگين العدد ٦ سنة ١٩٨٨ موضوع عن كريم عدله كه، بقلم سوران هورامي.
- ٢- مجلة رهنگين العدد ٨٥ سنة ١٩٩٥ موضوع: موقف شهم لسيدات السليمانية، بقلم د. كمال مظهر.
- ٣- مجلة رهنگين العدد ٥٢ سنة ١٩٩٣ موضوع عن داركه ر وهبوا بقلم د. مكرم الطالباني.
- ٤- مجلة رهنگين العدد ٦ سنة ١٩٩٣ ، مقابلة مع رشيد باجلان.
- ٥- مجلة كركوك العدد ٢ سنة ١ ٢ موضوع عن رفيق حلمي بقلم حلمي علي رسول.
- ٦- مجلة كركوك ٢ سنة ١ ٢ ، موضوع عن الدور الادبي والثقافي لمدينة كركوك بقلم مصطفى صالح كريم.
- ٧- مجلة كاروان العدد ٦٣ سنة ١٩٨٨ ، موضوع عن زين و پيرة منيرد بقلم س.ع شادمان.
- ٨- مجلة گولان العربي العدد ٣٧ سنة ١٩٩٩ و موضوع عن السياح البولونيين بقلم جلال زنگابادي.
- ٩- مجلة هتزار ميرد العدد ١٨ سنة ١ ٢ ، موضوع عن فن البناء في كركوك بقلم نهزي.
- ١- مجلة الف باء العدد ٣٩٠ سنة ١٩٧٦ تحقيق مصور عن مدينة

السليمانية.

- ١١- مجلة بارش العدد ١٦ سنة ٤ ٢، موضوع؛ صحافة كركوك في مائة عام، بقلم محمد خضر.
- ١٢- مجلة بارش العدد ١٦ سنة ٤ ٢ موضوع: الطباعة والمعلومات في كركوك بقلم گولر سیامنصوري.
- ١٣- مجلة نهوشهفق العدد ١١ سنة ٤ ٢، موضوع عن المطابع في كركوك بقلم غازي حسن.
- ١٤- مجلة هاواری كهركوك العدد ٤ سنة ١٩٩٩، موضوع عن الجاف وكلار بقلم المؤلف.
- ١٥- جريدة خه بات العدد ٢٢ ١ سنة ١٩٩٩ موضوع عن الشائرة قدم خير بقلم كريم شارهزا.
- ١٦- جريدة پیتشكهوتن الاعداد: ١٦ ١٧ ١٩ ٢١ ٢٣ عام ١٩٢
- ١٧- جريدة برايه تى العدد ٣٣١٦ موضوع عن معركة تاو باريك بقلم المؤلف.
- ١٨- جريدة كوردستان اليوم العدد ٨ سنة ٤ ٢ موضوع عن السليمانية، بقلم المؤلف.

بقلم المؤلف

- ١٩- جريدة «خهبات» العدد ١٦٨٣ في ١٧/١/٥٠ ٢ مقال عن مجلة شهفق «شفق» بقلم كريم شارهزا.

شكر وامتنان

شكري الخالص الى الاستاذ الفاضل حمه كريم عارف والأخ العزيز ملا
شاخوان والاخت العزيزة زينب جبرائيل والأخ العزيز فهد شواني، لجهدهم
الطيب في إنجاز هذا الكتاب...

المؤلف

منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com



دهزگای روشنیبری شهفدق

کهرکوی